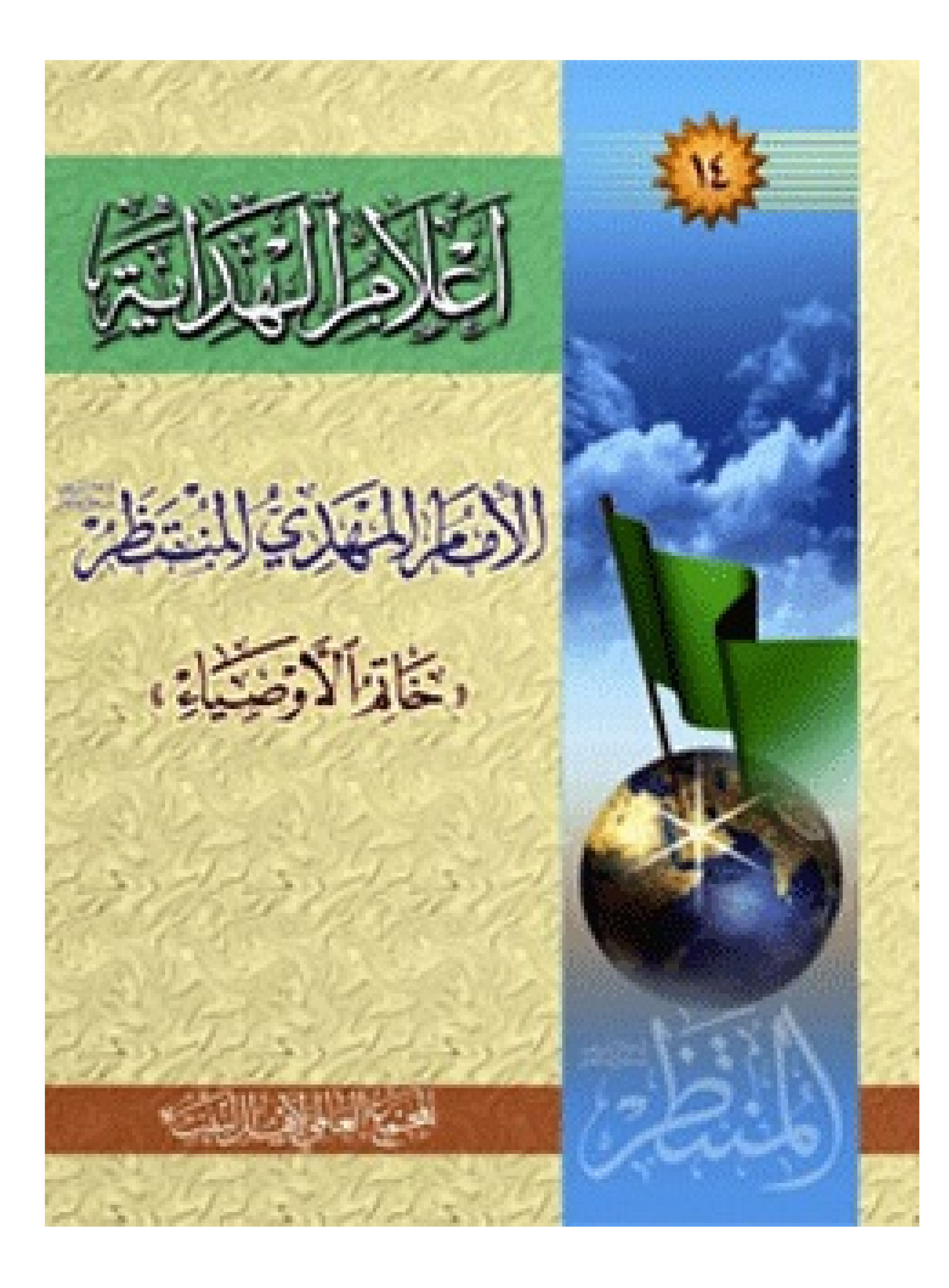


١٤
أعلام الهداية
الإمام المهدي المنتظر
«خاتم الأوصياء»
المنتظر


بسم الله الرحمن الرحیم

اعلام الهدایۀ الامام المهدی المنتظر خاتم الاوصیاء

کاتب:

مجله حوزه

نشرت فی الطباعۀ:

مجله حوزه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

اعلام الهدایة الامام المهدی المنتظر خاتم الاوصیاء

اشارة

لجنة التألیف

المقدمة

الحمد لله الذی أعطی کلّ شـیء خلقه ثم هدی، ثم الصـلاة والسـلام علی من اختارهم هداةً لعباده، لا سـیما خاتم الأنبیاء وسیّد الرسل والأصـفیاء أبو القاسم المصـطفی محمد (ص) وعلی آله المیامین النجباء. لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصری العقل والإرادة، فبالعقل یبصـر ویکتشف الحقّ ویمیّزه عن الباطل، وبالإرادة یختار ما یراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهـدافه. وقد جعل الله العقل الممیِّز حجّةً له علی خلقه، وأعـانه بما أفاض علی العقول من معین هـدایته؛ فإنّه هو الـذی علّم الإنسان ما لم یعلم، وأرشـده إلی طریق کماله اللائق به، وعرّفه الغایـة التی خلقه من أجلهـا، وجـاء به إلی هـذه الحیاة الـدنیا من أجل تحقیقها. وأوضـح القرآن الحکیم بنصوصه الصـریحة معالم الهدایة الربّانیة وآفاقها ومسـتلزماتها وطرقها، کما بیّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهة اُخری. قال تعالی: [صفحه ۸] (قُلْ إنّ هُـدی الله هو الهُدی) [الأنعام (۶): ۷۱]. (والله یهدی من یشاء إلی صـراط مستقیم) [البقرة (۲): ۲۱۳]. (والله یقول الحقّ وهو یهـدی السبیل) [الأحزاب (۳۳): ۴]. (ومن یعتصم بالله فقد هُدی إلی صـراط مسـتقیم) [آل عمران (۳): ۱۰۱]. (قل الله یهـدی للحقّ أفمن یهدی إلی الحق أحق أن یتَّبع أمّن لا یهدّی إلاّ أن یُهدی فمالکم کیف تحکمون) [یونس (۱۰): ۳۵]. (ویری الذین اُوتوا العلم الذی اُنزل الیک من ربّک هو الحقّ ویهدی إلی صراط العزیز الحمید) [سبأ (۳۴): ۶]. (ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغیر هدیً من الله) [القصـص (۲۸):۵۰]. فالله تعالی هو مصـدر الهدایـة. وهـدایته هی الهدایـة الحقیقیة، وهو الذی یأخذ بید الإنسان إلی الصـراط المسـتقیم وإلی الحقّ القویم. وهـذه الحقـائق یؤیـدها العلم ویـدرکها العلمـاء ویخضـعون لهـا بملء وجودهم. ولقـد أودع الله فی فطرة الإنسـان النزوع إلی الکمـال والجمـال ثمّ مَنّ علیه بإرشـاده إلی الکمـال اللائق به، وأسـبغ علیه نعمـة التعرّف علی طریق الکمال، ومن هناقال تعالی:(وماخلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ لیعبـدونِ)[الـذاریات (۵۱):۵۶]. وحیث لا ـ تتحقّق العبادة الحقیقیـة من دون المعرفـة، صارت المعرفـة والعبادة طریقاً منحصـراً وهدفاً وغایةً موصـلةً إلی قمّة الکمال. وبعد أن زوّد الله الإنسان بطاقتی الغضب والشـهوة لیوفر له وقود الحرکة نحو الکمال؛ لم یؤمَن علیه من سیطرة الغضب والشهوة والهوی الناشئ منهما، والملازم لهما. فمن هنا احتاج الإنسان ـ بالإضافة إلی عقله وسـائر [صـفحه ۹] أدوات المعرفـة ـ الی ما یضـمن له سـلامة البصـیرة والرؤیـة؛ کی تتمّ علیه الحجّـة، وتکمل نعمة الهدایة، وتتوفّر لـدیه کلّ الأسـباب التی تجعله یختار طریق الخیر والسـعادة، أو طریق الشرّ والشـقاء بملء إرادته. ومن هنا اقتضت سُـنّة الهـدایة الربّانیـة أن یُسـند عقل الإنسان عن طریق الوحی الإلهی، ومن خلال الهـداة الذین اختارهم الله لتولّی مسؤولیة هدایة العباد، وذلک عن طریق توفیر تفاصیل المعرفة وإعطاء الإرشادات اللازمة لکلّ مرافق الحیاة. وقد حمل الأنبیاء وأوصیاؤهم مشعل الهدایة الربّانیة منذ فجر التاریـخ وعلی مـدی العصور والقرون، ولم یترک الله عباده مهملین دون حجّة هادیة وعلم مرشد ونور مُضـیء، کما أفصـحت نصوص الوحی ـ مؤیّـدةً لـدلائل العقـل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجّـة لله علی خلقه، لئلاّ یکون للناس علی الله حجّـة، فالحجّـة قبل الخلق ومع الخلق وبعـد الخلق، ولو لم یبق فی الأرض إلاّ اثنان؛ لکان أحـدهما الحجّـة. وصـرّح القرآن ـ بشـکل لا یقبل الریب ـ قائلًا: (إنّما أنت منذر ولکلّ قوم هاد)[الرعد (۱۳): ۷]. ویتولّی أنبیاء الله ورسله وأوصیاؤهم الهداة المهدیّون مهمّة الهدایة بجمیع مراتبها، والتی تتلخّص فی: ۱ ـ تلقّی الوحی بشـکل کامل واستیعاب الرسالة الإلهیة بصورة دقیقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّی الرسالة، ومن هنا یکون الاصطفاء الإلهی لرسله شأناً من شؤونه، کما أفصح بذلک الذکر الحکیم قائلًا: (الله أعلم حیث یجعل رسالته)[الأنعام (۶): ۱۲۴] و (الله یجتبی من رسـله من یشاء)[آل عمران (۳): ۱۷۹]. [صفحه ۱۰] ۲ ـ إبلاغ الرسالة الإلهیة الی البشـریة ولمن اُرسلوا إلیه، ویتوقّف

الإبلاغ على الكفاءة التامّـة التى تتمثّل فى «الاستيعاب والإحاطـة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصـمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى: (كان الناسُ اُمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[البقرة (۲): ۲۱۳]. ۳ ـ تكوين اُمّـة مؤمنـة بالرسالـة الإلهيـة، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها فى الحياة، وقـد صـرّحت آيات الـذكر الحكيم بهـذه المهمّـة مستخدمةً عنوانى التزكية والتعليم، قال تعالى: (يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ) [الجمعة (۶۲): ۲] والتزكية هى التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التى تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى: (لقد كان لكم فى رسول الله اُسوة حسـنة)[الاحزاب (۳۳): ۲۱]. ۴ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع فى الفترة المقرّرة لها، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية. والتى تسمى العصـمة. ۵ ـ العمل لتحقيق أهـداف الرسالـة المعنويـة وتثبيت القيم الأخلاقية فى نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الاُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الـدين الحنيف على المجتمع البشرى من خلال تأسيس كيان سياسىٍّ يتولّى إدارة شؤون الاُمّـة على أساس الرسالـة الربّانيـة للبشـرية، ويتطلّب التنفيـذ قيادةً حكيمـةً، وشـجاعةً فائقـةً، وصـموداً كبيراً، ومعرفـةً تامّةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسـية والاجتماعية [صفحه ۱۱] وقوانين الإدارة والتربية وسـنن الحياة، ونلخّصـها فى الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضـلًا عن العصـمة التى تعبّر عن الكفاءة النفسـية التى تصون القيادة الدينيـة من كلّ سـلوك منحرف أو عمل خاطى بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سـلبيّاً على مسيرة القيادة وانقياد الاُمّة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضـها. وقد سـلك الأنبياء السابقون وأوصـياؤهم المصـطفون طريق الهداية الدامى، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا فى سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا فى سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهيـة كلّ ما يمكن أن يقـدّمه الإنسان المتفانى من أجل مبـدئه وعقيـدته، ولم يتراجعوا لحظـة، ولم يتلكّؤا طرفة عين. وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المسـتمرّ على مـدى العصور برسالـة خاتم الأنبياء محمـد بن عبدالله (ص) وحمّله الأمانة الكبرى ومسؤولية الهدايـة بجميع مراتبهـا، طالبـاً منه تحقيق أهـدافها. وقـد خطـا الرسول الأعظم (ص) فى هـذا الطريق الوعر خطوات مدهشـة، وحقّق فى أقصـر فترة زمنيـة أكبر نتاج ممكن فى حساب الـدعوات التغييريـة والرسالات الثوريـة، وكانت حصـيلة جهاده وكـدحه ليل نهار خلال عقـدين من الزمن ما يلى: ۱ ـ تقديم رسالة كاملة للبشـرية تحتوى على عناصـر الديمومة والبقاء. ۲ ـ تزويدها بعناصـر تصونها من الزيغ والانحراف. ۳ ـ تكوين اُمّة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة. [صفحه ۱۲] ۴ ـ تأسيس دولة إسلامية وكيان سياسىٍّ يحمل لواء الإسـلام ويطبّق شـريعة السماء. ۵ ـ تقـديم الوجه المشـرق للقيادة الربّانيـة الحكيمة المتمثّلة فى قيادته(ص). ولتحقيق أهداف الرسالة بشـكل كامل كان من الضـرورى: أ ـ أن تسـتمرّ القيادة الكفوءة فى تطبيق الرسالة وصـيانتها من أيدى العابثين الـذين يتربّصون بها الـدوائر. ب ـ أن تسـتمرّ عمليـة التربية الصـحيحة باسـتمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوء علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسـنة فى الخلق والسـلوك كالرسول(ص)، يسـتوعب الرسالة ويجسّدها فى كل حركاته وسكناته. ومن هنا كان التخطيط الإلهىّ يحتّـم على الرسـول (ص) إعـداد الصـفوة من أهـل بيته، والتصـريح بأسـمائهم وأدوارهم؛ لتـولّى مهمـة إدامـة الحركـة النبويّـة العظيمة والهدايـة الربّانيـة الخالـدة بأمر من الله سـبحانه وصـيانة للرسالـة الإلهيـة التى كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيـد الخائنين، وتربية الأجيال على قيم ومفاهيم الشـريعة المباركة التى تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. وتجلّى هـذا التخطيط الربّانى فى ما نصّ عليه الرسول(ص) بقوله: «إنّى تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّـكتم بهما لن تضـلّوا: كتـاب الله وعترتى، وإنّهمـا لن يفترقـا حتى يردا علىّ الحوض». وكان أئمّـة أهل البيت صـلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبى الأكرم (ص) بأمر من الله تعالى لقيادة الاُمّـة من بعـده. [صـفحه ۱۳] إنّ سـيرة الأئمّة الاثنى عشـر من أهل البيت (عليهم السـلام) تمثّل المسيرة الواقعية للإسـلام بعد عصـر الرسول (ص)، ودراسة حياتهم بشـكل مسـتوعب تكشف لنا عن صورة مسـتوعبة لحركة الإسـلام الأصـيل الـذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الاُمّة ووجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول(ص)، فأخذ الأئمّة المعصومـون (عليهـم السـلام) يعملـون على توعيـة الاُمّـة وتحريـك طاقتهـا باتجـاه إيجـاد وتصـعيد الـوعى الرسـالىّ للشـريعة ولحركة

الرسول(ص) وثورته المبارکۀ، غیر خـارجین عن مسار السـنن الکونیـۀ التی تتحکّم فی سـلوك القیادة والاُمّـۀ جمعاء. وتبلورت سـیرة الأئمّـۀ الراشـدین فی اسـتمرارهم علی نهـج الرسول العظیم(ص) وانفتاح الاُمّـۀ علیهم والتفاعل معهم کأعلام للهدایـۀ ومصابیـح لإنارة الدرب للسالکین المؤمنین بقیادتهم، فکانوا هم الأدلاّء علی الله لنیل مرضاته، والمستقرّین فی أمر الله، والتامّین فی محبّته، والذائبین فی الشوق الیه، والسابقین إلی تسـلّق قمم الکمال الإنسانیّ المنشود. وقـد حفلت حیاتهم بأنواع الجهاد والصبر علی طاعـۀ الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء؛ حتّی ضـربوا أعلی أمثلۀ الصـمود لتنفیذ أحکام الله تعالی، ثم اختاروا الشـهادة مع العزّ علی الحیاة مع الذّل فیها، حتی فازوا بلقاء الله سـبحانه بعد کفاح عظیم وجهاد کبیر. ولا یسـتطیع المؤرّخون والکتّاب أن یلمّوا بجمیع زوایا سـیرتهم العطرة ویدّعوا دراسـتها بشـکل کامـل. ومن هنـا فإنّ محاولتنا هـذه إنّما هی إعطاء قبسات من سـیرتهم، وسـلوکهم ومواقفهم التی دوّنها المؤرّخون، واسـتطعنا اکتشافها من خلال مصادر الدراسۀ والتحقیق، عسی الله [صفحه ۱۴] أن ینفع بها إنّه ولیّ التوفیق. إنّ دراستنا لحرکۀ أهل البیت (علیهم السـلام) الرسالیـۀ تبـدء برسول الإسـلام وخـاتم الأنبیاء محمـد بن عبـدالله (ص) ونتهی بخاتم الأوصـیاء، محمـد بن الحسن العسـکری المهـدی المنتظر عجّل الله تعالی فرجه وأنار الأرض بعـدله. ویختصّ هذا الکتاب بدراسۀ حیاة الإمام المنتظر محمد بن الحسن المهدی الذی وعد الله به الاُمم أن یملأ به الأرض قسـطاً وعدلاً کما ملئت ظلماً وجوراً. ولا بدَّ لنا من ذکر کلمۀ شکر لکلّ العاملین الذین بذلوا جهداً فی إخراج هذا المشروع، لا سیما لجنۀ التألیف بإشراف سماحۀ السید منذر الحکیم حفظه الله تعالی. نشکر الله تعالی علی التوفیق العظیم الـذی مَنَّ به علینا لانجاز هذه الموسوعۀ المبارکۀ إنّه نعم المولی ونعم النصـیر. المجمع العالمی لأهل البیت (علیهم السـلام) قم المقدسۀ [صفحه ۱۷]

الامام المهدی المنتظر فی سطور

إنّ قضـیۀ الإمام المهدی المنتظر الذی بشّر به الإسـلام وبشّرت به الأدیان من قبل، قضـیۀ انسانیۀ قبل أن تکون دینیۀ أو إسلامیۀ؛ فإنها تعبیر دقیق عن ضـرورة تحقق الطموح الإنسانی بشـکله التام. وقـد تمیّز مـذهب أهل البیت(علیهم السـلام) بالاعتقاد بالإمامـۀ محمّد بن الحسن المهدی(علیه السـلام) الذی ولد فی سـنۀ ۲۵۵ هـ واسـتلم زمام الأمر وتصدی لمسؤولیاته القیادیۀ سـنۀ ۲۶۰ هـ وهو الآـن حی یرزق یقوم بمهامّه الرسالیۀ من خلال متابعته الأحداث فهو یعاصر التطورات ویرقب الظروف التی لابد من تحققها کی یظهر الی العالم الإنسانی بعد أن تسـتنفذ الحضارات الجاهلیۀ کل ما لدیها من قدرات وطاقات، وتتفتح البشریۀ بعقولها وقلوبها لتلقّی الهدی الإلهی من خلال قائـد ربّانی قـادر علی قیـادة العـالم أجمع، کمـا یریـده الله له. وهـذا الإمـام الثـانی عشـر هو من أهل البیت الـذین نصّ الرسول الأعظم(صـلی الله علیه وآله) علی إمـامتهم وبشّـر بهم وبمسـتقبلهم اُمته. وقـد تحقّقت ولادته فی ظروف حرجـۀ جـداً لم تکن لتسـمح بالاعلان العام عن ولادته، ولکنّ أباه الإمام الحسن العسـکری(علیه السـلام) وعـدّة من أهل بیته وأقربائه کحکیمـۀ ونسیم وغیرهما قد شهدوا ولادته وأعلنوا فرحهم وسـرورهم بذلک. وأطلع شـیعته [صفحه ۱۸] واتباعه علی ولادته وحیاته وأنه إمامهم الثانی عشـر الذی بشّـر به خـاتم الرسـل(صـلی الله علیه وآله) وتبعه نشـاط الإمـام المهـدی(علیه السـلام) نفسه طیلـۀ خمس سـنوات من أجوبـۀ المسـائل والحضور فی الأماکن الخاصـۀ التی کان یؤمن فیها علیه من ملاحقۀ السـلطۀ، وبعد استشـهاد أبیه، أقام الأدلّۀ القاطعۀ علی وجوده حتی اسـتطاع أن یبـدّد الشـکوك حول ولادته ووجوده وإمامته ویمسک بزمام الاُمور ویقوم بالمهام الکبری وهو فی مرحلۀ الغیبۀ الصـغری کل ذلک فی خفاء من عیون الحکّام وعمّالهم. واسـتمرّ بالقیام بمهامّه القیادیـۀ فی مرحلـۀ الغیبـۀ الکبری بعـد تمهیـد کاف لها وتعیینه لمجموعـۀ الوظائف والمهام القیادیـۀ للعلماء بالله، الاُمناء علی حلاله وحرامه لیکونوا نوّابه علی طول خط الغیبـۀ الکبری ولیقوموا بمهام المرجعیۀ الدینیۀ فی کل الظروف التی ترافق هذه المرحلۀ حتی تتوفر له مقدّمات الظهور للاصـلاح الشامل الذی وعد الله به الاُمم. لقد بدأت غیبته الکبری سـنۀ (۳۲۹ هـ) و لازالت هـذه الغیبـۀ مسـتمرۀ حتّی عصـرنا هـذا. وقد مارس الإمام محمد بن الحسن المهدی(علیه السـلام) خلال مرحلـۀ الغیبـۀ الصـغری نشاطاً مکثّفاً وهو مسـتتر عن عامّـۀ أتباعه لتثبیت موقعه کإمام مفترض الطاعـۀ، وأنه الذی ینبغی

للاُمـة أن تنتظر خروجه وقيامه حين تتوفّر الظروف الملائمـة لثورته العالميـة الشاملـة. وقـد واصل الإمام المهـدى المنتظر(عليه السـلام) ارتباطه بأتباعه من خلال نوّابه الأربعة خلال مرحلة الغيبة الصـغرى، غير أنها انتهت قبل أن تكتشف السلطة محل تواجد الامام ونشاطه، وانقطعت الاُمة عن الارتباط بوكلائه عند اعلانه انتهاء الغيبة الصـغرى، وبقى يمارس مهامّه القيادية وينفع الاُمة كما تنتفع [صفحه ۱۹] بالشـمس إذا ظللها السحاب. وقد ترك الإمام المهدى المنتظر(عليه السـلام) للاُمة الإسـلامية خلال مرحلة الغيبة الصغرى، تراثاً غنياً لا يمكن التغافل عنه. وهو لاـ يزال يمـارس ما يمكنه من مهامه القياديـة خلال مرحلـة الغيبـة الكبرى. وهو ينتظر مع سائر المنتظرين اليوم الذى يسـمح له الله سبحانه فيه أن يخرج ويقوم بكل استعداداته وطاقاته التى أعدّها وهيّأها الله له ليملأ الأرض عدلاً بعد أن تُملأ ظلماً وجوراً. وذلك بعـد أن تتهيّأ كل الظروف الموضوعيـة اللازمـة من حيث العـدد والعـدّة، وسائر الظروف العالمية التى سـتمهّد لخروجه وظهوره كقائـد ربّانى عالمى، وتفجير ثورته الإسـلامية الكبرى، وتحقيق أهـداف الـدين الحق وذلك حين ظهوره على الدين كلّه ولو كره المشركون. [صفحه ۲۱]

المهدى الموعود وغيبته فى بشارات الأديان

اشاره

علاقـة الإيمان بالمصـلح العالمى يعتبر الايمان بحتميـة ظهور المصـلح الـدينى العالمى وإقامة الدولة الإلهية العادلة فى كل الأرض من نقاط الاشتراك البارزة بين جميع الأديان [۱]، والاختلاف فيما بينها إنّما هو فى تحديد هوية هذا المصلح الدينى العالمى الذى يحقق جميع أهـداف الأنبيـاء(عليهم السـلام). وقـد اسـتعرض الـدكتور محمـد مهـدى خـان فى الأـبواب السـتة الاُـولى من كتابه «مفتاح باب الأبواب» آراء الأديان السـتة المعروفة بشأن ظهور النبى الخاتم(صلى الله عليه وآله) ثم بشأن المصلح العالمى المنتظر وبيّن أن كلّ دين منهـا بشّـر بمجىء هـذا المصـلح الإلـهى فى المسـتقبل أو فى آخر الزمـان ليصـلح العالم وينهى الظلم والشـر ويحقق السـعادة المنشودة للمجتمع البشـرى [۲] كمـا تحـدث عن ذلـك الميرزا محمـد الاسترابـادى فى كتـابه «ذخيرة الأـبواب» بشـكل تفصـيلى، ونقل طرفاً من نصوص وبشارات الكثير من الكتب [صـفحه ۲۲] السـماوية لمختلف الأقوام بشأنه. وهذه الحقيقة من الواضـحات التى أقرَّ بها كل مَن درس عقيـدة المصـلح العـالمى حتى الـذين أنكروا صـحتها أو شـككوا فيهـا كبعض المستشـرقين مثـل جولـد زيهر المجرى فى كتابه «العقيدة والشـريعة فى الإسلام» [۳]، فاعترفوا بأنها عقيـدة عريقـة للغايـة فى التأريـخ الـدينى وجدت حتى فى القديم من كتب ديانات المصـريين والصـينيين والمغـول والبـوذيين والمجـوس والهنـود والأحبـاش فضـلاً عن الـديانات الكـبرى الثلاـث: اليهوديـة والنصـرانية والإسلامية [۴].

البشارات بالمنقذ فى الكتب المقدسة

والملاحـظ فى عقائـد هـذه الأديـان بشـأن المصـلح العـالمى أنها تسـتند الى نصوص واضـحة فى كتبهم المقدسـة القديمـة وليس الى تفسيرات عرضها علماؤهم لنصوص غامضة حمّالة لوجوه تأويلية متعددة [۵]. وهذه الملاحظة تكشف عراقة هذه العقيدة وكونها تمثل أصـلاً مشتركاً فى دعوات الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ حيث ان كل دعوة نبوية ـ وعلى الأقل الدعوات الرئيسة والكبرى ـ تُمثل خطوة على طريق التمهيـد لظهور المصـلح الدينى العالمى الذى يحقق أهداف هذه الدعوات كافة [۶]. [صفحه ۲۳] كما أن للتبشير بحتمية ظهور هـذا المصـلح العـالمى تـأثيراً على هـذه الـدعوات فهو يشـكل عامـل دفع لاتباع الأنبياء للتحرك باتجاه تحقيق أهـداف رسالتهم والسعى للمساهمـة فى تأهيل المجتمع البشـرى لتحقيق أهداف جميع الدعوات النبوية كاملة فى عصـر المنقذ الدينى العالمى. ولذلك كان التبشير بهذه العقيدة عنصراً أصيلاً فى نصوص مختلف الديانات والدعوات النبوية.

رسوخ الفكرة فی الديانتين اليهودية و النصرانية

إن الإيمان بفكرة ظهور المصلح ثابت عند اليهود مدوّن فی التوراة والمصادر الدينية المعتبرة عندهم، وقد فصّل الحديث عن هذه العقيدة عند اليهود كثير من الباحثين المعاصرين خاصةً فی العالم الغربی مثل جورج رذرفورد فی كتابه «ملايين من الذين هم أحياء اليوم لن يموتوا أبداً»، والسناتور الأميركی بول منزلی فی كتابه (من يجرؤ على الكلام) والباحثة غريس هالسل فی كتابها «النبوءة والسياسة». وغيرهم كثير [۷] . فكل مَن درس الديانة اليهودية التفت الى رسوخ هذه العقيدة فيها. والنماذج التی ذكرناها آنفاً من هذه الدراسات اختصت بعرض هذه العقيدة بالذات عند اليهود والآثار السياسية التی أفرزتها نتيجة لتحرك اليهود انطلاقاً من هذه العقيدة، وفی القرون الأخيرة خاصة بهدف الاستعداد لظهور المنقذ العالمی الذی يؤمنون به. وسبب هذا التحرك هو أن عقيدة اليهود فی هذا المجال تشتمل على تحديد زمنی لبدء مقدمات ظهور المنقذ العالمی؛ الذی يبدأ من عام (۱۹۱۴) للميلاد ـ وهو عام تفجر الحرب العالمية الأُولى كما هو معروف ـ ثم عودة [صفحه ۲۴] الشتات اليهودی الى فلسطين وإقامة دولتهم التی يعتبرونها من المراحل التمهيدية المهمة لظهور المنقذ الموعود، ويعتقدون بأن العودة الى فلسطين هی بداية المعركة الفاصلة التی تنهی وجود الشر فی العالم ويبدأ حينئذ حكم الملكوت فی الأرض لتصبح الأرض فردوساً» [۸] . وبغض النظر عن مناقشة صحة ماورد من تفصيلات فی هذه العقيدة عند اليهود، إلاّ أن المقدار الثابت هو أنها فكرة متأصلة فی تراثهم الدينی وبقوة بالغة مكّنت اليهودية ـ من خلال تحريف تفصيلاتها ومصاديقها ـ أن تقيم على أساسها تحركاً استراتيجياً طويل المدى وطويل النفس، استقطبت له الطاقات اليهودية المتباينة الأفكار والاتجاهات، ونجحت فی تجميع جهودها وتحريكها باتجاه تحقيق ما صوّره قادة اليهودية لأتباعهم بأنه مصداق التمهيد لظهور المنقذ الموعود. وواضح أنّ الايمان بهذه العقيدة لو لم يكن راسخاً ومستنداً الى جذور عميقة فی التراث الدينی اليهودی لما كان قادراً على إيجاد مثل هذا التحرك الدؤوب ومن مختلف الطاقات والاتباع، فمثل هذا لا يتأتی من فكرة عارضة أو طارئة لا تستند الى جذور راسخة مجمع عليها. كما آمن النصارى بأصل هذه الفكرة استناداً الى مجموعة من الآيات والبشارات الموجودة فی الإنجيل والتوراة. ويصرح علماء الإنجيل بالايمان بحتمية عودة عيسى المسيح فی آخر الزمان ليقود البشرية فی ثورة عالمية كبرى يعم بعدها الأمن والسلام كل الأرض كما يقول القس الالمانی فندر فی كتابه «ميزان الحق» [۹] وأنه يلجأ الى القوة والسيف لإقامة الدولة العالمية العادلة. وهذا هو الاعتقاد السائد لدى مختلف فرق النصارى. [صفحه ۲۵]

الايمان بالمصلح العالمی فی الفكر غير الدينی

الملاحظ أن الايمان بحتمية ظهور المصلح العالمی ودولته العادلة التی تضع فيها الحرب أوزارها ويعم السلام والعدل فی العالم لا يختص بالأديان السماوية بل يشمل المدارس الفكرية والفلسفية غير الدينية أيضاً. فنجد فی التراث الفكری الإنسانی الكثير من التصريحات بهذه الحتمية، فمثلاً ـ يقول المفكر البريطانی الشهير برتراند رسل: «إن العالم فی انتظار مصلح يُوحّده تحت لواء واحد وشعار واحد» [۱۰] ويقول العالم الفيزياوی المعروف ألبرت اينشتاين صاحب النظرية النسبية: (إن اليوم الذی يسود العالَم كله فيه السلام والصفاء ويكونُ الناس متحابين متآخين ليس ببعيد» [۱۱] . وأدق وأصرح من هذا وذاك ما قاله المفكر الايرلندی المشهور برناردشو، فقد بشّر بصراحة بحتمية ظهور المصلح وبلزوم أن يكون عمره طويلاً يسبق ظهوره؛ بما يقترب من عقيدة الإمامية فی طول عمر الإمام المهدی(عليه السلام)؛ ويرى ذلك ضرورياً لإقامة الدولة الموعودة، قال فی كتابه «الانسان السوبرمان» ـ وحسب ما نقله عنه الدكتور عباس محمود العقاد فی كتابه عن برناردشو ـ فی وصف المصلح بأنه: «إنسانٌ حیٌ ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة، إنسانٌ أعلى يترقى إليه هذا الانسان الأدنى بعد جهد طويل، وأنه يطول عمُرهُ حتى ينيف على ثلاثمائة سنة ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة» [۱۲] . [صفحه ۲۶]

طول عمر المصلح فی الفکر الانسانی

إن الأوصاف التی یذکرها المفکر الایرلندی للمصلح العالمی من الکمال الجسمی والعقلی وطول العمر والقدرة علی استجماع خبرات العصور والأطوار بما یمکنه من انجاز مهمته الاصلاحیة الکبری قریبة من الأوصاف التی یعتقد بها مذهب أهل البیت (علیهم السلام) فی المهدی المنتظر(علیه السلام) وغیبته. وقضیة طول العمر فی هذا المصلح العالمی التی أکد ضرورتها برناردشو؛ تشیرُ الی إدراک الفکر الإنسانی لضرورة أن یکون المصلح العالمی مستجمعاً عند ظهوره لتجارب العصور لکی یکون قادراً علی إنجاز مهمته [۱۳] ، وهذه الثمرة متحصلة من غیبة الإمام المهدی (علیه السلام) الطویلة حسب عقیدة الإمامیة الاثنی عشریة، ولکن الفرق هو أن عقیدتنا فی الإمام المعصوم تقول بأنه مستجمع منذ البدایة لهذه الخبرة والثمار المرجوة من طول عمره، فهو(علیه السلام) مؤهّل بدءاً لأداء مهمته الاصلاحیة الکبری ومسددٌ إلهیاً لإنجازها، قادرٌ علیها متی ما تهیأت الأوضاع الملائمة لظهوره. وانّ طول الغیبة یؤدی الی اکتساب أنصاره والمجتمع البشری واقتطافهم لهذه الثمار فیستجمعونها جیلًا بعد آخر [۱۴] . [صفحه ۲۷]

الایمان بالمهدی تجسید لحاجة فطریة

إنّ ظهور الإیمان بفکرة حتمیة ظهور المنقذ العالمی فی الفکر الإنسانی عموماً یکشف عن وجود أسس متینة قویة تستند إلیها تنطلق من الفطرة الانسانیة، بمعنی أنها تعبّر عن حاجة فطریة عامة یشترک فیها بنو الانسان عموماً، وهذه الحاجة تقوم علی ما جُبل علیه الإنسان من تطلّع مستمر للکمال بأشمل صوره وأن ظهور المنقذ العالمی وإقامة دولته العادلة فی الیوم الموعود یُعبّر عن وصول المجتمع البشری الی کماله المنشود. یقول العلامة الشهید السید محمد باقر الصدر (قدس سره): «لیس المهدی (علیه السلام) تجسیداً لعقیدة إسلامیة ذات طابع دینی فحسب، بل هو عنوانٌ لطموح اتجهت إلیه البشریة بمختلف أدیانها ومذاهبها، وصیاغة لإلهام فطری أدرک الناس من خلاله ـ علی تنوع عقائدهم ووسائلهم الی الغیب ـ أن للانسانیة یوماً موعوداً علی الأرض تحقق فیه رسالات السماء مغزاها الکبیر وهدفها النهائی، وتجد فیه المسیرة المکدودة للإنسان علی مرِّ التأریخ استقرارها وطمأنینتها بعد عناء طویل. بل لم یقتصر هذا الشعور الغیبی، والمستقبل المنتظر علی المؤمنین دینیاً بالغیب، بل امتد الی غیرهم أیضاً وانعکس حتی علی أشد الایدلوجیات والاتجاهات رفضاً للغیب، کالمادیة الجدلیة التی فسرت التاریخ علی أساس التناقضات وآمنت بیوم موعود، تُصفّی فیه کل تلک التناقضات ویسودُ فیه الوئامُ والسلامُ. وهکذا نجد أن التجربة النفسیة لهذا الشعور والتی مارستها الإنسانیة علی مرّ الزمن من أوسع التجارب النفسیة وأکثرها عموماً [صفحه ۲۸] بین بنی الانسان» [۱۵] . إذن فالإیمان بالفکرة التی یجسدها المهدی الموعود هی من اکثر وأشد الأفکار انتشاراً بین بنی الانسان کافة لأنها تستند الی فطرة التطلع للکمال بأشمل صوره، أی أنها تعبّر عن حاجة فطریة، ولذلک فتحققها حتمی؛ لأن الفطرة لا تطلب ماهو غیر موجود کما هو معلوم.

موقف الفکر الانسانی من غیبة المهدی

إنّ الفکر الانسانی لا یری مانعاً من طول عمر هذا المصلح العالمی الذی یتضمنه الإیمان بغیبته وفقاً لمذهب أهل البیت (علیه السلام)، بل یری طول عمره أمراً ضروریاً للقیام بمهمته الإصلاحیّة الکبری کما لاحظنا فی کلام المفکر الإیرلندی برناردشو. وعلیه فالفکر الانسانی العام لا یرفض مبدئیاً الإیمان بالغیبة إذا کانت الأدلة المثبتة لها مقبولة عقلیاً. وقد تناول العلماء ایضاح الإمکان العقلی لطول عمر الإمام المهدی وعدم تعارضه مع أی واحد من القوانین العقلیة، کما فعل الشیخ المفید فی کتابه «الفصول العشرة فی الغیبة» والسید المرتضی فی رسالته «المقنع فی الغیبة» والعلاّمة الکراجکی فی رسالته «البرهان علی طول عمر إمام الزمان (علیه السلام)» التی تضمنها کتابه کنز الفوائد فی جزئه الثانی، والشیخ الطبرسی فی «اعلام الوری»، والسید الصدر فی بحثه عن المهدی وغیرهم کثیر، بل قلّما

یخلو کتاب من کتب الغیبة عن مناقشة هذا الموضوع والاستدلال علیه. [صفحه ۲۹]

الفکر الدینی یؤمن بظهور المصلح العالمی بعد غیبة

إن الإجماع علی حتمیة ظهور المصلح العالمی مقترنٌ بالإیمان بأن ظهوره یأتی بعد غیبة طویلة، فقد آمن الیهود بعودة عزیر أو منحاس بن العازر بن هارون، وآمن النصاری بغیبة المسیح وعودته، وینتظر مسیحیو الأحباش عودة ملکهم تیودور کمهدی فی آخر الزمان، وکذلک الهنود آمنوا بعودة فیشنوا، والمجوس بحیاة أوشیدر، وینتظر البوذیون عودة بوذا ومنهم مَن ینتظر عودة ابراهیم (علیه السلام) وغیر ذلک [۱۶] . إذن قضیة الغیبة قبل ظهور المصلح العالمی لیست مستغربة لدی الأدیان السماویة، ولا یمکن لمنصف أن یقول بأنها کلّها قائمة علی الخرافات والأساطیر، فالخرافات والأساطیر لا یمکن أن توجد فکرة متأصلة بین جمیع الأدیان دون أن ینکر أی من علمائها أصل هذه الفکرة، فلم ینکر أحدٌ منهم أصل فکرة الغیبة وإن أنکر مصداق الغائب المنتظر فی غیر الدین الذی اعتنقه وآمن بالمصداق الذی ارتضاه. إنّ انتشار أصل هذه الفکرة فی جمیع الأدیان السماویة کاشفٌ عن أرضیة اعتقادیة مشترکة رسخها الوحی الإلهی فیها جمیعاً، ودعمتها تجارب الأنبیاء (علیهم السلام) التی شهدت غیبات متعددة مثل غیبة ابراهیم الخلیل وعودته، وغیبة موسی عن بنی اسرائیل وعودته الیهم بعد السنین التی قضاها فی مدین، وغیبة عیسی (علیه السلام) وعودته فی آخر الزمان التی أقرّتها الآیات الکریمة واتفق علیها المسلمون من خلال ورودها فی الأحادیث النبویة الشریفة، وغیبة نبی الله إلیاس التی قال بها أهل السنة کما صرّح بذلک مفتی [صفحه ۳۰] الحرمین الکنجی الشافعی فی الباب الخامس والعشرین من کتابه «البیان فی أخبار صاحب الزمان»، وصرّح کذلک بایمان أهل السنة بغیبة الخضر (علیه السلام) وهی مستمرة الی ظهور المهدی(علیه السلام) فی آخر الزمان حیث یکون وزیره [۱۷] . بل إن انتشار فکرة غیبة المصلح العالمی فی الأدیان السابقة قد تکون مؤشراً علی وجود نصوص سماویة صریحة بذلک کما سنلاحظ ذلک فی نموذج النبوة الواردة فی سفر الرؤیا من الکتاب المقدس والتی طبقها الباحث السنی سعید أیوب علی المهدی الإمامی. أما الاختلاف فی تشخیص هویة المصلح الغائب فهو ناشئ من الخلط بین النصوص المخبرة عن غیبات بعض الانبیاء (علیهم السلام) وبین النصوص المتحدثة عن غیبة المصلح العالمی، بدوافع عدیدة سنشیر إلیها لاحقاً.

الاختلاف فی تشخیص هویة المنقذ العالمی

إذن فالإجماع قائم فی الأدیان السماویة علی حتمیة الیوم الموعود، وکما قال العلامة المتتبع آیة الله السید المرعشی النجفی فی مقدمة الجزء الثالث عشر من «إحقاق الحق»: «ولیعلم أن الأمم والمذاهب والأدیان اتفقت کلمتهم ـ إلاّ من شذ وندر ـ علی مجیء مصلح سماوی إلهی ملکوتی لإصلاح ما فسد من العالم وإزاحة ما یری من الظلم والفساد فیه وإنارة ما غشیه من الظلم، غایة الأمر أنه اختلفت کلمتهم بین من یراه عُزیراً، وبین مَن یراه مسیحاً، ومن یراه خلیلاً، ومَن یراه ـ من المسلمین ـ من نسل الإمام مولانا أبی محمد الحسن السبط ومَن یراه من نسل الإمام مولانا أبی عبد الله الحسین السبط الشهید...». [صفحه ۳۱] وإذا اختلفت الأدیان بل الفرق والمذاهب المتشعبة عنها فی تحدید هویة المصلح العالمی رغم اتفاقهم علی حتمیة ظهوره وعلی غیبته قبل عودته الظاهرة، فما هو سر هذا الاختلاف؟ یبدو أن سبب هذا الاختلاف یرجع الی تفسیر النصوص والبشارات السماویة وتأویلها استناداً الی عوامل خارجة عنها ولیس الی تصریحات أو اشارات فی النصوص نفسها، وإلی التأثر العاطفی برموز معروفة لاتباع کل دین أو فرقة وتطبیق النصوص علیها ولو بالتأویل، بمعنی أن تحدید هویة المصلح الموعود لا ینطلق من النصوص والبشارات ذاتها بل ینطلق من انتخاب شخصیة من الخارج ومحاولة تطبیق النصوص علیها. یُضاف الی ذلک عوامل أخری سیاسیة کثیرة لسنا هنا بصدد الحدیث عنها، ومعظمها واضحٌ معروف فیما یرتبط بالأدیان السابقة وفیما یرتبط بالفرق الاسلامیة، ومحورها العام هو: إن الإقرار بما تحدده النصوص والبشارات السماویة والنبوة نفسها ینسف قناعات لدی تلک الأدیان وهذه الفرق یسلبها مبرر بقائها الاستقلالی، ومسوغ إصرارها علی عقائدها

السالفۀ. أما بالنسبۀ للعامل الأول فنقول: إن النصوص والبشارات السماویۀ وأحادیث الأنبیاء وأوصیائهم (علیهم السلام) بشأن المصلح العالمی تتحدث عن قضیۀ ذات طابع غیبی وهو شخصیۀ مستقبلیۀ وعن دور تأریخی کبیر یحقق أعظم إنجاز للبشریۀ علی مدی تأریخها ویحقق فی الیوم الموعود أسمی طموحاتها، والإنسان بطبعه میال لتجسید القضایا الغیبیۀ فی مصادیق ملموسۀ یحس بها، هذا من جهۀ. ومن جهۀ أخری فکل قوم یتعصبون لشریعتهم ورموزهم وما ینتمون إلیه ویمیلون أن یکون صاحب هذا الدور التأریخی منهم. [صفحه ۳۲] لذا کان من الطبیعی أن یقع الاختلاف فی تحدید هویۀ المصلح العالمی، لأنّ من الطبیعی أن یسعی أتباع کل دین الی اختیار مصداق للشخصیۀ الغیبیۀ المستقبلیۀ التی تتحدث عنها النصوص والبشارات الثابتۀ فی مراجعهم المعتبرۀ والمعتمدۀ عندهم ممن یعرفون ویحبون من زعمائهم، یدفعهم لذلک التعصب الشعوری أو اللاشعوری لشریعتهم ورموزها، والرغبۀ الطبیعیۀ العارمۀ فی أن یکون لهم افتخار تحقق ذاک الدور التأریخی علی ید شخصیۀ تنتمی الیهم أو ینتمون إلیها.

الخلط بین البشارات و تأویلها

من هنا أخذت کل طائفۀ تسعی لتطبیق الصفات التی تذکرها تلک النصوص والبشارات المرویۀ لدی کل منها علی الشخصیۀ المحبوبۀ لدیها أو أقرب رموزها الی الصفات المذکورۀ؛ فإذا وجدت بعض تلک الصفات صریحۀً فی عدم انطباقه علی الشخصیۀ التی اختارتها عمدت الی معالجۀ الأمر بالتأویل والتلفیق، أو بتغییبها أو تحریفها لتنطبق علی مَن انتخبته سابقاً أو الخلط بین النصوص والبشارات السماویۀ ـ الواردۀ بشأن النبی اللاحق أو المنقذ للعالم فی برهۀ معیّنۀ أو المصحح لإنحراف اُمۀ معیّنۀ ـ وبین النصوص والبشارات الخاصۀ بالحدیث عن المصلح العالمی الذی یقیم الدولۀ العادلۀ علی کل الأرض فی آخر الزمان ویحقق أهداف الأنبیاء والأوصیاء (علیهم السلام) جمیعاً.

منهج لحل الاختلاف

وحیث اتضح سبب الاختلاف فی تحدید هویۀ المصلح العالمی؛ أمکن [صفحه ۳۳] معرفۀ سبیل حلّه والتوصل الاستدلالی لمصداقه الحقیقی بصورۀ علمیۀ سلیمۀ ومقنعۀ، ویمکن تلخیص مراحله علی النحو التالی: ۱ ـ تمییز البشارات والنصوص الخاصۀ بالمصلح العالمی الموعود فی آخر الزمان عن غیرها الواردۀ بشأن نبی أو وصی معین، استناداً الی دلالات نصوص البشارات نفسها ومن مصادرها الأصلیۀ، وکذلک استناداً الی ما تقتضیه المبادئ الأولیۀ المرتبطۀ بمهام الأنبیاء والأوصیاء (علیهم السلام) وسیرهم والواقع التأریخی الثابت، وکذلک ما تقتضیه معرفۀ الثابت من دوره ومهمته الکبری کمصلح عالمی. ۲ ـ تحدید الصفات والخصائص التی تحددها النصوص والبشارات نفسها للمصلح الموعود وبصورۀ مجتمعۀ وتوضیح الصورۀ التی ترسمها له قبل افتراض سابق لمصداق لها، لکی لا تکون الصورۀ المرسومۀ له متأثرۀ بالمصداق المفترض سلفاً. ۳ ـ وبعد اکتمال الصورۀ التجریدیۀ المستفادۀ، تبدأ عملیّۀ التعرف علی الصفات والخصائص والحقائق التأریخیۀ المذکورۀ کمصادیق للمصلح العالمی الموعود، ثم عرضها علی الصورۀ التی ترسمها له نصوص البشارات نفسها، والمتحصلۀ من المرحلتین السابقتین، لیتم بذلک تبیان عدم انسجام صفات المصادیق غیر الحقیقیۀ مع تلک الصورۀ وبالتالی التعرف علی المصداق الحقیقی من بینها.

المهدی الإمامی و حل الاختلاف

اشاره

من المؤکد أن البشارات السماویۀ الواردۀ فی الکتب المقدسۀ تهدی الی المهدی المنتظر الذی یقول به مذهب أهل البیت (علیهم

السلام) كما سنشير لذلك [صفحه ۳۴] لاحقاً، وأثبتته دراسات متعددة فى نصوص هذه البشارات [۱۸] . إذن فالتعريف بعقيدة أهل البيت (عليهم السلام) فى المهدى المنتظر(عليه السلام) يفتح آفاقاً أوسع للاهتداء للمصداق الحقيقى للمصلح العالمى الذى بشّرت به كل الديانات طبقاً لدلالات نصوص البشارات الواردة فى الكتب المقدسة حتى لو كان الايمان الجديد من خلال قناعات أتباع الديانات السابقة. وكنموذج على تأثير هذا التعريف نشير الى نتيجة تحقيق القاضى جواد الساباطى من أعلام القرن الثانى عشر الهجرى، إذ كان فى بداية أمره عالماً نصرانياً ثم تعرّف على الاسلام واعتنقه على المذهب السُنّى الذى كان أول ما عرف من الفرق الاسلامية، وألف كتابه المعروف «البراهين الساباطية» فى ردِّ النصارى وإثبات نسخ شرائعهم؛ استناداً الى ما ورد فى نصوص كتبهم المقدسة [۱۹] .

راى القاضى الساباطى

تناول القاضى الساباطى إحدى البشارات الواردة فى كتاب أشعيا من العهد القديم من الكتاب المقدس بشأن المصلح العالمى، ثم ناقش تفسير اليهود والنصارى لها ودحض تأويلات اليهود والنصارى لها ليخلص الى [صفحه ۳۵] قوله: «وهذا نصٌّ صريحٌ فى المهدى ـ رضى الله عنه ـ حيث أجمع المسلمون انه (رضى الله عنه) لا يحكم بمجرد السمع والظاهر، ومجرد البيّنة بل لا يلاحظ إلا الباطن، ولم يتفق ذلك لأحد من الأنبياء والأولياء». ثم يقول بعد تحليل النص: «... وقد اختلف المسلمون فى المهدى، فأما أصحابنا من أهل السنة والجماعة قالوا: إنه رجل من أولاد فاطمة (عليها السلام)، اسمه محمد واسم أبيه عبدالله واسم اُمه آمنة. وقال الإماميون: بل هو محمد بن الحسن العسكرى الذى ولد سنة خمس وخمسين ومائتين من جارية للحسن العسكرى(عليه السلام) اسمها نرجس فى (سُرَّ من رأى) فى عصر المعتمد ثم غاب سنة [۲۰] ثم ظهر ثم غاب وهى الغيبة الكبرى ولا ـ يرجع بعدها إلا حين يريد الله تعالى. ولما كان قولهم أقرب لما يتناوله هذا النص وإن هدفى الدفاع عن اُمة محمد (صلى الله عليه وآله) مع قطع النظر عن التعصب لمذهب؛ لذلك ذكرت لك أن ما يدعيه الإمامية يتطابق مع هذا النص» [۲۱] . فنلاحظ هنا أن هذا العالم الخبير بالنصرانية يصرح بانطباق البشارة مورد البحث على المهدى المنتظر طبق ما يعتقده مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، على الرغم من عدم انتمائه الى المذهب الشيعى بعد اعتناقه الاسلام، فخالف رأى المذهب الذى ينتمى إليه فى هذا المجال ورجَّح رأى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وصرّح بانطباق بشارة كتاب أشعيا على هذا الرأى. [صفحه ۳۶] والذى أوصله الى الاهتداء للمصداق الحقيقى هو التعرف على رأى الإمامية فى المهدى المنتظر(عليه السلام)، وبدون التعرف على هذا الرأى لعله لم يكن ليتوصّل الى المصداق الذى تنطبق عليه البشارات المذكورة ولولا ذلك لكان يقتصر إمّا على رد أقوال النصارى بشأن البشارة المذكورة أو اغفالها اصلاً أو تأويل بعض دلالالتها لتنطبق على رأى المذهب الذى كان ينتمى اليه فى المهدى الموعود. والملاحظة نفسها نجدها فى دراسات علماء آخرين من أهل الكتاب بشأن هذه البشارات، فقد أصبح من اليسير عليهم معرفة المصداق الذى تتحدث عنه عندما تعرفوا على رأى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فى المهدى المنتظر وخاصة الذين اعتنقوا الاسلام وتهيأت لهم فرصة التعرف على هذا الرأى، وقد أثارهم شدة انطباق ما تذكره البشارات التى عرفوها فى كتب دياناتهم السابقة على المهدى المنتظر (عليه السلام) الذى تؤمن به الإمامية؛ الأمر الذى دفعهم الى دراسة هذه البشارات فى كتبهم. والنموذج الآخر هو: ما فعله العلاّمة محمد صادق فخر الاسلام الذى كان نصرانياً واعتنق الاسلام وانتمى لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وألّف كتابه الموسوعى «أنيس الأعلام» فى رد اليهود والنصارى [۲۲] وتناول فيه دراسة هذه البشارات وانطباقها على الإمام محمّد المهدى بن الحسن العسكرى (عليهما السلام). مثل ما فعله العلاّمة محمد رضا رضائى الذى أعرض عن اليهودية ـ وقد كان من علمائها ـ واعتنق الاسلام وألّف كتاب «منقول رضائى» الذى بحث فيه أيضاً موضوع تلك البشارات وأثبت النتيجة نفسها. [صفحه ۳۷]

البشارات السماوية لا تنطبق على غير المهدى الإمامى

إن من الواضح لمن يمعن النظر فى نصوص تلك البشارات السـماوية أنها تقدم مواصفات للمصلح العالمى لا تنطبق على غير المهدى المنتظر الإمـامى طبقاً لعقيـدة مدرسـة أهل البيت (عليهم السـلام) لـذلك فإن مَن لم يتعرف على هـذه العقيـدة لا يسـتطيع التوصل الى المصداق الذى تتحدث عنه كما نلاحظ ذلك مثلاً فى أقوال مفسـرى الإنجيل بشأن الآيات (۱ ـ ۱۷) من سفر الرؤيا الفصل الثانى عشر «مكاشـفات يوحنا اللاهوتى» فهم يصـرحون بأن «الشـخص الـذى تتحـدث عنه البشارة الواردة فى هـذه الآيات لم يُولـد بعـد، لـذا فإن تفسـيرها الواضح ومعناها البيّن موكول للمسـتقبل والزمان المجهول الذى سيظهر فيه» [۲۳] ، فى حين أن هـذه الآيات تتحدث بوضوح عن الحكومـة الإلهيـة التى يقيمهـا هـذا الشـخص فى كـل العـالم ويقطع دابر الأشـرار والشـياطين وهى المهمـة التى حـددتها البشارات الاخرى بأنها محور حركة المصـلح العالمى. لكن مفسرى الإنجيل لم يستطيعوا تطبيقها على المصداق الذى اختاروه لهذا المصلح وهو السيد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام) لأن البشارة واردة عن يوحنا اللاهوتى عن السيد المسيح فهو المبشر بمجىء هذا المنقذ، كما أنهم لم يتعرفوا على عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) فى المهدى المنتظر(عليه السلام)، لذلك لم يستطيعوا الاهتداء الى مصداق تلك الآيات. [صفحه ۳۸]

البشارات و غيبة الإمام الثانى عشر

وهناك باحث من أهل السـنّة استطاع الاهتداء الى المصداق الذى تتحدث الآيات المشار اليها عندما تعرّف على عقيدة أهل البيت فى المهدى المنتظر ـ سـلام الله عليهم اجمعين ـ وهو الاسـتاذ سـعيد أيوب حيث يقول فى كتابه «المسـيح الدجال» عن هذه الآيات نفسـها: «ويقول كعب: مكتوب فى أسـفار الأنبياء: المهـدى ما فى عمله عيب» ثم علق على هذا النص بالقول: «وأشـهد انى وجدته كذلك فى كتب اهل الكتاب، لقد تتبع اهل الكتاب أخبار المهدى كما تتبعوا أخبار جده (صلى الله عليه وآله)، فدلت أخبار سفر الرؤيا الى امرأة، يخرج من صـلبها اثنا عشـر رجلًا، ثم أشار الى امرأة اُخرى: أى التى تلد الرجل الأخير الذى هو من صـلب جدته، وقال السـفر: إن هذه المرأة ستحيط بها المخاطر، ورمز للمخاطر باسم «التنين» وقال: والتنين وقف أمام المرأة العتيدة حتى تلد، يبتلع ولدها متى ولدت» [۲۴] . أى إن السـلطة كانت تريـد قتل هذا الغلام، ولكن بعد ولادة الطفل. يقول باركلى فى تفسـيره: «عندما هجمت عليها المخاطر اختطف الله ولـدها وحفظه». والنص: واختطف الله ولدها [۲۵] ، أى: إن الله غيّبَ هـذا الطفل كما فى قول باركلى. وذكر السـفر أن غيبـة الغلام ستكون ألفا ومائتين وستين يوماً [۲۶] ، وهى مدة لها رموزها عند أهل الكتاب، ثم قال: باركلى عن نسل المرأة [الأُولى] [صـفحه ۳۹] عموماً: «إن التنين سـيعمل حرباً شـرسة مع نسل المرأة كما قال: فى السـفر: فغضب التنين على المرأة، وذهب ليضع حرباً مع باقى نسلها الذى يحفظون وصايا الله» [۲۷] . وعقب الاسـتاذ سـعيد أيوب على ما تقدم بالقول: هذه هى أوصاف المهدى، وهى نفس أوصافه عند الشـيعة الإماميـة الاثنى عشـرية، ودعم قوله بتعليقات أوردها فى الهامش بشأن انطباق الأوصاف على مهـدى آل البيت (عليهم السـلام) [۲۸] .

البشارات و خصوصيات المهدى الإمامى

ويُلاحظ فى هـذه البشارات الإنجيلية تناولها لخصوصـيات فى المصـلح العالمى لا تنطبق إلا على أبرز ما يميز عقيدة مدرسة أهل البيت (عليهم السـلام) والواقع التاريخى الذى مرت به. إن تناول هذه الخصوصيات الظاهرة بالذات يشير الى حكمة ربانية فى هداية الآخرين الى المصداق الحقيقى للمصـلح العالمى بأبلغ حجة من خلال الإشارة الى ابرز خصوصياته الظاهرة والمعروفة لكى يكون الاهتداء اليها أيسـر، فمثلاًـ نلاحـظ فيها الإشارة الى تعرض مدرسـة أهل البيت (عليهم السـلام) لمخاطر التصـفية والإبادة التى تؤدى بالتالى الى غيبة

الإمام الثانی عشر منهم، ثم التأکید علی أن هذا الإمام محفوظ بالرعایة الإلهیة فی غیبته حتی یحین موعد ظهوره المبارک. ومعلوم أن القول بغیبة الإمام الثانی عشر هو أهم ما یمیز عقیدة الامامیة فی المهدی المنتظر ولذلک وردت الإشارة الیها بالذات [صفحه ۴۰] تسهیلاً للاهتداء الی المصداق الحقیقی للمنقذ العالمی. کما وردت اشارات الی ممیزات معروفة اخری تختص بها عقیدة أئمة أهل البیت (علیهم السلام)، مثل القول بأنّ الإمام المهدی هو الإمام الثانی عشر من سلسلة مبارکة متصلة کما تشیر لذلک الآیات المتقدمة وبشارات اخری واردة فی الکتب المقدسة، نظیر ما ورد فی «سفر التکوین من الأصل العبری» [۲۹] ، من الوعد علی لسان الرب تعالی خطاباً لإبراهیم الخلیل (علیه السلام)، بالمبارکة والتکثیر فی صلب اسماعیل بمحمد (صلی الله علیه وآله) والأئمة الاثنی عشر من عترته (علیهم السلام) [۳۰] ومعلوم أن مصداق الأئمة الاثنی عشر من صلب اسماعیل لم یتحقق بالصورة المتسلسلة المشار الیها فی البشارات إلا ـ فی الائمة الا ـ ثنی عشر من أهل البیت (علیهم السلام) کما یثبت ذلک الواقع التاریخی فضلًا عن الأحادیث النبویة المتفق علی صحتها بین المسلمین [۳۱] ، فهی خاصة بهم حتی اصبحت ظاهرة واضحة فی التاریخ الاسلامی اُطلقت علی المذهب المنتمی لأهل البیت فسمی مذهب الإمامیة الاثنی عشریة. وعلیه یتضح أن تلک البشارات تهدی الی حقیقة هی: أن المهدی هو خاتم هؤلاء الأئمة الاثنی عشر. [صفحه ۴۱]

البشارات و أوصاف المهدی الإمامی

وردت فی البشارات أیضاً اشارات الی ألقاب اختص بها المهدی الإمامی (علیه السلام) مثل وصف «القائم» [۳۲] فمثلًا نلاحظ البشارة التالیة من سفر أشعیا النبی التی تحدث القاضی جواد الساباطی عن دلالتها علی المهدی وفق عقیدة الإمامیة الاثنی عشریة: «۲ ـ ویحلُ علیه روح الرب، وروح الحکمة والفهم، وروح المشورة، والقوة، وروح المعرفة ومخافة الرب. ۳ ـ ولذته فی مخافة الرب، ولا یقضی بحسب مرأی عینیه ولا بحسب مسمع اُذنیه، ۴ ـ ویحکم بالانصاف لبائسی الأرض، ویضرب الأرض بقضیب فمه ویمیت المنافق بنفخة شفتیه... ۶ ـ ویسکن الذئب والخروف، ویربض النمر مع الجدی، والعجل والشبل معاً وصبی صغیر یسوقها... ۹ ـ لا یسیئون ولا یفسدون فی کل جبل قدسی لأن الأرض تمتلیٔ من معرفة الرب کما تغطی المیاه البحر. ۱۰ ـ وفی ذلک الیوم سیرفع «القائم» رایة الشعوب والاُمم التی تطلبه وتنتظره ویکون محله مجداً» [۳۳] . ومثل وصف «صاحب الدار» المعدود من ألقاب الإمام المهدی(علیه السلام) [۳۴] ، فقد وردت ضمن بشارات عن انتظار المنقذ العالمی الذی لا یختص به المسیحیون اشارة الی عدم هذا الاختصاص وتحدثت عن [صفحه ۴۲] ظهوره المفاجیٔ وهی فی «إنجیل مرقس، ۱۳: ۳۵» [۳۵] . ومثل وصف «المنتقم لدم الحسین (علیه السلام) المستشهد عند نهر الفرات» کما ورد فی بشارة فی «سفر أرمیا، ۴۶ / ۲ ـ ۱۱». وقد صرّح بذلک الاستاذ الأردنی عودة مهاوش فی دراسته «الکتاب المقدس تحت المجهر» وذکر أنها تتعلق بالمهدی المنتقم لدم الحسین (علیه السلام) [۳۶] . وهناک نظائر کثیرة لا ـ یتسع المقام لذکرها.

الاهتداء الی هویة المنقذ علی ضوء البشارات

اذن معرفة هذه الخصوصیات تقودنا الی اثبات أن المصلح العالمی الذی بشرت به جمیع الدیانات هو المهدی ابن الحسن العسکری (علیهما السلام) کما تقوله عقیدة أهل البیت (علیهم السلام) لأن البشارات السماویة لا تنطبق علی العقائد الاُخری، فتکون النتیجة هو أن الدیانات السابقة لم تبشر بظهور المنقذ العالمی فی آخر الزمان بعنوانه العام وحسب بل شخّصت أیضاً هویته الحقیقیة من خلال تحدید صفات وتفصیلات لا تنطبق علی غیره (علیه السلام)، وهکذا تکون هذه البشارات دلیلًا اضافیاً علی صحة عقیدة أهل البیت (علیهم السلام) بهذا الشأن. ونکتفی هنا بالاشارة الی بعض البشارات الواردة فی العهدین القدیم والجدید «أسفار التوراة والأناجیل» بهذا الصدد، بحکم کونها معتبرةً عند أکبر وأهم الدیانات السابقة علی الاسلام أی الیهودیة والنصرانیة؛ ولأن هذین [صفحه ۴۳]

العهدين الموجودين حالياً قد مرّا بالكثير من التحقيق والتوثيق عند علماء اليهود والنصارى واُجريت بشأنهما الكثير من الدراسات ودونت الكثير من الشروح لهما، ونسخهما كثيرة ومتداولة بترجمات كثيرة لمختلف اللغات، غير أنّ الاعتماد على الاُصول العبرية أدق لوقوع أخطاء ولبس فى الترجمات. فالاقتصار عليهما لا ـ يعنى انحصار البشارات التى لا ـ يمكن تفسيرها بغير المهدى المنتظر(عليه السلام) طبق عقيدة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، بل على العكس فإنّ امثالها موجودة فى مختلف كتب الأديان الاُخرى وبتصريحات ودلالات أوضح ذكرتها الدراسات المتخصصة فى هذا الباب [۳۷] ولكنها غير مشهورة عند الجميع ونسخها غير متداولة وأغلبها لم تترجم عن لغاتها الاُم إلا ـ قليلاً ـ على أنّ الاقتصار على النماذج المتقدمة من العهدين القديم والجديد فيه الكفاية فى الاستدلال على المطلوب، والتفصيلات موكولة للمراجع المتخصصة المشار اليها فى طيّات البحث.

الاستناد الى بشارات الكتب السابقة و مشكلة التحريف

وتبقى هنا قضيتان من الضرورى التطرّق لهما قبل تثبيت النتائج المتحصّلة من البحث. القضية الأولى: هى مناقشة السؤال التالى: كيف يمكن الاستناد الى كتب الديانات الاُخرى فى اثبات قضية مهمة مثل قضية تشخيص هوية المصلح العالمى المنتظر واثبات أنه المهدى ابن الحسن العسكرى (عليهما السلام)، واثبات صحة هذه العقيدة وانتمائها الإلهى مع اتفاق المسلمين على وقوع التحريف فى هذه الكتب؟ [صفحه ۴۴] نعتقد أن الاجابة على هذا التساؤل ممكنة بقليل من التدبر فى حيثيات الموضوع، ويمكن تلخيصها بما يلى: ۱ ـ إن اثبات عقيدة منهج أهل البيت (عليهم السلام) فى المهدى المنتظر(عليه السلام) يستند الى الكثير من البراهين العقلية والآيات القرآنية وما اتفق عليه المسلمون من صحاح الأحاديث النبوية والواقع التاريخى لسيرة ائمة أهل البيت (عليهم السلام)، كما هو مشهود فى الكتب العقائدية التى تناولت هذا الموضوع. أما الاستناد الى البشارات الواردة فى كتب الأديان المقدسة فهو من باب الدليل الاضافى أو الشواهد المؤيدة فلا تسقط النتيجة المتحصلة منه بسقوط أو بطلان الأساس؛ لأن هذه العقيدة قائمة على اُسس اُخرى أيضاً، اذن لا مجال للاعتراض على صحة هذه العقيدة حتى مع افتراض بطلان بعض اُسسها باعتبار القول بتحريف تلك الكتب. ۲ ـ ثمة ثمار مهمة لدراسة وتوثيق هذا الدليل، وهى هداية اتباع الديانات الاُخرى الى الحق والى المصلح الإلهى الحقيقى بالاستناد الى كتبهم نفسها وفى ذلك حجة كاملة عليهم؛ هذا أولاً، وثانياً فإنّ مثل هذه الدراسة تؤكد الجانب العالمى فى القضية المهدوية، وتوفر محوراً جديداً للوفاق بين الأديان المختلفة بشأن المصلح العالمى الذى ينتظرونه جميعاً. ۳ ـ وليس ثمة مَن يقول بأن جميع ما فى كتب الأديان السابقة محرف، بل إن المتفق عليه بين المسلمين وقوع التحريف فى بعضها وليس فى كلها. لذلك فإنّ ما صدّقته النصوص الشرعية الاسلامية ـ قرآناً وسنّة ـ مما فى الكتب السابقة محكوم بالصحة وعدم تطرق التحريف اليه؛ وهذا واضحٌ. [صفحه ۴۵]

الاستناد الى ما صدقه الاسلام من البشارات

۱ ـ من الثابت اسلامياً أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد بشّر بالمهدى الموعود من أهل بيته ومن ولد فاطمة ـ سلام الله عليها [۳۸] ـ لذلك فإن البشارات الواردة فى كتب الأديان السابقة من هذا النمط الذى لم تطاله أيدى التحريف ما دامت منسجمة مع ما صرح فى النصوص الشرعية الاسلامية. اذن لا مانع من الاستناد اليه والاحتجاج به. ۲ ـ يُضاف الى ذلك أن القرآن الكريم نفسه قد بشّر بالدولة الإلهية العالمية واقامتها فى آخر الزمان كما صرحت بذلك آياته الكريمة التى دلّ عددٌ منها على المهدى الموعود وحتمية وجوده وغيبته، كما سنوضح ذلك فى بحث لاحق ان شاء الله تعالى. وهذا يعنى تصديق ما ورد فى بشارات الأديان السابقة الواردة بالمضمون نفسه، الأمر الذى يعنى صدورها من نفس المصدر الذى صدر منه القرآن الكريم، وبالتالى الحكم بصحتها وعدم تطرق التحريف اليها، فلا ـ مانع حينئذ من الاستناد اليها والاحتجاج بها فى اطار المضامين التى صدّقها القرآن الكريم. ۳ ـ إن بعض هذه البشارات ترتبط بواقع خارجى معاش أو ثابت تاريخياً، بمعنى أن الواقع الخارجى الثابت جاء مصدِّقاً لها. فمثلاً البشارات التى تشير الى

ان المصلح العالمی هو الإمام الثانی عشر من ذریة اسماعیل وأنه من ولد خیرة الإماء وأن ولادته تقع فی ظل اوضاع سیاسیة خانقة [صفحه ۴۶] ومهددة لوجوده فیحفظه الله ویغیّبه عن أعین الظالمین الی حین موعد ظهوره وأمثالها، کلها تنبأت بحوادث ثابتة تاریخیاً، وهذا یضیف دلیلًا آخر علی صحتها، مادام أن من الثابت علمیاً أنها مدونة قبل وقوع الحوادث التی أخبرت عنها، فهی فی هذه الحالة تثبت أنها من أنباء الغیب التی لا ـ یمکن أن تصدر إلا ـ ممّن له ارتباط بعلّام الغیوب تبارک وتعالی. وبذلک یمکن الحکم بصحّتها وعدم تطرق التحریف الیها، وبالتالی یمکن الاستناد الیها والاحتجاج بها [۳۹] .

تاثیر البشارات فی صیاغة العقیدة المهدویة

أما القضیة الثانیة: فهی ترتبط بالاعتراض القائل بأن الاستناد الی هذه البشارات فی اثبات عقیدة أهل البیت(علیهم السلام) فی المهدی المنتظر(علیه السلام) یفتح باب التشکیک والادّعاء بأن هذه العقیدة تسللت الی الفکر الاسلامی من الاسرائیلیات ومحرفات الأدیان السابقة. والجواب علی هذا الاعتراض یتّضح من الإجابة السابقة، فهو یصح إذا کانت العقیدة الإمامیة المهدویة تستند الی تلک البشارات وحدها فی حین أن الأمر لیس کذلک. [صفحه ۴۷] ولو قلنا بأن کل فکرة اسلامیة لها نظیر فی الأدیان السابقة هی من الأفکار الدخیلة فی الاسلام؛ لأدی الأمر الی اخراج الکثیر من الحقائق والبدیهیّات الاسلامیة التی أقرّها القرآن الکریم وصحاح الأحادیث الشریفة وهی موجودة فی الأدیان السابقة، وهذا واضح البطلان ولا یخفی بطلانه علی ذی لب. فالمعیار فی تشخیص الأفکار الدخیلة علی الاسلام هو عرضها علی القرآن والسنّة والأخذ بما وافقهما ونبذ ما خالفهما، ولیس عرضها علی ما فی کتب الدیانات السابقة ونبذ کل ما وافقها مع العلم بأن فیها ما لم تتطرق له ید التحریف وفیه ما ثبت صدوره عن المصدر الذی صدر عنه القرآن الکریم. یُضاف الی ذلک أن عقیدة الإمامیة فی المهدی المنتظر(علیه السلام) تستند الی واقع تأریخی ثابت، فکون الإمام المهدی هو الثانی عشر من أئمة أهل البیت(علیهم السلام) ثابت تاریخیاً وحتی ولادته الخفیة من الحسن العسکری (علیه السلام) قد سجلها المؤرخون من مختلف المذاهب الاسلامیة وأقرها علماء مختلف المذاهب حتی الذین لم یذعنوا أنّه هو المهدی الموعود وإن کان عدد الذین صرحوا بأنه هو المهدی من علماء أهل السنّة غیر قلیل أیضاً [۴۰] . [صفحه ۴۸]

نتائج البحث

نصل الی القسم الأخیر من البحث، وهو تسجیل النتائج الحاصلة منه فی النقاط التالیة: ۱ ـ ان اصل فکرة الایمان بالمصلح العالمی فی آخر الزمان وإقامة الدولة العادلة التی تحقق السعادة الحقّة للبشریة جمعاء تستند الی جذور فطریة فی الانسان تنبع من فطرة تطلّعه الی الکمال، ولذلک لاحظنا اجماع مختلف التیارات الفکریة الانسانیة حتی المادیة منها علی حتمیة تحقق هذا الیوم الموعود. أما الفکر الدینی فهو مجمع علیها لتواتر البشارات السماویة فی کتب الأدیان المختلفة بذلک. فلا یمکن قبول ما زعمه بعض المستشرقین بأن هذه الفکرة المجمع علیها تستند الی الخرافات والأساطیر. ۲ ـ إن القول بوجود المهدی الموعود بالفعل وغیبته ـ وهو الذی یؤمن به مذهب أهل البیت (علیهم السلام) ویتمیز عن عقیدة أهل السنّة فی المهدی الموعود ـ غیر مستبعد لا فی الفکر الإنسانی الذی یری أن من الضروری أن یکون عمر المصلح العالمی طویلًا، ولا من الفکر الدینی الذی اقترن إیمانه بالمصلح العالمی بالإیمان بأنه یعود بعد غیبة. بل إن وقوع الغیبات فی تأریخ الأنبیاء (علیهم السلام) یدعم هذا القول ویعززه. ۳ ـ إن إجماع الأدیان السماویة علی الایمان بالمصلح العالمی وغیبته قبل الظهور اقترن بالاختلاف الشدید فی تحدید هویته، وهو اختلاف ناشئ من جملة من العوامل، منها: ان البشارات الواردة فی الکتب المقدسة بشأنه تتحدث عن قضیة غیبیة، والانسان بطبعه میّال لتجسید الحقائق الغیبیة فی [صفحه ۴۹] مصادیق محسوسة یعرفها. ومنها: أن التعصب المذهبی والرغبة فی الفوز بافتخار الانتماء لصاحب هذا الدور التاریخی المهم دفعت اتباع کل دین الی تأویل تلک البشارات أو خلطها بالبشارات الواردة بشأن نبی أو وصی معین غیر المصلح العالمی أو تحریفها لتطبیقها

على الأقرب من المواصفات التى تذكرها من زعمائهم ورموزهم الدينية. فالاختلاف ناشئ من سوء تفسير وتطبيق البشارات السماوية وليس من نصوص البشارات نفسها. ۴ ـ إن سبيل حل الاختلاف هو تمييز البشارات الواردة بشأن المصلح العالمى عن غيرها المرتبطة بغيره من الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)، ثم تحديد الصورة التى ترسمها بنفسها للمصلح العالمى بعيداً عن التأثر بالمصاديق المفترضة سلفاً. ثم عرض المصاديق عليها لمعرفة هويته الحقيقية استناداً الى الواقع التاريخى القابل للإثبات وبعيداً عن حصر هذه المصاديق المفترضة برموز دين معين، بل عرض كل مصداق مرشح من قبل أى دين أو مذهب على الصورة التى ترسمها نصوص البشارات بصورة تجريدية. ۵ ـ إن تلك البشارات السماوية تهدى ـ بناءً على هذا المنهج العلمى ـ الى معرفة حقيقية هى أن المصلح العالمى الذى بشرت به هو الإمام الثانى عشر من عترة خاتم الأنبياء ـ صلوات الله عليه وآله ـ وهو صاحب الغيبة التى يضطر إليها بسبب تربّص الظلمة به لتصفيته، أى إنها تهدى الى المهدى الإمامى الذى يقول به مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وقد صرحت تلك البشارات بالهداية اليه من خلال ذكر صفات لا تنطبق على غيره، ومن خلال ذكر خصائص فيه امتاز بها واشتهرت عنه كما لا حظنا. ۶ ـ ان الاستناد الى هذه البشارات فى إثبات صحة عقيدة [صفحه ۵۰] أهل البيت (عليهم السلام) فى المهدى المنتظر(عليه السلام) يشكل دليلًا آخر فى إثبات هذه العقيدة يضاف الى الأدلة العقلية والقرآنية وما صح لدى المسلمين من الأحاديث الشريفة، ولا مانع من الاستدلال بهذه البشارات بعدما ثبت أن التحريف فى الديانات السابقة لم يشمل كل نصوصها الموحاة، فيمكن الاستناد الى ما صدقته النصوص الشرعية الاسلامية مما ورد فى كتب الديانات السابقة؛ وكذلك ما صدقه الواقع التأريخى الكاشف عن صحة ما أخبرت عنه باعتباره من أنباء الغيب التى لا يعلمها سوى الله تعالى، ومنها أخبار المهدى (عليه السلام). ۷ ـ إن فى الاستناد الى بشارات الأديان السابقة فى اثبات صحة عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) فى المهدى الموعود واضافته الى الأدلة الشرعية والعقلية الاُخرى ثماراً عديدة، منها: الكشف عن أهمية هذه العقيدة وترسيخ الايمان بها لدى اتباعها، ومنها: إعانة أتباع الديانات والمذاهب الأخرى على الاهتداء لمعرفة هوية المصلح العالمى الذى بشرت به نصوص كتبهم المقدسة ودعوتهم الى الاسلام من هذا الطريق، والاحتجاج عليهم بالنصوص المعتبرة عندهم وهو احتجاج أبلغ فى الدلالة، ومنها: ايجاد محور توحيدى لدعاة الاصلاح الدينى من اتباع مختلف الديانات يعزز جهودهم وينسقها، يقوم على أساس الايمان بهذا المصلح العالمى ووجوده فعلًا ورعايته لجهود المُمهّدين لظهوره طبقاً للعقيدة الاسلامية الأوسع شمولية وتفصيلًا فى عرض هذه الفكرة العريقة فى الفكر الدينى والانسانى. يقول العلامة الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر: وإذا كانت فكرة المهدى أقدم من الإسلام وأوسع منه، فإن معالمها التفصيلية التى [صفحه ۵۱] حددها الإسلام جاءت أكثر اشباعاً لكل الطموحات التى انشدّت الى هذه الفكرة منذ فجر التأريخ الدينى، وأغنى عطاءاً وأقوى إثارة لأحاسيس المظلومين والمعذّبين على مر التأريخ. وذلك لأن الإسلام حوّل الفكرة من غيب الى واقع، ومن مستقبل الى حاضر، ومن التطلع الى منقذ تتمخض عنه الدنيا فى المستقبل البعيد المجهول الى الإيمان بوجود المنقذ فعلاً وتطلعه مع المتطلعين الى اليوم الموعود الى اكتمال كلّ الظروف التى تسمح له بممارسة دوره العظيم. فلم يعد المهدى (عليه السلام) فكرة ننتظر ولادتها، ونبوءة نتطلع الى مصداقها، بل واقعاً قائماً ننتظر فاعليته، وإنساناً معيّناً يعيش بيننا بلحمه ودمه، نراه ويراناً، ويعيش آمالنا وآلامنا ويشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المعذّبين وبؤس البائسين وظلم الظالمين، ويكتوى بذلك من قريب أو بعيد، وينتظر بلهفة اللحظة التى يُتاح له فيها أن يمدّ يده الى كل مظلوم وكل محروم وكل بائس ويقطع دابر الظالمين. وقد قُدّر لهذا القائد أن لا يُعلن عن نفسه ولا يكشف للآخرين هويّته ووجوده على الرغم من أنه يعيش معهم انتظاراً للحظة الموعودة. ومن الواضح أن الفكرة بهذه المعالم الإسلامية تقرّب الهوّة الغيبية بين المظلومين كل المظلومين والمنقذ المنتظر، وتجعل الجسر بينهم وبينه فى شعور هم النفسى قصيراً مهما طال الانتظار. ونحن حينما يُراد منّا أن نؤمن بفكرة المهدى بوصفها تعبيراً عن إنسان حى محدد يعيش فعلًا كما نعيش، ويترقب كما نترقب، يُراد الإيحاء إلينا بأن فكرة الرفض المطلق لكل ظلم وجور، والتى يمثلها المهدى، [صفحه ۵۲] تجسدت فعلاً فى القائد الرافض المنتظر، الذى سيظهر وليس فى عنقه بيعة لظالم كما فى الحديث، وإنّ الإيمان به إيمان بهذا

الرفض الحی القائم فعلاً ومواکبة له» [۴۱] . [صفحه ۵۳]

المهدی الموعود و غیبته فی القرآن الکریم

اشاره

إنّ أبرز ما تتمیز به عقیدة مدرسة أهل البیت(علیهم السلام) فی المهدی الموعود هو القول بوجوده بالفعل وغیبته وتحدد هویته بأنّه الإمام الثانی عشر من أئمة العترة النبویة الطاهرة، وأنه قد ولد بالفعل من الحسن العسکری(علیه السلام) سنة (۲۵۵ هـ) وتولی مهام الإمامة بعد وفاة أبیه العسکری سنة (۲۶۰ هـ) وکانت له غیبتان الاُولی وهی الصغری استمرت الی سنة (۳۲۹هـ) کان الإمام یتصل خلالها بشیعته عبر سفرائه الخاصین، ثم بدأت الغیبة الکبری المستمرة حتی یومنا هذا والی أن یأذن الله عزّ وجلّ بالظهور لأنجاز مهمته الکبری فی إقامة الدولة الاسلامیة العالمیة التی یسیطر فیها العدل والقسط علی أرجاء الأرض ان شاء الله تعالی. ویتفق أهل السنة علی انتماء المهدی الموعود لأهل البیت(علیهم السلام) وأنه من ولد فاطمة(علیها السلام) وقد اعتقد جمع منهم بولادته لکن بعضهم ذهب الی أنه سیُولد ویظهر فی آخر الزمان لیحقق مهمته الموعودة دون أن یستند الی دلیل نقلی ولا ـ عقلی فی ذلک سوی الاستناد الی الأحادیث المشیرة الی أن ظهوره یکون فی آخر الزمان. ولیس هذا دلیلاً ـ تاماً علی أن ولادته ستکون فی آخر الزمان أیضاً کما أنه لیس فیه نفی للغیبة؛ لأنها والظهور لا یکونان فی زمن [صفحه ۵۴] واحد لکی یُقال بأنَّ إثبات الظهور فی آخر الزمان یعنی نفی الغیبة دفعاً لاجتماع النقیضین المحال عقلاً ـ فرأی الإمامیة هو أن الغیبة تکون قبل الظهور فلا تعارض بینهما. ومدرسة أهل البیت(علیهم السلام) تقدم الأدلة لإثبات الغیبة بتفصیل فی کتبها العقائدیة المشهورة [۴۲] . وقد لاحظنا سابقاً أن البشارات السماویة الواردة فی الأدیان السابقة بشأن المنقذ العالمی الموعود فی آخر الزمان لا تنطبق بالکامل إلّا علی المهدی ابن الحسن العسکری(علیهما السلام) الذی تؤمن به مدرسة أهل البیت (علیهم السلام)، بل وتصرّح بغیبته وهذا أهم ما یمیّز رأی الإمامیة کما تصرّح بأنه خاتم الأئمة الاثنی عشر وتشیر الی خصائص لا تنطبق علی سواه، الأمر الذی جعل التعرّف علی عقیدة الإمامیّة فی المهدی المنتظر وسیلة ناجحة فی حل الاختلاف فی تحدید هویة المنقذ العالمی استناداً الی المنهج العلمی فی دراسة هذه البشارات. ونعرض هنا مجموعةً من الآیات الکریمة التی تدل بصورة مباشرة علی حتمیة أن یکون فی کل زمان إمام حق یهدی الناس الی الله ویشهد علی أعمالهم لیکون حجة الله عزّ وجلّ علی أهل زمانه فی الدنیا والآخرة، والتی تحدد له صفات لا تنطبق ـ فی عصرنا الحاضر ـ علی غیر الإمام المهدی الذی تقول مدرسة أهل البیت(علیهم السلام) بوجوده وغیبته. فتکون هذه الآیات دالة [صفحه ۵۵] علی صحة عقیدة الامامیة فی المهدی المنتظر، وهی فی الواقع من الآیات المثبتة لاستحالة خلو الأرض من الإمام الحق فی أی زمان، ودلالتها علی المقصود واضحة لا تحتاج الی المزید من التوضیح إلّا أن الخلافات السیاسیة التی شهدها التأریخ الإسلامی وانعکاساتها فی تشکیل الآراء العقائدیة؛ أدّت الی التغطیة علی تلک الدلالات الواضحة وصرفها الی تأویلات بعیدة عن ظواهرها البیّنات. ونکمل هذا البحث بدراسة لدلالات طائفة من الأحادیث الشریفة التی صحّت روایتها عن الرسول الأکرم(صلی الله علیه وآله) فی الکتب الستة المعتبرة عند أهل السنة وغیرها من الکتب المعتبرة عند جمیع فرق المسلمین؛ فهی تشکل حجة علیهم جمیعاً؛ وهی تکمل دلالات الآیات الکریمة المشار إلیها وتشخص المصادیق التی حددت الآیات صفاتها العامة. وتثبت أن المهدی الموعود الذی بشر به رسول الله(صلی الله علیه وآله) هو الإمام الثانی عشر من أئمة العترة النبویة وهو ابن الحسن العسکری سلام الله علیه.

عدم خلو الزمان من الإمام

اشاره

قال الله تعالى: (يوم ندعو كل أُناس بإمامهم فمن أَوتى كتابه بيمينه فأُولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلًا ، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلًا) [۴۳] . وهذا نصٌّ صريح على أن لكل أهل زمان «كل أُناس» إمام يُدعون به يوم القيامة. ويكون الاحتجاج به عليهم أو ليكون شاهداً عليهم يوم الحساب وهذا أيضاً يتضمن معنى الاحتجاج عليهم. فَمن هو «الإمام» المقصود فى [صفحه ۵۶] الآية الكريمة الأُولى؟ للاجابة يلزم الرجوع الى المصطلح القرآنى نفسه لمعرفة المعانى المرادة منه والاهتداء به لمعرفة المنسجم مع منطوق النص القرآنى المتقدم. لقد أُطلق لفظ «الإمام» فى القرآن الكريم على مَن يُقتدى به من الأفراد، وهو على نوعين لا ثالث لهما فى الاستخدام القرآنى وهما: الإمام المنصوب من قبل الله تبارك وتعالى لهداية الخلق إليه بأمره عزّ وجلّ، كما فى قوله عزّ وجلّ: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) [۴۴] ، وقوله: (إنى جاعلك للناس إماما) [۴۵] ، وقوله: (ونُريدُ أن نمنّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) [۴۶] ، وقوله: (واجعلنا للمتقين إماماً). [۴۷] فيُلاحظ فى جميع هذه الموارد أنها تنسب جعل الإمامة الى الله سبحانه مباشرة. أما النوع الثانى فهو مَن يُقتدى به للضلال كما فى قوله تعالى: (فقاتلوا أئمة الكفر) [۴۸] ، وقوله: (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون) [۴۹] . هذا فى الأفراد أما فى غير الأفراد فقد اُستخدم فى معنيين وبصورة المفرد فقط، فى حين ورد بالمعانى السابقة بصيغة المفرد وصيغة الجمع، والمعنى الأول هو التوراة كما فى قوله تعالى: (ومن قبله كتابُ موسى إماماً ورحمة) [۵۰] ، وربما يُستفاد من هذا الاستخدام صدق وصف «الإمام» على [صفحه ۵۷] الكتب السماوية الأُخرى أو الرئيسة منها على الأقل. أما المعنى الثانى فهو اللوح المحفوظ كما فى قوله تعالى:(وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين) [۵۱] .

الامام المقصود فى الآية

فمَن هو «الإمام» المقصود فى الآية والذى لا يخلو زمان من مصداق له ويُدعى به أهل عصره يوم القيامة؟ هل هو شخصٌ معيّنٌ؟ أم هو أحد الكتب السماوية فى كل عصر؟ أم هو اللوح المحفوظ؟ لا يمكن أن يكون المراد هنا الكتب السماوية ولا اللوح المحفوظ لأنّ الآية عامة وصريحة بأن مدلولها ـ وهو عدم خلو أى زمان، وأىّ قوم من إمام ـ يشمل الأولين والآخرين، فى حين أن من الثابت قرآنياً وتاريخياً أن أول الكتب السماوية التشريعية هو كتاب نوح(عليه السلام)، فالقول بأن المراد بالإمام فى الآية أحدها فى كل عصر يعنى إخراج الأزمنة التى سبقت نوحاً(عليه السلام) من حكم الآية وهذا خلاف صريح منطوقها بشمولية دلالتها لكل عصر كما يدلّ عليه قوله تعالى (كل أُناس). كما لا يمكن تفسير الإمام فى الآية باللوح المحفوظ؛ لأنه واحدٌ لا يختص بأهل زمان معين دون غيرهم فى حين أن الآية الكريمة تصرّح بأن لكل أُناس إماماً. إذن لا يبقى إلّا القولان الأولان، فالمتعين أن يكون المراد من الإمام فى الآية من يأتمّ به أهل كل زمان فى سبيلى الحق أو الباطل. أو أن يكون المراد فيها إمام الحق خاصة وهو الذى يجتبيه الله سبحانه فى كل زمان لهداية الناس بأمره تبارك وتعالى ويكون حجة الله عزّ وجلّ عليهم يدعوهم به يوم [صفحه ۵۸] القيامة للاحتجاج به عليهم سواءٌ كان نبيّاً كإبراهيم الخليل ومحمد ـ عليهما وآلهما الصلاة والسلام ـ أو غير نبى كأوصياء الأنبياء(عليهم السلام). ويكون المراد بالدعوة فى الآية هو الإحضار، أى إن كل أُناس ـ فى كل عصر ـ محضرون بإمام عصرهم، ثم يُؤتى مَن اقتدى بإمام الحق كتابه بيمينه ويظهر عمى مَن عمى عن معرفة الإمام الحق فى عصره وأعرض عن إتباعه. وهذا ما يعطيه التدبر فى الآيتين الكريمتين مورد البحث كما يقول العلامة الطباطبائى فى تفسيرهما [۵۲] ، وقد عرض فى بحثه لجميع أقوال المفسّرين فى تفسير معنى الإمام هنا وبيّن عدم انسجامها مع الاستخدام القرآنى وظاهر الآيتين، وهى أقوال واضحة البطلان، ولعل أهمها القول بأنّ المراد من الإمام: النبى العام لكل أمة، كأن يُدعى بأمة إبراهيم أو أمة موسى أو أمة عيسى أو أمة محمد ـ صلوات الله عليهم أجميعن ـ وهذا القول أيضاً غير منسجم مع ظاهر الآيتين أيضاً لأنه يُخرج من حكمها العام الأمم التى لم يكن فيها نبى، وهذا خلاف ظاهرهما، كما أنه مدحوض بالآيات الأُخرى التى سنتناولها لاحقاً، إن شاء الله تعالى.

الامام المنقذ من الضلالة

وعليه يكون محصّل الآيتين الكريمتين هو الدلالـة على حتميـة وجود إمام حق يُهتـدى به فى كل عصـر، يكون حجة الله عزّ وجلّ على أهل زمانه فى الـدنيا والآخرة، فتكون معرفته وأتباعه فى الدنيا وسيلة النجاة يوم الحشـر؛ فيما يكون العمى عن معرفته واتباعه فى الدنيا سبباً للعمى والضـلال الأشـد فى الآخرة يوم يُـدعى كل اُناس بإمام زمانهم الحق، ويُقال للضالين عنه: هـذا [صـفحه ۵۹] إمامكم الذى كان بين أظهركم فلماذا عميتم عنه؟ وبـذلك تتم الحجـة البالغة عليهم، وتتضح حكمة دعوتهم وإحضارهم به يوم القيامة. ونصل الآن للسؤال المحورى المرتبط بما دلّت عليه هاتان الآيتان، وهو: ـ مَن هو الإمام الحق الذى يكون حجة الله على خلقه فى عصـرنا هذا؟ فإنّه لابـد للإمـام الحقّ من مصـداق فى كـلّ العصور كمـا نصت عليه الآيتـان المتقـدمتان. وللإجابـة على هـذا السؤال من خلاـل النصوص القرآنيـة وحدها ـ باعتبارها حجة على الجميع ـ ينبغى معرفة الصـفات التى تحددها الآيات الكريمة للإمام الحق، ثم البحث عمن تنطبق عليه فى زماننا هذا.

المواصفات القرآنية لإمام الهدى

والمسـتفاد من تفسـير الآيتين المتقدمتين أن الإمام المقصود يجب أن تتوفر فيه الصـفات التى تؤهله للاحتجاج به على قومه يوم القيامة مثل القـدرة على الهدايـة والأهليـة لأن يكون اتّباعه موصـلًا للهـدى وتكون طاعته معبّرةً عن طاعة الله تبارك وتعالى، وأن يكون قادراً على معرفـة حقـائق أعمال الناس وليس ظواهرها، أى أن يكون هادياً لقومه وشـهيداً على أعمالهم، الأمر الـذى يسـتلزم أن يكون قادراً على تلقى الهدايـة الإلهيـة وحفظهـا ونقلها للناس، كما يجب أن يكون أهلًا لأن يتفضل عليه الله عزّ وجلّ بعلم الكتاب والأسـباب التى تؤهله لمعرفـة حقائق أعمال الناس للشـهادة بشأنها والاحتجاج به عليهم يوم القيامـة. وسـيأتى المزيـد من التوضـيح لذلك فى الفقرتين اللاحقتين. كما ينبغى أن يكون متحلياً بأعلى درجات العدالة والتُّقى لكى لا يخلّ بأمانة نقل الهداية الإلهية الى قومه، وكذلك لكى لا يحيف فى شـهادته عليهم يوم القيامة. أى أن يتحلى بدرجة عالية من العصـمة، وهذا ما صـرّح به القرآن [صـفحه ۶۰] الكريم فى قوله تعـالى: (وإذْ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمـات فـأتمهن قـال إنى جاعلـك للنـاس إمامـاً قال: ومن ذريتى قال: لا ينال عهـدى الظالمين). [۵۳] فالإمامـة «عهـد» من الله تبـارك وتعـالى لاـ ينال من تلبس بظلم مطلقاً، ومعلومٌ أن ارتكاب المعاصـى مصـداق من مصاديق الظلم؛ لـذا فالمؤهل للإمامة يجب أن يكون معصوماً. وحيث إن الله تبارك وتعالى قد أقرَّ طلب خليله إبراهيم النبى(عليه السـلام) فى جعل الإمامة فى ذريته ولم يقيّـدها إلّا بأنها لا تنال غير المعصومين، نفهم أن الذريـة الابراهيميـة لا تخلو من متأهل للإمامة الى يوم القيامة، وهذا ما يؤكـده قوله عزّ وجلّ: (وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلّهم يرجعون) [۵۴] . ولما كانت الإمامـة عهداً إلهياً، كان الإمام مختاراً لها من الله عزّ وجلّ ـ وهو الأعلم حيث يجعل رسالته ـ وهذا ما تؤكده الآيات الكريمة فقد نسـبت جعل الإمام الى الله مباشـرة ولم تنسبه لغيره كما هو واضـحٌ فى الآيتين المتقـدمتين من سورتى الزخرف والبقرة وغيرهما. ويتحقق هذا الاختيار الإلهى لشـخص معيّن للإمامة من خلال النص الصادر من ينابيع الوحى ـ القرآن والسـنة ـ أو مَن ثبتت إمامته وعصمته، أو ظهور المعجزات الخارقة للعادة على يديه حيث تثبت صحـة ادعـائه الإمامـة. إذن فإمـام زماننـا الـذى دلّت آيتـا سورة الاسـراء على حتميـة وجوده يجب أن يكون هادياً لقومه وشـهيداً على أعمـالهم ليصـح الإحتجـاج به يوم القيامـة، وأن يكون معصوماً أو على الأقل متحليّاً بدرجـة عاليـة من العدالـة تؤهله للقيام بمهمته فى الهدايـة والشـهادة؛ ومـن الذريـة الابراهيميـة الـتى ثبت [صـفحه ۶۱] بقـاء الإمامـة فيهـا، وأن يكـون منصوصـاً عليـه من قبـل الرسـول الأعظم(صلى الله عليه وآله) أو مَن ثبتت إمامته، أو أن يكون قد ظهرت على يديه من المعجزات وأثبتت ارتباطه بالسماء وصحة ادعائه الإمامة.

مصداق الإمام فى عصرنا الحاضر

فمن الـذی تتوفر فیه هـذه الصـفات فی عصـرنا الحاضـر؟ من الواضـح أنه لا یوجـد شـخص ظاهر تنطبق علیه هذه الصـفات ولیس ثمة شخصٌ ظاهرٌ یدعیها أیضاً، فهل یکون عدم وجود شـخص ظاهر تتوفر فیه هذه الصـفات یعنی خلو عصرنا من مثل هذا الإمام؟ الجواب سلبی بالطبع؛ لأنه یناقض صریح دلالة آیتی سورة الاسراء، فلا یبقی أمامنا إلّا القول بوجوده وغیبته وقیامه بالمقدار اللازم للاحتجاج به علی أهـل زمانه یوم القیامـة والـذی هو من مهام الإمام، حتی فی غیبته. وهـذا ما تقوله مدرسـة أهل البیت(علیهم السـلام) فی المهـدی المنتظر(علیه السـلام) وتتمیز به، وتقیم الأدلة النقلیة والعقلیة الدالة علی توفر جمیع الشـروط والصفات المتقدمة فیه من العصمة والنص علیه من الرسـول الأـعظم(صـلی الله علیه وآله) ومَن ثبتت إمـامته من آبـائه(علیهم السـلام)، کمـا ثبت صـدور المعجزات عنه فی غیبته الصـغری بل والکبری أیضاً وقیامه عملیاً بما یتیسّر له من مهام الإمامة فی غیبته کی یتحقق الاحتجاج به علی أهل زمانه، کما هو مدوّن فی الکتب التی صـنّفها علماء هـذه المدرسة [۵۵] . [صـفحه ۶۲] وتکفی هنـا الإشـارة الی أن بعض هـذه الکتب قـد دوّنت قبل ولادة الإمام المهـدی(علیه السـلام) بفترة طویلـة تفوق القرن وفیها أحادیث شـریفة تضـمّنت النص علی إمامته والإخبار عن غیبته وطول هذه الغیبـة قبـل وقوعهـا وهـذا أوضـح شاهـد علی صـحتها کمـا اسـتدل بـذلک العلماء إذ جاءت الغیبـة مصدّقـة لما أخبرت عنه النصوص المتقدمة علیها وفی ذلک دلیل واضح علی صدورها من ینابیع الوحی [۵۶] .

فی کل زمان إمام شهید علی امته

اشاره

قال تعالی: (فکیف إذا جئنا من کلّ اُمة بشـهید وجئنا بک علی هؤلاء شهیداً) [۵۷] . وقال: (ویومَ نبعث من کلّ اُمة شـهیداً ثمّ لا یُؤذن للّذین کفروا ولا هم یُستعتبون) [۵۸] . وقال: (ویومَ نبعثُ فی کل أُمة شـهیداً علیهم من أنفسهم وجئنا بک شهیداً علی هؤلاء...) [۵۹] . وقـال: (ونزعنا من کلّ اُمّـة شـهیداً فقلنا هاتوا برهانکم فعلموا أنّ الحقّ لله وضلّ عنهم ما کانوا یفترون) [۶۰] . إن هـذه الآیات الکریمة تتحـدث عن الاحتجـاج الإلـهی علی البشـر یـوم القیامـة، وهـو الاحتجـاج نفسه الـذی لاحظنـاه فی آیـتی سـورة الإسـراء [صـفحه ۶۳] المتقدمتین، وهی تدعم وتؤکد دلالتهما علی حتمیة وجود إمام حق فی کل عصر یحتج به الله جلّ وعلا علی أهل کل عصر «کل أمة، کـل اُنـاس» فیما یرتبط بالهدایـة والضـلال وانطباق أعمالهم علی الـدین الإلهی القیم. واضـحٌ أن مقتضـی کونه حجـة لله علی خلقه أن یکون عالماً بالشـریعة الإلهیـة من جهـة لکی یکون قادراً علی هدایة الخلق إلیها وأن یکون بین أظهرهم للقیام بذلک، هذا أولاً، وثانیاً أن یکون محیطاً بأعمال قومه لکی یکون شـهیداً علیهم، أی یسـتطیع الشـهادة یوم القیامـة بشأن مواقفهم تجاه الـدین القیم. وواضح أن الشهادة المذکورة فی هذه الآیات مطلقة، «وظاهر الجمیع علی إطلاقها هو الشهادة علی أعمال الأمم وعلی تبلیغ الرسل أیضاً» [۶۱] وقد صرّح الزمخشـری فی الکشاف بذلک وقال: «لأن أنبیاء الأمم شـهداء یشـهدون بما کانوا علیه» [۶۲] ، وأن الشـهید: «یشهد لهم وعلیهم بالایمان والتصـدیق والکفر والتکذیب». [۶۳] والشـهید یجب أن یکون حیاً معاصـراً لهم غیر متوفی کما یشـیر لـذلک قوله تعالی علی لسان عیسی(علیه السلام): (وکنت علیهم شهیداً ما دمتُ فیهم فلمّا توفّیتنی کنت أنت الرّقیب علیهم وأنت علی کلّ شیء شهید) [۶۴] . یُستفاد من هـذه الآیـة أن إعلان نتاج الشـهادة یکون فی یوم القیامة لکن الإحاطة بموضوعها أی أعمال القوم یکون فی الدنیا وخلال معاصـرة الشـهید لاُمته لقوله تعالی: (وکنتُ علیهم شـهیداً مادمتُ فیهم، فلمّا توفّیتنی...)، لذلک یجب أن یکون الشـهید الذی یحتج به الله یوم القیامـة معاصـراً لمن یشـهد علیهم، لـذلک لا یمکن حصـر الشـهداء علی الأمم بالأنبیاء(علیهم السـلام) کما فعل الزمخشـری [صفحه ۶۴] فی تفسیره [۶۵] ، بل یجب القول بأن فی کل عصر شهیدٌ علی أعمال معاصریه، کما صرّح بذلک الفخر الرازی فی تفسیره حیث قال: «أما قوله تعالی: (ونزعنا من کل أمـة شـهیداً)، فالمراد میّزنا واحداً لیشـهد علیهم، ثم قال بعضـهم هم الأنبیاء یشـهدون بأنهم بلّغوا القوم الـدلائل وبلّغوا فی إیضاحها کل غایة لیُعلم أن التقصـیر منهم أی من الناس فیکون ذلک زائداً فی غمهم. وقال آخرون: بل

هم الشهداء الذين يشهدون على الناس فى كل زمان، ويدخل فى جملتهم الأنبياء، وهذا أقرب لأنه تعالى عمَّ كل أَمة وكل جماعة بأن ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه الأحوال التى لم يُوجد فيها النبى وهى أزمنة الفترات والأزمنة التى حصلت بعد محمد(صلى الله عليه وآله) فعلموا حينئذ أن الحق لله ولرسوله...» [۶۶] . إذن فلابد من وجود شهيد على الأمة فى هذا العصر كما هو الحال فى كل عصر، يؤيد ذلك استخدام آيتى سورة النساء والحج لاسم الإشارة «هؤلاء» فى الحديث عن شهادة الرسول الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله): (وجئنا بك شهيداً على هؤلاء)إشاره الى معاصريه فيما يكون شهداء آخرون على الأجيال اللاحقة [۶۷] فمَن هو الشهيد علينا فى هذا العصر؟! نعود الى الآيات الكريمة لمتابعة ما تحدده من الصفات الهادية الى معرفته والإجابة على هذا التساؤل.

صفات الشهيد الإمام

إن الآية (۸۹) من سورة الحج تصرّح بأنه من البشر أنفسهم (شهيداً من أنفسهم) وهو المستفاد من الآيات الاُخرى فهى تستخدم «من» التبعيضية فى [صفحه ۶۵] قوله تعالى: (من كل اُمّة). فالشهيد هو كالأنبياء بشرٌ، لا ـ هو من الملائكة ولا من الجن ولا من الكتب السماوية ولا اللوح المحفوظ، وفى هذا تأييد لما تقدم فى الحديث عن آيتى سورة الإسراء أن المقصود فيهما من الإمام شخص لا كتاب سماوى، إذ أن الآيتين تتحدثان عن الاحتجاج الإلهى به على اُمّته وهذا هو دور الشهيد فى هذه الآيات أيضاً، فالمقصود واحد فى كلتا الحالتين، فالإمام هو أيضاً منهم. والآيات الكريمة تستخدم صيغة المفرد فى وصفه، أى إنّ الشهيد على قومه واحد فى زمانه الذى يعاصره حياً، وهذا ينسجم مع استخدام آية سورة الإسراء المتقدمة لصيغة المفرد فى ذكر الإمام (كل اُناس بامامهم). الأمر الذى ينفى التفسير القائل بأن الاُمة الاسلامية جمعاء أو جماعة المؤمنين الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر هى الشهيدة على أعمال قومها أو الأقوام الاُخرى المعاصرة لها، والأمر نفسه يصدق على نفى القول بأن مصداق هذه الآيات هم «الأبدال» الذين لا يخلو منهم زمان كما ورد فى الروايات المروية من طريق الفريقين. [۶۸] بل شهيد الأعمال فى زمانه واحدٌ لا أكثر. وحيث إن دوره هو الشهادة على أعمال اُمته بالكفر والتكذيب أو الإيمان والتصديق كما تقدم القول عن الزمخشرى وهذه حالات قلبية وحيث إن: «من الواضح أن هذه الحواس العادية فينا والقوى المتعلّقة بها منا لا تتحمّل إلّا صور الأفعال والأعمال فقط، وذلك التحمل أيضاً إنما يكون فى شىء يكون موجوداً حاضراً عند الحس لا ـ معدوماً ولا ـ غائباً عنه، وأما حقائق الأعمال والمعانى النفسانية من الكفر والإيمان والفوز والخسران، وبالجملة [صفحه ۶۶] كل خفى عن الحس، ومستبطن عند الإنسان ـ وهى التى تكسب القلوب وعليه يدور حساب رب العالمين يوم تبلى السرائر كما قال تعالى: (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) [۶۹] ، فهى مما ليس فى وسع الإنسان إحصاؤها والإحاطة بها وتشخيصها من الحاضرين فضلًا عن الغائبين إلّا رجل يتولى الله أمره ويكشف ذلك له بيده» [۷۰] . لذلك يجب أن تكون للشهيد على أُمته إحاطة علمية ربانية بحقائق أعمالهم لأن قيمة الأعمال فى الميزان الإلهى هى لحقائقها الباطنية ودوافعها ونواياها كما هو واضح، لذلك لا يمكن أن يكون هذا الشهيد على أُمته شخصاً عادياً بل من الذين يحظون بنعمة التسديد الإلهى المباشر ومن الذين ارتضاهم الله سبحانه فأطلعهم على غيبه إذ من مصاديق غيبه معرفة بواطن أعمال الناس. ومن المعلوم أن هذه الكرامة ليست تنالها جميع الأمة، إذ ليست [هى] إلّا كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم، وأما مَن دونهم من المتوسطين فى السعادة والعدول من أهل الإيمان فليس لهم ذلك... إن أقل ما يتصف به الشهداء ـ وهم شهداء الأعمال ـ أنهم تحت ولاية الله ونعمته وأصحاب الصراط المستقيم» [۷۱] .

الشهيد عنده علم الكتاب

وواضح أن هذا الإطلاع على بواطن الناس غير ممكن بالأسباب الطبيعية المتعارفة بل يحتاج الى نمط خاص من العلم يتفضل به الله تبارك [صفحه ۶۷] وتعالى بحكمته على مَن يشاء من عباده ـ وهو عزّ وجلّ الأعلم حيث يجعل رسالته [۷۲] ـ فيتمكن به العبد من

تجاوز ما تعارف علیه الناس من الأسباب الطبیعیة والقیام بما یمکن القیام به بواسطة هذه الأسباب فتکون له مرتبة من الولایة التکوینیة وتجاوز الأسباب الطبیعیة بإذن الله، وهذا النمط الخاص من العلم هو ما سُمّی فی القرآن الکریم بـ «علم الکتاب». کما نلاحظ ذلک فی قصة إتیان آصف بن برخیا بعرش بلقیس من الیمن الی فلسطین فی طرفة عین؛ فقد علل القرآن قدرته علی القیام بهذا العمل فی زمن قصیر للغایة بحیث لا یتصوّر تحققّه علی وفق الأسباب الطبیعیة، بما کان لدیه من علم الکتاب. لاحظ قوله عزّ وجلّ: (قال الذی عنده علمٌ من الکتاب أنا آتیک به قبل أن یرتدّ إلیک طرفک فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربّی) [۷۳] . وکان آصف بن برخیا وصیّاً لسلیمان النبی(علیه السلام) أراد أن یعرّف الناس بأنه الحجة من بعده بإبراز علمه المأخوذ من الکتاب [۷۴] ، وکان عنده مقدار معیّن من علم الکتاب ولیس کلّه کما هو واضح من استخدام «من» التبعیضیة فی الآیة المتقدمة. ومنه یتضح أن الذی لدیه علم الکتاب کلّه تکون له مرتبة أعلی من هذه الولایة التکوینیة والتصرف فی الأسباب والقدرة علی الإحاطة ببواطن أعمال الناس وتقدیم الشهادة الکاملة بأحقیة الرسالة الإلهیة. وعلیه فالشهید علی قومه ینبغی أن یکون لدیه علم من الکتاب ـ کلًا [صفحه ۶۸] أو بعضاً ـ أو یمکن القول کحدٍّ أدنی بأن الذی عنده هذا النمط الخاص من العلم قادرٌ علی ذلک. یقول: عزّ من قائل فی آخر سورة الرعد: (ویقول الذین کفروا لست مُرسلًا قل کفی بالله شهیداً بینی وبینکم ومَن عنده علم الکتاب) [۷۵] . وقد ثبت من طرق أهل السنة ـ کما نقل ذلک الحاکم الحسکانی فی شواهد التنزیل [۷۶] ـ ومن عدة طرق، وکذلک ثبت من طرق مذهب أهل البیت(علیهم السلام) [۷۷] : أن الآیة الکریمة نزلت فی الإمام علی(علیه السلام)، وإن علم الکتاب عنده وعند الأئمة من أولاده(علیهم السلام) ولیس هناک من یدعیه غیرهم وقد صدّقت سیرتهم(علیهم السلام) ذلک والکثیر مما نقله عنهم حفاظ أهل السنة والشیعة یشهد علی صدق مدعاهم هذا. إذن فالمتحصل من الآیات الکریمة المتقدمة: ۱ ـ حتمیة وجود من یجعله الله تبارک وتعالی شهیداً علی أعمال العباد فی کل عصر بحیث یحتج به علی أهل عصره وأمته یوم القیامة، فهو إمام زمانهم الذی یُدعون به، ویکون من أنفسهم. ۲ ـ وهذا الإمام الشهید قد یکون نبیاً وقد یکون من الأوصیاء فی الفترات التی لیس فیها نبیّ کما هو حال عصرنا الحاضر والعصور التی تلت عصر خاتم الأنبیاء محمد(صلی الله علیه وآله). إذ الآیات مطلقة تشمل کل الأزمان کما هو ظاهر. فالإمام الشهید موجود إذن فی عصرنا الحاضر. ۳ ـ والإمام الشهید فی عصرنا الحاضر حیٌّ أیضاً کما هو المستفاد مما حکاه القرآن الکریم علی لسان عیسی(علیه السلام). [صفحه ۶۹] ۴ ـ ولابدّ أن یکون هذا الإمام الشهید علی أهل زمانه مسدّداً بالعنایة الإلهیة ممن تفضّل الله عزّ وجلّ علیه بنمط من الولایة التکوینیة التی یصل بها الی حقائق أعمال من یشهد لهم أو علیهم یوم القیامة. ومظهر هذا التسدید والفضل الإلهی هو أن یکون لدیه علم من الکتاب أو علم الکتاب کلّه. ۵ ـ وحیث إن مثل هذا الشخص غیر ظاهر فلابد من القول بغیبته الظاهریة، وقیامه بما یؤهله لأن یحتج الله تبارک وتعالی به یوم القیامة خلال غیبته. ۶ ـ قد ثبت ـ من طرق أهل السنة والشیعة ـ أن لدی الإمام علی والأئمة من أولاده(علیهم السلام) علم الکتاب حسب ما نص علیه القرآن الکریم بالوصف الذی لا ـ ینطبق علی غیره. وقد أثبت المفسر الکبیر العلّامة محمد حسین الطباطبائی(رحمه الله) فی کتابه القیم «المیزان فی تفسیر القرآن»، عدم انسجام الأقوال الاُخری مع منطوق الآیة الأخیرة من سوره الرعد لذلک فإن المواصفات المستفادة من الآیات الکریمة تنطبق علیهم، وحیث لم یدّعِ غیرهم ذلک فانحصر الأمر بهم. وقولهم فی الإمام الثانی عشر منهم، وهو محمّد بن الحسن العسکری ـ علیهم السلام جمیعاً ـ وقولهم بغیبته وقیامه بمهام الإمامة وما تقتضیه مهمة الشهادة علی أهل زمانه یوم القیامة؛ ینسجم بشکل کامل مع دلالات الآیات الکریمة المتقدّمة التی لا ـ تنطبق علی غیره کما هو واضح بالاستقراء لعقائد الفرق الاُخری. إن هذه الطائفة من الآیات الکریمة تهدی الی حتمیة وجود مهدی آل البیت(علیهم السلام) وغیبته وقیامه بما تقتضیه مسؤولیة الشهادة الاحتجاجیة یوم القیامة. وهذا ما تؤکده کما سوف نری الآیات اللاحقة. [صفحه ۷۰]

لا یخلو زمان من هاد الی الله بأمره

اشاره

قال تعالى: (ويقول الذين كفروا لولا أُنزل عليه آيةٌ من ربّه إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد) [۷۸] . تصرّح الآية الكريمة وعلى نحو الإطلاق بأن (لكل قوم هادٍ). واستناداً الى إطلاقها يُستفاد أن ثمة هاد الى الحق فى كل عصر. وهذه الحقيقة منسجمة مع ما تدل عليه الآيات الكريمة وصحاح الأحاديث الشريفة والبراهين العقلية من أن ربوبية الله لخلقه اقتضت أن يجعل سبحانه وتعالى لهم فى كل عصر حجة له عليهم يهديهم الى الحق، طبقاً لسنته الجارية فى جميع مخلوقاته فى هدايتهم الى الغاية من خلقها فهو كما قال: (الذى خلق فسوى ، والذى قدّر فهدى). [۷۹] وهذه السنة جارية على بنى الإنسان أيضاً فهو تعالى الذى خلقهم وقدّر بأن يهديهم الى كمالاتهم المقدّرة لهم ويدلهم على مافيه صلاحهم فى دنياهم وأُخراهم. معنى الآية الكريمة هو أن الكفار يقترحون عليك [أيّها النبى الخاتم(صلى الله عليه وآله)]آية؛ وعندهم القرآن أفضل آية؛ وليس إليك شيءٌ من ذلك، وإنما أنت هاد تهديهم من طريق الإنذار، وقد جرت سنة الله فى عباده على أن يبعثَ فى كل قوم هادياً يهديهم.

معنى الهادى فى القرآن

والآية التى ذكرت أعلاه تدل على أن الأرض لا تخلو من هاد يهدى [صفحه ۷۱] الناس الى الحق، «إما أن يكون نبيّاً وإما أن يكون هادياً غير نبىّ يهدى بأمر الله». [۸۰] وإطلاق الآية الكريمة ينفى حصر مصداق «الهادى» فى الآية بالأنبياء(عليهم السلام) كما ذهب لذلك الزمخشرى فى الكشاف فى تفسير الآية. لأن هذا الحصر يخرج الفترات التى لم يكن فيها نبىّ من حكم الآية الكريمة العام وهذا خلاف ظاهرها المصرّح بوجود هاد فى كل عصر لا تخلو الأرض منه. فمَن هو الهادى فى عصرنا الحاضر؟ نرجع الى القرآن الكريم للحصول على الإجابة، فنلاحظ الآيات الكريمة تحصر أمر الهداية الى الحق على نحو الأصالة بالله تبارك وتعالى، ثم تثبتها للهادين بأمره على نحو التبعية، يقول عزّ وجلّ: (قُل هل من شركائكم مَن يهدى الى الحقّ قل الله يهدى للحقّ أفمن يهدى الى الحق أحقُّ أن يتّبع أمّن لا يهدّى إلاّ أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون) [۸۱] . تلخّص الآية الكريمة وبلغة إحتجاجية الرؤية القرآنية لموضوع الهداية الى الحق التى فصلتها العديد من الآيات الكريمة، وهى حصر الهداية الى الحق بالله تبارك وتعالى على نحو الإطلاق: «قل الله يهدى الى الحق». ثم قررت الآية الكريمة أن الذى يجب اتباعه من الخلق ليس الذى لا يستطيع أن يهدى إلاّ أن يهتدى بغيره من البشر، بل الذى يكون مهتدياً بنفسه دون الحاجة الى غيره من البشر، فإن الكلام فى الآية ـ كما يقول العلامة الطباطبائى(رحمه الله) فى تفسيرها: «قد قوبل فيه قوله: (يهدى الى الحق)بقوله (مَن لا يهدِّى) مع أن الهداية الى الحق يقابلها عدم الهداية الى الحق، وعدم الاهتداء الى الحق يقابله الاهتداء الى الحق، فلازمُ هذه المقابلة الملازمةُ بين الاهتداء بالغير وعدم الهداية الى الحق، وكذا الملازمة بين [صفحه ۷۲] الهداية الى الحق والاهتداء بالذات فالذى يهدى الى الحق يجب أن يكون مهتدياً بنفسه لا بهداية غيره والذى يهتدى بغيره ليس يهدى الى الحق أبداً. هذا ما تدل عليه الآية بحسب ظاهرها الذى لا ريب فيه وهو أعدل شاهد على أن الكلام موضوع فيها على الحقيقة دون التجوزات المبنية على المساهلة التى نبنى عليها ونتداولها فيما بيننا معاشر أهل العرف فننسب الهداية الى الحق الى كل مَن تكلّم بكلمة حق ودعا إليها وإن لم يعتقد بها أو اعتقد ولم يعمل بها أو عمل ولم يتحقق بمعناها، وسواءٌ اهتدى إليها بنفسه أو هداه إليها غيره. بل الهداية الى الحق ـ التى هى الإيصال الى صريح الحق ومتن الواقع ـ ليس إلاّ لله سبحانه أو لمن اهتدى بنفسه أى هداه الله سبحانه من غير واسطة تتخلل بينه وبينه، فاهتدى بالله وهدى غيره بأمر الله سبحانه... وقد تبيّن بما قدّمناه فى معنى الآية أمور: أحدها: أن المراد بالهداية الى الحق ماهو بمعنى الإيصال الى المطلوب دون ماهو بمعنى إراءة الطريق المنتمى الى الحق فإن وصف طريق الحق يتأتى من كل أحد سواء اهتدى الى الحق بنفسه أو بغيره أو لم يهتد. وثانيها: أن المراد بقوله: (من لا يهدِّى إلاّ أن يهدى) هو من لا يهتدى بنفسه، وهذا أعم من أن يكون ممّن يهتدى بغيره أو يكون ممن لا يهتدى أصلاً لا بنفسه ولا بغيره... وثالثها: أن الهداية الى الحق ـ بمعنى الإيصال إليه ـ إنما هى شأن مَن يهتدى بنفسه: أى لا واسطة بينه وبين الله سبحانه فى أمر الهداية إما من بادئ أمره أو بعناية خاصة من الله سبحانه كالأنبياء والأوصياء من الأئمة. وأما الهداية بمعنى إراءة الطريق ووصف السبيل فلا يختص به

تعالی ولا بالأئمة [صفحه ۷۳] من الأنبیاء والأوصیاء، کما یحکیه الله تعالی عن مؤمن آل فرعون إذ یقول: (وقال الذی آمن یا قوم اتّبعونِ أهدکم سبیل الرّشاد)... [۸۲] . وأما قوله تعالی خطاباً للنبی(صلی الله علیه وآله) وهو إمام: (إنّک لا تهدی مَنْ أحببت ولکنّ الله یهدی مَنْ یشاء) [۸۳] وغیرها من الآیات فهی مسوقة لبیان الأصالة والتبع کما فی آیات التوفی وعلم الغیب ونحو ذلک مما سبقت لبیان أن الله سبحانه هو المالک لها بالذات والحقیقة، وغیره یملکها بتملیک الله ملکاً تبعیاً أو عرضیاً ویکون سبباً لها بإذن الله، قال تعالی: (وجعلناهم أئمّة یهدون بأمرنا) [۸۴] ، وفی الأحادیث اشارة الی ذلک وأن الهدایة الی الحق شأن النبی وأهل بیته ـ صلوات الله علیهم أجمعین. انتهی قول العلاّمة الطباطبائی(رحمه الله) فی تفسیر الآیة ملخصاً وقد عرض الأقوال الاُخری الواردة فی تفسیر الآیة وبیّن عدم انسجامها مع منطوق الآیة نفسها [۸۵] . والمتحصّل من التدبر فیها هو حصر الهدایة الی الحق بمعنی الایصال الی صریحه بالله تبارک وتعالی بالأصالة وبالتبع بمن کان مهدیاً بنفسه من قبل الله تبارک وتعالی إذ یتحلّی بدرجة عالیة من الاستعداد الذاتی لتلقی المنح الخاصة بالهدایة من الله تبارک وتعالی سواء عن طریق الوحی إذا کان نبیّاً أو عن طریق الإلهام الإلهی الخاص إذا لم یکن نبیّاً؛ وکذلک للحصول علی «أمر الله» للقیام بمهمة الهدایة الیه عزّ وجلّ، ومراجعة الآیات التی تتحدث عن «أمر الله» تقودنا ـ وبوضوح ـ الی معرفة أنه یشمل الولایة التکوینیة والتصرّف الخاص إذ لا تجد آیة فی القرآن الکریم تذکر «أمر الله» دون أن یقتصر معناه علی ولایته التکوینیة أو یشملها الی جانب الولایة التشریعیة «فالإمام هاد یهدی بأمر [صفحه ۷۴] ملکوتی یصاحبه، فإلامامة بحسب الباطن نحو ولایة للناس فی أعمالهم» [۸۶] . وبهذه الولایة التکوینیة یستطیع الهادی الی الله بأمره أن یتصرّف بالأسباب ویصل الی حقائق وبواطن العباد فیعطیهم من حقائق الهدایة ما یناسبهم، وهذا التصرّف هو الذی ساقنا إلیه التدبر فی الآیات الناصة علی وجود شهید فی کل زمان علی أهل عصره.

الهادی منصوب من الله

وبالرجوع ثانیة الی القرآن الکریم نجده یصرّح بأن الذی یکون هادیاً للناس بأمر الله تبارک وتعالی هو الإمام المنصوب لذلک من قبل الله تعالی کما هو واضحٌ من قوله تعالی: (وجعلناهم أئمة یهدون بأمرنا) [۸۷] . وفی هذا تأکید لما دلّت علیه آیات الإمامة وأنها عهد إلهی یجعله الله فیمن یختاره من عباده، کما أشرنا لذلک فی الحدیث عن آیات سورة الاسراء وصفات الإمام. نعود للآیة مورد البحث من سورة الرعد فهی تصرّح بأنه (لکل قوم هاد)علی نحو الإطلاق ومصداق الهادی المراد فیها لا یمکن أن یکون أحد الکتب السماویة للسبب نفسه الذی أوردناه فی معرفة مصداق «الإمام» فی آیة سورة الإسراء، کما لا یمکن حصر المصداق بالنبی لما قلنا من أنه یخرج الفترات التی لیس فیها نبی من حکم الآیة وهذا خلاف ظاهر الآیة العام الذی یشمل جمیع الأزمان. کما لا یمکن أن یکون المصداق المقصود فی الآیة هو الله سبحانه وتعالی؛ لأن هدایته تشمل جمیع الأزمنة دونما تخصیص بقوم دون قوم، وهذا خلاف ظاهر الآیة، خاصة وأن لفظة «هاد» جاءت بصیغة النکرة، الأمر [صفحه ۷۵] الذی یفید تعدد الهداة. یُضاف الی کل ذلک أن الهدایة الإلهیة للناس تکون بواسطة هداة من أنفسهم مرتبطین به تبارک وتعالی یتلقون منه الهدایة وینقلونها الی عباده، وهؤلاء هم المهتدون بأنفسهم منه تبارک وتعالی دونما واسطة کما تقدم فی تفسیر آیة سورة یونس وهم الذین یهدون بأمره تعالی. وهم الأئمة المنصوبون للهدایة بأمره تعالی کما تقدم حیث لم یرد فی القرآن الکریم وصف الهدایة بأمره إلاّ ـ فی موردین اقترن فیهما بوصفی «الأئمة» وإختیارهم لذلک من قبل الله تعالی، والموردان هما آیة سورة الأنبیاء المتقدمة وآیة سورة السجدة: (وجعلنا منهم أئمّة یهدون بأمرنا لمّا صبروا) [۸۸] . وتکون النتیجة المتحصلة من التدبر فی الآیة الکریمة مورد البحث هی حتمیة وجود إمام هاد الی الله بأمره تبارک وتعالی منصوب لذلک من قبله عزّ وجلّ فی کل عصر فلا تخلو الأرض منه سواء أکان نبیّاً أو غیر نبی. وحیث إن مثل هذا الشخص غیر ظاهر فی عصرنا الحاضر؛ إذ لا یوجد بین المسلمین ـ من أی فرقة کانت ـ مَن یقول بوجود إمام ظاهر هاد بأمر الله منصوب من قبله تعالی ورد النص علیه ممّن قوله حجة إلهیة کما تقدم فی البحث عن آیة سورة الإسراء؛ لذا فلا مناص من القول بغیبته واستتاره، وقیامه

بمهام الإمامهٔ والهدایهٔ مستتراً بأستار الغیبهٔ، فیکون الانتفاع به مثل الانتفاع بالشمس إذا غیّبتها عن الأبصار السحاب کما ورد فی الأحادیث الشریفهٔ [۸۹] وهذا ما تقول به مدرسهٔ أهل البیت (علیهم السلام) فی الامام المهدی وغیبته. [صفحه ۷۷]

المهدی الموعود وغیبته فی المتفق علیه من السنهٔ

اشاره

الی جانب الآیات الکریمهٔ المتقدمهٔ توجد بین أیدینا الکثیر من الأحادیث الشریفهٔ التی صحت روایتها عند أهل السنهٔ والشیعهٔ عن سید المرسلین(صلی الله علیه وآله) بطرق کثیرهٔ، تؤکد دلالات الطائفهٔ المتقدمهٔ من الآیات الکریمهٔ وتفصل مجملاتها وتکمل الصورهٔ التی ترسمها فیما یرتبط بالدلالهٔ علی وجود الإمام المهدی الموعود(علیه السلام) بالفعل وغیبته وتصرح بالمصداق الذی دلت علیه الآیات الکریمهٔ بذکر صفاته العامهٔ. ونختار هنا نماذج من الأحادیث الشریفهٔ المتواترهٔ أو المستفیضهٔ المرویهٔ بأسانید صحیحهٔ عند أهل السنهٔ والمرویهٔ فی الکتب الستهٔ المعتمدهٔ عندهم لأن الاحتجاج بها أبلغ، ولأن تفسیرها وتقدیم المصداق المعقول لها غیر ممکن إلا علی ضوء عقیدهٔ أهل البیت فی المهدی المنتظر(علیه السلام) فیما یرتبط بعصرنا الحاضر خاصهٔ؛ ولأن الرسول الأعظم (صلی الله علیه وآله)، قد صرح فی هذه الأحادیث المختارهٔ بالأهمیهٔ القصوی التی تحظی بها مضامینها کما سنری. [صفحه ۷۸]

حدیث الثقلین

اشاره

وهو من الأحادیث المتواترهٔ، رواه حفاظ أهل السنهٔ والشیعهٔ بأسانید صحیحهٔ عن جم غفیر من أصحاب رسول الله (صلی الله علیه وآله)، عدَّ ابن حجر ـ من علماء أهل السنهٔ ـ أکثر من عشرین منهم فی کتابه الصواعق المحرقهٔ [۹۰] وعدَّ غیره من حفّاظ أهل السنهٔ أکثر من ثلاثین صحابیاً کما فی سنن الترمذی [۹۱] ، وألّف الحافظ أبو الفضل المقدسی المعروف بابن القیسرانی ـ وهو من کبار حفّاظ أهل السنّهٔ ـ کتاباً خاصاً عن طرق هذا الحدیث الشریف. [۹۲] کما أثبتت العدید من الدراسات الحدیثیهٔ تواتره بما لا یدع أی مجال للنقاش أو التشکیک، نظیر ما فعل العلامهٔ المتتبع المیر حسین حامد الموسوی فی موسوعهٔ عبقات الأنوار وغیره من العلماء [۹۳] . ویتضح من روایات هذا الحدیث الشریف أن النبی المکرم (صلی الله علیه وآله) قد کرر مضمونه بعبارات وألفاظ متقاربهٔ فی عدهٔ مناسبات، منها فی یوم عرفهٔ من حجهٔ الوداع، وموقف یوم الغدیر فی طریق عودته منها وبعد انصرافه من الطائف، وفی الجحفهٔ، وفی خطبهٔ له فی مسجده بالمدینهٔ بعد عودته من هذه الحجهٔ، وفی حجرته أیام مرضه (صلی الله علیه وآله) وقد امتلأت الحجرهٔ بالصحابهٔ [۹۴] وکل ذلک یکشف عن أهمیهٔ الوصیهٔ النبویهٔ التی تضمنها الحدیث بالنسبهٔ للإسلام [صفحه ۷۹] والمسلمین وإلا لما أولاها ـ وهو الحریص علی المؤمنین الرؤوف الرحیم بهم ـ کل هذا الاهتمام فی التکرار والتبلیغ فی تلک المواطن المهمهٔ التی تجمع أکبر عدد من المسلمین، خاصهٔ وأنه(صلی الله علیه وآله) کان یبادر لإعلان هذه الوصیهٔ ویؤکدها علی الملأ العام دون أن ینتظر مَن یسأله عنها. ویستفاد من بعض الروایات أن مضمون الوصیهٔ التی تضمنها هذا الحدیث الشریف، هو الذی أراد رسول الله محمد (صلی الله علیه وآله) کتابته للمسلمین فی الأیام الأخیرهٔ من حیاته المبارکهٔ عندما طلب أن یأتوه بکتف ودواهٔ لیملی علیهم وصیهٔ لکی لا یضلوا بعده، کما ورد فی نص حدیث الکتف والدواهٔ هذا المروی فی صحیح البخاری [۹۵] وغیره فمنعوه من ذلک ووقع الاختلاف فصرفهم کما فی حدیث رزیهٔ یوم الخمیس المشهور دون أن یدون الوصیهٔ، إذْ یُلاحظ أن عبارهٔ «لن تضلوا بعدی» المذکورهٔ فی حدیث طلبه کتابهٔ الوصیهٔ عبارهٔ متکررهٔ فی حدیث الثقلین أیضاً، کما تکررت وصیته بأهل بیته وعترته خیراً فی حدیث الثقلین وفی وصایاه فی الساعات الأخیرهٔ من حیاته المبارکهٔ. ویظهر من ذلک بوضوح أن النبی الأکرم (صلی الله علیه وآله) أراد تسجیل مضمون الحدیث الشریف فی

وثيقة نبوية حاسمة للجدال مدونة بحضور كبار صحابته قطعاً للجدال وتوكيداً للأمر. وكل ذلك يبيّن أن الموضوع الذى يتضمنه مهم للغاية وإلا لما أكد عليه هادى الأمم (صلى الله عليه وآله) بهذه الدرجة المشددة، وهذا الأمر يكشف عنه نص الحديث نفسه المصرح بأن العمل بالوصية التى يتضمنها هو [صفحه ۸۰] سبيل النجاة من الضلالة بعده (صلى الله عليه وآله)... كما سيتضح أكثر خلال دراسة نصه. كما أن ثبوت تواتر الحديث الشريف عند المسلمين كافة يجعل من الممكن الاستناد اليه فى المسائل الاعتقادية كما هو ثابت فى علم الكلام الاسلامى، لذا يمكن الاستناد اليه فى قضية الإمامة.

اللفظ المتواتر: كتاب الله و عترتى

واللفظ المتواتر لهذا الحديث الشريف هو الذى ورد فيه ذكر القرآن الكريم وأهل بيت النبى أو عترته ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ـ كمصداق للثقلين والأمر بالتمسك بهما منجاة من الضلالة الى يوم القيامة، طبق ما رواه البخارى فى كتابه التأريخ الكبير ومسلم فى صحيحه والترمذى فى سننه وكذلك النسائى فى خصائصه وابن ماجه فى سننه، وأحمد بن حنبل فى مسنده، والحاكم فى مستدركه وصححه على شرط الشيخين ووافقه فى ذلك الذهبى، وغيرهم كثير [۹۶] ، وما أخرجه مسلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم هو قوله: «... قام رسول الله(صلى الله عليه وآله) فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثم قال: «أما بعد، أيها الناس، فإنما أنا بشر ويوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وأهل بيتى اذكركم الله فى أهل بيتى، اذكركم الله فى أهل بيتى، اذكركم الله فى أهل بيتى» [۹۷] . وأخرج الترمذى فى سننه بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم [صفحه ۸۱] من الآخر: كتاب الله حبل ممدودٌ من السماء الى الأرض، وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما» [۹۸] . وأخرج الحاكم فى مستدركه ما نصّه: «كأننى قد دعيت فأجبت، إنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فإنهما لن يفترقا [يتفرقا] حتى يردا علىَّ الحوض، إن الله مولاى، وأنا ولى كل مؤمن. مَنْ كنت مولاه فعلىٌّ مولاه. اللهم وال من والاه وعادِ مَن عاداه» [۹۹] . وأخرج ابن حجر فى صواعقه ما نصّه: «إنى مخلفٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا ولن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» [۱۰۰] . والألفاظ الأخرى التى أخرجها باقى الحفاظ مقاربة لهذه النصوص. وفى جميعها ورد الحديث بلفظ «كتاب الله وأهل بيتى»، وهو اللفظ المتواتر، لذا فلا اعتبار فى مقابله باللفظ المحرف الذى استبدل عبارة «عترتى أهل بيتى» بكلمة «سنتى»، فأهداف هذا التحريف واضحة والإصرار على ترويجه ارتبط بمصالح الأمويين والعباسيين السياسية، يُضاف الى ذلك أن هذا اللفظ المحرف لم يُرو فى المصادر المعتبرة [۱۰۱] ، وهو فى أفضل الأحوال من روايات الآحاد [صفحه ۸۲] الضعيفة التى لا تفيد علماً ولا عملاً خاصة فى مسألة عقائدية مهمة كالتى يتناولها مضمون الحديث. وحتى لو فرضنا صحة رواية هذا اللفظ المحرف ـ كما فعل ابن حجر فى صواعقه ـ فانّ ذلك لا يعارض اللفظ المتواتر ولا ينقص من دلالته العقائدية المهمة، بل إن الجمع بينهما ممكن وهو يضيف تأكيداً لحقيقة أن سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) هى عند أئمة عترته فهم العلماء بالكتاب والسنة، كما أشار لذلك ابن حجر حيث قال: «... وفى رواية «كتاب الله وسنتى» وهى المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأن السنة مبينة له؛ فأغنى ذكره عن ذكرهما، والحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويُستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة الى قيام الساعة» [۱۰۲] .

دلالات الحديث على وجود الإمام

دلالات الحديث الشريف كثيرة، وقد استدل به العلماء لاثبات معظم مسائل الإمامة حسب مذهب أهل البيت (عليهم السلام) [۱۰۳] ،

نقتصر هنا علی ذکر أهمها ممّا یرتبط بموضوع بحثنا خاصة. ۱ ـ صرّح الحدیث الشریف بأن سبیل النجاة من الضلالة بعد وفاة الرسول (صلی الله علیه وآله)، إنما یکون بالتمسک بالقرآن والعترة النبویة معاً: «ما إن تمسکتم بهما»، ولیس بواحد منهما فقط، بمعنی أن التمسک بأحدهما لا یکون تاماً وحقیقیاً ولن یضمن النجاة من الضلالة إلا إذا اقترن وقاد الی التمسک بالآخر، [صفحه ۸۳] فلن یکون مدعی التمسک بأحدهما صادقاً فی ادعائه لأنهما «لن یفترقا». ۲ ـ حدّد الحدیث بوضوح هویة الثقل الثانی بقوله (صلی الله علیه وآله): «عترتی أهل بیتی»، والعترة کما یقول علماء اللغة: «نسل الإنسان، قال الأزهری: وروی ثعلب عن ابن الأعرابی أن العترة ولد الرجل وذریته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرب من العترة غیر ذلک» [۱۰۴] . وبهذا تخرج نساء النبی (صلی الله علیه وآله) من مصداق الحدیث. بل وحتی مع الأخذ بوصف «أهل بیتی» مجرداً تخرج نساء النبی من المصداق لما أخرجه مسلم فی صحیحه فی ذیل حدیث الثقلین حیث وضّح راوی الحدیث عن زید بن أرقم المقصود عندما سألوه: «مَن أهل بیته، نساؤه؟ قال: لا وأیم الله، إن المرأة تکون مع الرجل من الدهر ثم یطلقها فترجع الی أبیها وقومها. أهل بیته أصله وعصبته الذین حرموا الصدقة من بعده» [۱۰۵] .

مصداق أهل البیت

وقد حدّد رسول الله (صلی الله علیه وآله) نفسه مصداق «أهل البیت» بعد نزول آیة التطهیر، حیث خصصها ببیت فاطمة (علیها السلام)، حیث «انه کان یمر ببیت فاطمة رضی الله عنها ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر فیقول: الصلاة یا أهل البیت، (إنّما یرید الله لیذهب عنکم الرّجس أهل البیت ویطهّرکم تطهیراً)، کما روی ذلک أحمد بن حنبل فی مسنده [۱۰۶] . یُضاف الی ذلک تصریحه بأن هؤلاء هم أهل بیته فی حدیث الکساء المشهور وإخراجه زوجته أم المؤمنین أم سلمة منهم وقوله لها إنها علی خیر [صفحه ۸۴] لکنها لیست من أهل البیت. وحدیث الکساء رواه مسلم فی صحیحه والسیوطی فی الدر المنثور بعدة أسانید صحیحة طبق طرق أهل السنة [۱۰۷] . والثابت أن الإمام علیّاً (علیه السلام) أدخله فی مصداق «أهل البیت» وان لم یکن من صلبه کما هو ظاهر مما تقدم.

عصمة الإمام و توفر شروط الحدیث

۳ ـ إنّ معرفة مصداق «أهل بیتی وعترتی» فی الحدیث الشریف تبین صفة أخری للثقل الثانی هی تحلّیه بالعصمة کما هو واضح من دلالة آیة التطهیر المبارکة [۱۰۸] ، وهذا ما ینسجم مع دلالة الحدیث نفسه علی عصمة الثقل الثانی، فهو یؤکد عدم افتراق الثقلین أبداً وفی أی حال کما هو المستفاد من استخدام أداة «لن» التأبیدیة، ومن الثابت أنّه لا باطل فی القرآن ابداً، لذا فعدم افتراق الثقل الثانی عنه دالّ علی عصمته وإلّا لافترق عن القرآن فی حالات صدور الخطأ أو المعصیة وکل مصادیق الباطل، وهذا ما ینفیه الحدیث صراحةً الأمر الذی یدل علی عصمة العترة. ویُضاف الی ذلک أن الأمر بالتمسک بهما معاً مطلق ـ کما هو واضح لأنه لم یُقیّد بشیء ؛ لذلک فهو یشمل مختلف الأحوال والأزمان، ولو جاز وقوع العترة بما یخالف العصمة لأدّی ذلک الی القول بأنّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) أمر بالتمسک بها حتی فی الحالات التی تقع فی الخطأ وما یخالف القرآن، وهذا محال. [صفحه ۸۵] کما یتضح مما تقدم إخراج غیر المعصومین من ذریة الرسول من مصداق الثقل الثانی المأمور بالتمسک به، یقول ابن حجر فی دراسته لهذا الحدیث: «ثم إن الذین وقع الحث علیهم منهم إنما هم العارفون بکتاب الله وسنة رسوله، إذ هم الذین لا یفارقون الکتاب الی الحوض ویؤیده الخبر السابق: «ولا تعلموهم فإنهم أعلم منکم» وتمیزوا بذلک عن بقیة العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً وشرفهم بالکرامات الباهرة والمزایا المتکاثرة وقد مر بعضها» [۱۰۹] . وقد أثبت الواقع التأریخی انحصار توفر هذا الشرط بعد رسول الله(صلی الله علیه وآله) فی الإمام علی والأحد عشر إماماً من أولاده وأولاد فاطمة بنت رسول الله أی من ذریة رسول الله (صلی الله علیه وآله)، کما نسب نبی الله عیسی الی ابراهیم من جهة البنت. فالإمامیة مجمعون علی عصمتهم وسائر فرق أهل السنة مجمعة علی محبتهم ونزاهتهم ولم یدع أحد صدور أی شیء یخالف عصمتهم رغم حرص الحکومات المعاصرة لهم علی الحصول علی أی شیء من هذا

القبیل کما هو ثابت تأریخیاً أیضاً [۱۱۰] . ۴ ـ کما أن الأمر بالتمسک بالقرآن والعترة مطلقٌ زمانیاً أیضاً کما هو واضحٌ من قوله (صلی الله علیه وآله): «من بعدی» دونما تقیید، فهو نافذ المفعول الی یوم القیامة لخلود الشریعة المحمدیة حیث لا نبی بعده (صلی الله علیه وآله)، وحیث إن القرآن محفوظ من الله تبارک وتعالی، والعترة هی الثقل الملازم له الذی لن یفترق عنه، لذلک فهی محفوظة من الله تبارک وتعالی الی یوم القیامة أیضاً. [صفحه ۸۶] من هنا یتضح أن فی هذا الحدیث الشریف المتواتر نصاً صریحاً علی حتمیة وجود ممثل لأهل بیت النبی وعترته (صلی الله علیه وآله) یتحلی بالعصمة وملازمة القرآن فی کل عصر لکی یتمسک العباد به وبالذکر الإلهی المحفوظ بهدف النجاة من الضلالة عملاً بوصیة نبیهم الخاتم محمد (صلی الله علیه وآله)، وإلا لبطل مضمون هذا الحدیث المتواتر الذی ثبت صدوره عمن لا ینطق عن الهوی. فلابد إذن من وجود إمام معصوم من العترة النبویة فی عصرنا الحاضر یکون مصداقاً للثقل الثانی ویکون التمسک به ممکناً. وقد تنبه لهذه الحقیقة والدلالة الواضحة فی حدیث الثقلین عدد من کبار علماء أهل السنة وصرح بعضهم بها، مثل ابن حجر الهیثمی حیث قال: وفی أحادیث الحث علی التمسک بأهل البیت إشارة الی عدم انقطاع متأهل منهم للتمسک به الی یوم القیامة کما أن الکتاب العزیز کذلک، ولهذا کانوا أماناً لأهل الأرض کما یأتی ویشهد لذلک الخبر السابق: «فی کل خلف من أمتی عدول من أهل بیتی...» [۱۱۱] .

مصداق الحدیث فی العصر الحاضر

إذن الحدیث الشریف یدل بصراحة علی وجود متأهل من عترة النبی(صلی الله علیه وآله) للتمسک به الی جانب القرآن الکریم فی عصرنا الحاضر ویشترط فیه أن یکون معصوماً أیضاً، فَمن هو هذا الإمام؟ من الواضح أن لیس ثمة إمام ظاهر یدعی ذلک أو تنطبق علیه الصفات المستفادة من هذا الحدیث الشریف، فلابد إذن من القول بوجوده وغیبته لأن القول بعدم وجوده مردود بدلالة حدیث الثقلین المتواتر، وهذه هی خلاصة عقیدة مذهب أهل البیت (علیهم السلام) فی المهدی الموعود القائمة علی الکثیر من [صفحه ۸۷] الأدلة النقلیة والعقلیة والقائلة بوجوده وغیبته عن الأبصار دون أن تمنع غیبته إمکانیة الانتفاع به کما ینتفع بالشمس إذا غیبتها عن الأبصار السحاب.

احادیث الخلفاء الاثنی عشر

اشاره

روی أحادیث الخلفاء أو النقباء أو الأمراء أو القیمین الاثنی عشر، أصحاب الصحاح والمسانید المعتبرة عند أهل السنة بأسانید صحیحة عن جابر ابن سمرة، کما رووها عن أنس بن مالک وابن مسعود وعبدالله بن عمر وحذیفة بن الیمان، وکلها مسندة الی رسول الله (صلی الله علیه وآله)، ومضمون الحدیث مروی ـ بتفصیل أکثر ـ وبتواتر من طرق أتباع أهل البیت (علیهم السلام) وقد نقل آیة الله الشیخ لطف الله الصافی أکثر من (۲۷۰) حدیثاً بهذا الشأن [۱۱۲] . فهذه الأحادیث من المتفق علیه بین الفرق الاسلامیة فلا مجال للتشکیک فی صحة المقدار المشترک بینها علی الأقل. لکننا نکتفی هنا بالنصوص المرویة فی الکتب المعتبرة عند أهل السنة وتحدید دلالتها ومصداقها ـ علی الرغم من خلوها من التفصیلات الموجودة فی أحادیث الطرق الاخری لاسباب واضحة ـ لکی تکون النتیجة حجة علی الجمیع.

الفاظ الأحادیث

روی البخاری فی صحیحه بسنده عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبی (صلی الله علیه وآله) یقول: «یکون إثنا عشر أمیراً»، فقال کلمة

لم أسمعها، فقال أبی: إنه قال: «کلهم من قریش». ورواه مسلم فی صحیحه من عدة طرق عن جابر بن سمرة وبعدة ألفاظ وفی بعضها لفظ: [صفحه ۸۸] «إن هذا الأمر لا ینقضی حتی یمضی إثنا عشر خلیفة...». «لا یزال أمر الناس ماضیاً ما ولیهم إثنا عشر رجلاً...». «لا یزال الإسلام عزیزاً الی إثنی عشر خلیفة...». وتشترک هذه الأحادیث فی أنه لم یسمع ذیل الحدیث فأخبره والده بلفظ «کلهم من قریش» وهی التتمة الواردة فی معظم نصوص الحدیث. ورواه الترمذی بلفظ: «یکون من بعدی إثنا عشر أمیراً...» وأبو داود بلفظ: «لا یزال هذا الدین عزیزاً الی اثنی عشر خلیفة، فکبّر الناس وضجوا ثم قال کلمة خفیت، قلت لأبی: یا أبه ما قال؟ قال: کلهم من قریش». ورواه أحمد فی مسنده بطرق کثیرة منها بلفظ: «لا یزال الدین قائماً حتی تقوم الساعة،...»، وفی بعضها أن ما قاله رسول الله (صلی الله علیه وآله) هو: «لا ـ یزال هذا الدین ظاهراً علی مَن ناواه، لا یضره مخالف ولا مفارق حتی یمضی من أُمتی إثنا عشر أمیراً...»، وفی روایات أُخری أنه قاله فی عرفات، وفی أخری فی یوم جمعة عشیة رجم الأسلمی، وفی بعضها أن الرسول عقب علیه بالقول: «... وإذا أعطی الله تبارک وتعالی أحدکم خیراً فلیبدأ بنفسه وأهله وأنا فرطکم علی الحوض»، وفی بعضها أن قریشاً جاءت الیه (صلی الله علیه وآله) وسألته عما یکون بعد ذلک فقال: «الهرج». ورواه الطبرانی فی المعجم الکبیر وفی أوله: «یکون لهذه الأمة إثنا عشر قیماً لا یضرهم من خذلهم...». ورواه المتقی الهندی فی کنز العمال عن أنس بن مالک بلفظ: «لن یزال هذا الدین قائماً الی اثنی عشر من قریش فإذا هلکوا ماجت الأرض بأهلها» [۱۱۳] . [صفحه ۸۹]

دلالاتها علی وجود الإمام المهدی

هذه هی النصوص المرویة فی المصادر المعتبرة عند أهل السنة، وبعد عرضها نثبت الدلالات المستفادة منها کما یلی: ۱ ـ المستفاد من روایات الحدیث الشریف أنه جاء ضمن خطبة مهمة ألقاها الرسول الأکرم (صلی الله علیه وآله) علی المسلمین وفی الأیام الأخیرة من حیاته الشریفة، وتصرح مجموعة من روایاته أنها کانت فی عرفات فی حجة الوداع الشهیرة وهی الخطبة نفسها التی أعلن فیها وصیته الشهیرة بالتمسک بالقرآن وعترته فی حدیث الثقلین المتواتر الذی دل ـ کما عرفنا ـ علی حتمیة وجود متأهل من أهل البیت (علیهم السلام) للتمسک به الی جانب القرآن والی یوم القیامة. وهی الحجة نفسها التی بلغ فی طریق عودته منها الأمر القرآنی بتنصیب الإمام علی ولیاً ومرجعاً للمسلمین من بعده یخلفه فی ذلک. وهذا التقارن بین هذه الأحادیث الثلاثة وجمع تبلیغها فی الأیام الأخیرة من حیاته الشریفة وإحاطتها بکثیر من الأهمیة یکشف عن أهمیة مضامینها فیما یرتبط بهدایة المسلمین الی ما یضمن لهم النجاة علی المستویین الفردی والاجتماعی واستمرار تحرک المسیرة الإسلامیة من بعده علی الصراط المستقیم والمحجة البیضاء. فهی تشترک فی الموضوع المستقبلی الذی تدور علیه مضامینها، لذلک لا یمکن القول بأن رسول الله (صلی الله علیه وآله) اراد من أحادیث الائمة الاثنی عشر مجرد الإخبار عن واقع تأریخی سیجری بعد وفاته، فهذا ما لا یمکنه تفسیر [صفحه ۹۰] الأهمیة القصوی التی أحاط بها تبلیغه لمضمون هذا الحدیث، بل واضحٌ أن تبلیغ هذا الحدیث فی الأیام الأخیرة من حیاته الشریفة یأتی فی ضمن مساعیه لهدایة المسلمین الی ماینقذهم من الضلالة والانحراف بعده وهو الهدف الذی صرح به فی حدیث الثقلین، لذا فذکر الأئمة أو الخلفاء الاثنی عشر والإخبار عن مجیئهم بعده هو لهدایة المسلمین وصوناً لمستقبل مسیرتهم من بعده وإتماماً للحجة علیهم. وهذه نقطة محوریة مهمة یجب أخذها بنظر الاعتبار لدراسة هذا الحدیث ولمعرفة مصداقه.

ترابط أحادیث حجة الوداع

۲ ـ وعلی ضوء اشتراک الأحادیث الثلاثة فی موضوع واحد، فإن مما یعین علی فهم هذا الحدیث الشریف مورد البحث، ملاحظة ارتباطه بالحدیثین الآخرین اللذین بلغهما الرسول محمد (صلی الله علیه وآله) فی حجة الوداع نفسها أو علی الأقل فی فترة زمنیة واحدة هی الأیام الأخیرة من حیاته الشریفة. وحقیقة الأمر أن الأحادیث الثلاثة ترسم صورة متکاملة لطریق اهتداء المسلمین لما یضمن

مستقبل مسيرتهم من بعده (صلى الله عليه وآله). فحديث الثقلين يصرح ـ كما بيّنا سابقاً ـ بأن النجاة من الضلالة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تكون بالتمسك بالقرآن والعترة وأن لكل زمان رجلاً ـ من أهل بيته وعترته جديراً بأن يكون التمسك به الى جانب القرآن منجاة من الضلالة. أما حديث الغدير فإنه يصرح باسم الإمام على (عليه السلام) كولى للامة بعده (صلى الله عليه وآله) يجب عليهم التمسك بولايته كما وجب التمسك بولاية خاتم المرسلين، وهذا ما يدل عليه أخذه (صلى الله عليه وآله) إلا قرار من المسلمين بأنه أولى [صفحه ۹۱] بالمؤمنين من أنفسهم ثم قوله: «مَن كنتُ مولاه فهذا على مولاه» [۱۱۴] . أما حديث الأئمة الاثنى عشر فإنه يصرح بأن الدين يبقى قائماً الى يوم القيامة بوجود هؤلاء الأئمة وبهذا العدد لا يزيد ولا ينقص، ويهدى الى التمسك بهم. فتكون الصورة التى ترسمها الأحاديث الثلاثة معاً ـ وقد صدرت فى حجة واحدة أو على الأقل فى فترة زمنية واحدة هى الأيام الأخيرة من حياته الشريفة وضمن مسعى واحد هو هداية المسلمين الى سبيل النجاة من الانحراف والضلالة بعده وهى: أن النجاة من الضلالة وحفظ قيام الدين تكون بالتمسك بالقرآن الكريم وبأئمة العترة الطاهرة الذين لا يخلو زمانٌ من أحدهم وأن أولهم الإمام على (عليه السلام) وعددهم إثنا عشر إماماً لا يزيد ولا ينقص.

مصداق الخلفاء الاثنى عشر

وعندما نرجع للواقع التأريخى الاسلامى لا نجد مصداقاً للنتيجة المتحصلة سوى أئمة أهل البيت الاثنى عشر بدءً بالإمام على وانتهاءً بالمهدى المنتظر ـ سلام الله عليهم ـ لا يزيد عددهم عن الأثنى عشر ولا ينقص فجاؤا المصداق الوحيد لما أخبر به الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إذْ لم يدّع غيرهم ذلك، تحقيقاً للنبوة المحمدية الثابتة عند المسلمين جميعاً. وحيث قد ثبتت عند المسلمين كافة وفاة الأئمة الأحد عشر من هؤلاء الأئمة الاثنى عشر، وثبت عند الإمامية عدموفاة الثانى عشر منهم، فى حين أن الحديث المتقدم ينص على استمرار وجودهم الى يوم القيامة؛ لذا فلا مناص [صفحه ۹۲] من القول بوجود الإمام الثانى عشر وغيبته ـ إذ من الثابت للجميع عدم ظهوره ـ وقيام الدين بوجوده فى غيبته ايضاً تصديقاً لما نص عليه الحديث المتقدم. فيكون هذا الحديث الشريف دليلاً على وجود المهدى الإمامى وغيبته.

دراسة الأحاديث مستقلة

۳ـ الدلالة نفسها يمكن التوصل إليها من خلال دراسة الحديث المتقدم بصورة مستقلة وبغض النظر عن ارتباطه بحديثى الثقلين والغدير، واستناداً الى الدلالات المستفادة من الحديث نفسه وطبقاً للمروى فى كتب أهل السنة. فنصوصه تجمع على أن موضوعه الأول إخبارُ المسلمين بأن إثنى عشر شخصاً سيخلفون النبى (صلى الله عليه وآله) لقوله: «يكون من بعدى»، أى فى الفاصلة الزمنية بين رحيله والى يوم القيامة كما هو المستفاد من قوله فى مقدمة الحديث: «إن هذا الأمر لا ينقضى» كما فى صحيح مسلم وغيره والصيغ الاخرى دالة على الأمر نفسه. وعليه فالصفات والدلالات التى يشتمل عليها الحديث الشريف لا تنطبق على أكثر من إثنى عشر شخصاً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والى يوم القيامة، وإلا ـ لما حصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأمر بهم. فمَنْ هم هؤلاء؟ وللإجابة على هذا السؤال نرجع الى نصوص الحديث الشريف نفسه لمعرفة الصفات التى تحددها لهم ثم نلاحظ على مَن تنطبق. إنّ الصفات التى تذكرها النصوص هى: امراءٌ، قرشيون، كونهم خلفاء، بقاء الإسلام عزيزاً بهم، قيام الدين بهم، قيّمون على الأمة، خذلان البعض لهم وتعريضهم للمعاداة. فلندرس كل واحدة من هذه الصفات. إنّ معنى الإنتماء لقريش واضح، وقد أجمعت معظم المذاهب [صفحه ۹۳] الإسلامية على اشتراطه فى الإمام. أما صفة «الخليفة» أو «الأمير» فالمعنى المتبادر منها هو مَن يخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى قيادة المسلمين أو مَن يلى أمرهم، فهل الوصف هذا يراد به من تولّى حكم المسلمين السياسى بعد وفاته (صلى الله عليه وآله)؟!. من الواضح أنه لا يمكن حمل الوصف المذكور على هذا المعنى، إذ إنّ هذا تنفيه أحاديث اُخرى صحت حتى عند إخواننا

أهل السنة وهى المصرحة بأن الخلافة بهذا المعنى لن تستمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأكثر من ثلاثين عاماً ثم تصبح ملكاً كما فى صحيحى البخارى ومسلم [۱۱۵] فى حين أن الحديث الشريف يصرح باستمرار وجود هؤلاء الاثنى عشر الى يوم القيامة. فلا معنى لحصر البحث عن مصاديق الحديث الشريف فيمن تولى حكم المسلمين بالفعل.

دلالة الواقع التأريخى

يُضاف الى ذلك أن الواقع التأريخى الاسلامى ينفى أن يكون المقصود بالخليفة هذا المعنى، إذْ انّ عدد مَن وصل للحكم من المسلمين بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتسمى بهذا الاسم يفوق الإثنى عشر بكثير. أجل يمكن القول بأن الإثنى عشر المقصودين فى الحديث الشريف قد يكون بعضهم من هؤلاء الذين وصلوا الى الحكم وهم الجامعون للأوصاف الواردة فى النصوص وليس مجرد تسلم حكم المسلمين بطريقة أو بأخرى يجعلهم مصداقاً للخلفاء والاُمراء فى هذا الحديث الشريف. فإنّ الخلافة والإمرة بالمعنى المعروف والمتداول بين المسلمين هو أمر [صفحه ۹۴] منقوض ومردود بتصريح الأحاديث الشريفة بسرعة زوال الخلافة بهذا المعنى كما تقدم، ولأنه يستلزم أن يكونوا متفرقين على مدى التاريخ الإسلامى وهذا ما تنقضه الدلالات الأخرى المستفادة من الحديث الشريف، لأن مصاديق هذا المفهوم قد انقطعت منذ مدة طويلة فى حين أن الحديث ينص على استمرار وجود هؤلاء الخلفاء الإثنى عشر الى يوم القيامة دونما انقطاع كما سنرى لاحقاً. ولذلك لا بد من حمل معنى «الخليفة» فى هذا الحديث على ماهو أعم من التولى المباشر للحكم السياسى، أى أن يكون المقصود خلافته (صلى الله عليه وآله) فى الوصاية على الدين والولاية على الأمة وهدايتها الى الصراط المستقيم سواء استلم الخليفة الحكم عملياً أو لم يستلمه، فالرسول (صلى الله عليه وآله) كان يقوم بهذه المهمة عندما كان فى مكة يتابع نشر دعوته بسرية وعندما أعلنها وتعرض للأذى من المشركين وعندما هاجر الى المدينة وأقام دولته وتولى حكومتها. فقد كان(صلى الله عليه وآله) قيّماً على الدين الحق حافظاً له وداعياً إليه فى كل الأحوال، دون أن يكون لاستلامه الفعلى للحكم علاقة بإنجاز هذه المهمة وإن كان هو الأجدر باستلام الحكم فى كل الأحوال. وهذا ما يشير إليه تشبيهه (صلى الله عليه وآله) لهؤلاء الإثنى عشر بنقباء بنى اسرائيل وأوصياء موسى (عليه السلام) كما فى حديث ابن مسعود المروى فى مسند أحمد بن حنبل وغيره [۱۱۶] وهذا ما يدل عليه الحديث الشريف نفسه عندما يربط ـ فى بعض نصوصه ـ بين وجودهم وبين قيام الدين أى حفظه، فهم أوصياء رسول الله(صلى الله عليه وآله) وخلفاؤه فى الوصاية على دينه والهداية إليه. [صفحه ۹۵]

اتصال وجود الخلفاء الاثنى عشر

وهذه الصفة ـ أى قيام الدين بهم ـ تدل على استمرار وجودهم ما بين وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويوم القيامة، لأن القول بتفرقهم وخلو بعض الأزمان من أحدهم مع ربط قيام الدين بهم، يعنى ضياع الإسلام وعدم قيامه فى بعض الأزمان وهذا خلاف ما يدل عليه الحديث الشريف بعبارات من قبيل «لا يزال الدين قائماً» «لا يزال الإسلام عزيزاً». من هنا لا يمكن أن يكون مصداق الحديث الشريف أشخاصاً متفرقين على طول التأريخ الإسلامى بل يجب أن لا يخلو زمان من واحد منهم. فيكون وجودهم متصلاً. كما ان صفة قيام الدين بهم تؤكد أن المعنى المراد من الخلافة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) هو المعنى الشمولى المتقدم الذى يشمل بالدرجة الأولى الوصاية على الدين الحق وحفظه والدعوة له والهداية إليه، الأمر الذى يؤهلهم للقيمومة على الأمة والولاية الشرعية عليهم المنتزعة من الولاية النبوية كما فى حديث الغدير المشار إليه. وهذا يستلزم تحليهم بالدرجة العليا من العلم بالدين الحق والعمل على وفقه لكى يكونوا أهلاً ـ لحفظه وهداية الخلق إليه، وهذا ما يشير إليه قوله (صلى الله عليه وآله) فى وصفه لهم: «كلهم يعمل بالهدى ودين الحق» الوارد فى ذيل بعض نصوص هذا الحديث الشريف [۱۱۷] . وعلى ضوء ما تقدم نفهم الصفة الاخرى التى يذكرها الحديث الشريف [صفحه ۹۶] لهم وهى أنهم سيُعرضون للكثير من أشكال المعاداة والخذلان ـ ولو لم يكن كثيراً لما استحق

الذكر ـ دون أن يضرهم ذلك، فهذا العداء والخذلان لن يضرهم بمعنى أنه لا يصدهم عن تحقيق مهمتهم الأساسية بالحفاظ على قيام الدين وعزته رغم كل الصعاب وبقائه محفوظاً عندهم فى كل الأزمان رغم أن الكيان السياسى للمسلمين تعرض لحقب تأريخية عديدة أصابه فيها الذل والهوان وتولى حكمه فيها أبعد الخلق عن معنى خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله). هذه هى صفات الخلفاء الأئمة الاثنى عشر المستفادة من دلالات الحديث الشريف طبقاً لنصوصه المروية فى أفضل الكتب المعتمدة عند إخواننا أهل السنة، فعلى من تنطبق؟

ائمة العترة هم المصداق الوحيد

الواقع التأريخى يثبت أن المصداق الوحيد الذى تنطبق عليه هم الائمة الاثنا عشر من عترة النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله). وهم يختصون بهذا العدد تأريخياً كما هو معلوم وتنطبق عليهم الأوصاف المستفادة من دلالات الحديث الشريف، كما سنشير لذلك فيما يلى: أدلة التطبيق أولاً: انّ الحديث يدل بصورة واضحة على لزوم توفر تلك الأوصاف فى هؤلاء الخلفاء الاثنى عشر والتى تؤهلهم لكى يكون الدين قائماً بهم. بمعنى أن يكونوا جميعاً معبرين عن خط واحد ومنهج واحد فى الدفاع عن الدين وحفظه وتبليغه ـ كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ وقد توفرت هذه الصفات فى ائمة العترة النبوية الطاهرة الذين ثبت أن علوم النبى (صلى الله عليه وآله) عندهم وثبت عنه وصيته بالتمسك بهم للنجاة من الضلالة كما فى حديث الثقلين، وقد أخذ [صفحه ۹۷] الكثير من المسلمين ـ ومنهم أئمة المذاهب الأربعة ـ علوم الدين منهم كما هو ثابت تأريخياً وثبت فى روايات مختلف الفرق الإسلامية لجوء الجميع إليهم وفقرهم إليهم فى علوم الدين واستغناؤهم (عليهم السلام) عن الجميع فى ذلك [۱۱۸] . كما أثبتت سيرتهم تفانيهم فى الدفاع عن الإسلام ونشر علومه وإغاثة المسلمين عندما هاجمتهم الغزوات الفكرية. واحتجاجاتهم على الملحدين وأرباب الديانات الأخرى مدونة فى كتب المسلمين وهى تثبت حقيقة قيام الدين بهم وخلافتهم للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) فى ذلك، وأهليتهم لقيادة المسلمين أيضاً كما صرح بذلك الذهبى مثلاً- حيث قال بأهلية الإمام الحسن والحسين والسجاد والباقر(عليهم السلام) ثم قال: وكذلك جعفر الصادق كبير الشأن من أئمة العلم كان أولى بالأمر من أبى جعفر المنصور، وكان ولده موسى كبير القدر جيد العلم أولى بالخلافة من هارون [۱۱۹] . ثانياً: إنّ سيرتهم (عليهم السلام) تنسجم مع تصريح الحديث الشريف بتعريض الخلفاء الإثنى عشر للمعاداة والخذلان دون أن يضر ذلك فى قيامهم بإنجاز مهمتهم الأساسية فى حفظ الدين والدفاع عنه كما لاحظنا ذلك فى الفقرة السابقة، ومن المعروف تأريخياً أنهم تعرضوا للأذى والملاحقة الشديدة من قِبَل السلطات الحاكمة التى لم تألُ جُهداً لإبادتهم مثل ما جرى فى واقعة الطف للحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه وتعريضهم للسجن والاغتيال بالقتل أو السم الأمر الذى أدى فى نهاية المطاف الى ضرورة غيبة خاتمهم الإمام [صفحه ۹۸] الثانى عشر(عليه السلام)، ولكن كل أشكال التعسّف والقهر والعداء والخذلان لم يُثنهم عن حفظ سنّة جدهم (صلى الله عليه وآله) وتبليغها حيث حفلت الأحاديث المروية عنهم والمدونة فى كتب علماء مدرستهم بكل ما يحتاجه الإنسان فى مختلف شؤونه الفردية والاجتماعية [۱۲۰] . ثالثاً: تنطبق عليهم دلالة الحديث على استمرار وجودهم بصورة متصلة ما بين وفاة جدهم (صلى الله عليه وآله) وقيام الساعة، فى سلسلة ذهبية لم تؤد الى قطعها كل حملات العداء والخذلان التى تعرّضوا لها، وإن أدت الى غيبة خاتمهم الإمام المهدى(عليه السلام) فاستمر دوره فى حفظ الدين وقيامه بذلك من خلف استار الغيبة بأساليب متنوعة أثبتت أن الانتفاع بوجوده متحقق مثلما ينتفع بالشمس إذا غيّبتها السُحب عن الأبصار كما ورد فى الأحاديث الشريفة [۱۲۱] . وبذلك يتضح أن عقيدة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) كيف تفسر عدم تناسب طول الفترة الزمنية بين وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وبين قيام الساعة، مع تحديد الحديث الشريف لعدد الخلفاء القيمين على الإسلام بإثنى عشر رجلاً لا أكثر، يستمر وجودهم متصلاً الى يوم القيامة لأن قيام الدين يكون بهم. وبذلك يكون الحديث الشريف من الأحاديث المتفق على صحتها بين المسلمين والدالة على وجود الإمام المهدى وغيبته لأنه لا ينطبق على غير الائمة الإثنى عشر من أئمة العترة النبوية الذين

أدی خذلانهم الی غیبة خاتمهم(علیه السلام). [صفحه ۹۹]

الاتفاق علی أن المهدی خاتم الخلفاء الاثنی عشر

یؤیـد ذلک موافقـة عدد کبیر من علماء أهل السنّة لعقیدة أهل البیت(علیهم السـلام) فی کون المهدی المنتظر هو الخلیفة الثانی عشـر من الخلفاء الإثنی عشـر الـذین أخبر الرسول (صـلی الله علیه وآله) عن خلافتهم الدینیة، أمثال أبی داود فی سـننه [۱۲۲] وابن کثیر فی تفسیره [۱۲۳] وغیرهم. وصرح بذلک المجمع الفقهی التابع للأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامی فی جوابه علی استفتاء مسلم من کینیا بشأن الإمام الموعود، حیث ورد فی جواب المجمع: «هو [المهدی الموعود] آخر الخلفاء الراشدین الإثنی عشـر الذین أخبر عنهم النبی صلوات الله وسـلامه علیه فی الصـحاح...» [۱۲۴] . ولعل مستندهم فی ذلک حـدیث الأمّـة الظاهرة القائمـة بأمر الله الـذی یتحدث عن المصـداق الـذی یتحـدث عنه حـدیث الائمـة الاـثنی عشـر الـذی یصـرح بأن آخر اُمراء هـذه الأمـة الظاهرة هو المهـدی الموعود کما سنلاحظ.

حدیث الامة الظاهرة القائمة بأمر الله

وهو من الأحادیث المشـهورة المرویة فی الکتب الستة وغیرها من المجامیع الروائیة المعتبرة عند إخواننا أهل السنّة من طرق کثیرة فقد رواه مثلًا أحمد بن حنبل وحده من سبعة وعشرین طریقاً [۱۲۵] . [صفحه ۱۰۰] فقد رواه البخاری فی صحیحه بلفظ «لا یزال ناس من اُمتی ظـاهرین حتی یأتیهم أمر الله وهم ظاهرون» [۱۲۶] . ورواه البخاری فی تأریخه ومسـلم وأبو داود وابن ماجة والترمذی وأحمد بن حنبـل والحـاکم وغیرهم بلفـظ: «لاـ تزال طائفـة من اُمتی علی الحق حتی یـأتی أمر الله عز وجل» [۱۲۷] . ورواه البخاری فی صـحیحه ومسـلم وأحمـد وابن ماجـة بلفظ: «مَن یرد الله به خیراً یفقهه فی الدین ولن تزال [من] هذه الاُمة اُمة قائمة علی أمر الله، لا یضـرهم مَن خـالفهم حتی یـأتی أمر الله وهم ظاهرون علی الناس» [۱۲۸] . ورواه مسـلم وأحمـد والحاکم وغیرهم عن جابر بن سـمرة: «لا یزال هذا الدین قائماً تقاتل علیه عصابة من المسـلمین حتی تقوم الساعة» [۱۲۹] وفیه أنه(صـلی الله علیه وآله) قال ذلک فی حجة الوداع، وجابر هو نفسه راوی حدیث الائمة الإثنی عشـر من قریش. وفی روایة لمسـلم: «لا تزال عصابة من اُمتی یُقاتلون علی أمر الله قاهرین لعدوهم لاـ یضـرهم من خالفهم حتی تأتیهم الساعـة وهم علی ذلک» [۱۳۰] . وفی روایـة لأـبی داود وأحمـد والحاکم وغیرهم بلفظ: «لا تبرح عصابـةٌ من اُمتی ظـاهرین علی الحقّ لاـ یبـالون من خالفهم حتی یخرج المسـیح الـدجال فیقاتلونه» [۱۳۱] . [صـفحه ۱۰۱] وفی روایة للبخاری فی تأریخه وأحمد فی مسـنده ورجاله کلهم ثقات کما قال الکشـمیری فی تصـریحه بلفظ: «لا تزال طائفة من اُمتی علی الحق ظـاهرین علی مَن نـاواهم حتی یأتی أمر الله تبارک وتعالی، وینزل عیسـی بن مریم» [۱۳۲] . وفی روایة لمسـلم وأحمد: «لا تزال طائفةٌ من اُمتی علی الحق ظـاهرین الی یوم القیامـة، قـال: فینزل عیسـی بن مریم (علیه السـلام)، فیقول أمیرهم: تعـال صـلّ بنـا، فیقول: لا، إن بعضـکم علی بعض أمیر لیکرم الله هذه الاُمة» [۱۳۳] . والحدیث الشـریف جاء فی حجة الوداع کما یصـرح بذلک جابر بن سمرة فیما رواه عنه مسـلم وأحمـد والحـاکم کمـا تقـدم، وهـذه الحجـة هی نفسـها التی بلّغ فیها رسول الله (صـلی الله علیه وآله) أحادیث الثقلین والغـدیر والائمـة الإثنی عشـر، لـذا فهو یأتی فی إطار التخطیط النبوی لهدایـة المسـلمین الی ما یحفظ مسـیرتهم بعده أو ما ینقذهم من الضـلالة ومیتـة الجاهلیـة، فهو غیر بعیـد عن أجواء الأحادیث السابقـة. علی أن من الواضح للمتدبر فی هذا الحدیث الشـریف وحدیث الائمة الإثنی عشـر أن کلیهما یتحدثان عن مصداق واحد لا أکثر، کما هو مشـهود فی اشتراکهما فی ذکر صـفات تتحدث وتهدی الی مصـداق واحـد، خاصـة ما یصـرح بربط قیام الـدین وحفظه بوجود هذه الاُمة الظاهرة القائمة بأمر الله فی الحدیث الثانی وبوجود الأئمة الاثنی عشـر فی الحـدیث الأول. لأن ذلک یعنی امتلاک هـذه الجهـة للقیمومة علی الدین ومرجعیتها فی معرفة حقائق [صـفحه ۱۰۲] الدین الحق وتعریضـها بسبب ذلک للمعاداة والخذلان وهذا ما یشترک الحدیثان فی ذکره وفی التصریح بعدم إضراره فی أصل مهمة

هـذه العصابـة وهی الـدفاع عن الـدین الحق وحفظه. ویؤکد حدیث الأمة الظاهرة صـراحة ـ فیما تقدم من نصوصه ـ مادل علیه حدیث الائمة الإثنی عشـر ضـمنیاً من استمرار وجود هؤلاء الأئمة الی یوم القیامة وکذلک من أن مهمتهم الأساسیة خلافة رسول الله (صلی الله علیه وآله) فی الدفاع عن الدین الحق وحفظه دون أن یؤثر فی إنجاز أصل هذه المهمة اسـتلامهم الفعلی للحکم أو عدم اسـتلامه وإن کانوا هم الأجـدر بـذلک. کما أنه یصـرح بأن خاتم أمراء هـذه الأمـة الظاهرة هو الإمام المهدی الموعود ـ کما دل علی ذلک ضـمنیاً حدیث الائمة الإثنی عشر ـ فهو یصرح باستمرار وجودها الی نزول عیسی (علیه السلام) ومناصرته لأمیرها وصلاته خلفه وهذه الحادثة ترتبط بالإمام المهـدی ـ عجل الله فرجه ـ باتفاق المسـلمین. ویصـرح حدیث الأمة الظاهرة بلزوم أن یکون هؤلاء الائمة الإثنا عشـر ائمة حق قائمین بأمر الله کما تصـرح بـذلک النصوص المتقدمـة، فهم یمثلون خطاً واحـداً منسـجماً فی خلافـة رسول الله الحقیقیّة والوصایة علی شـریعته، خطّاً متصـلاً دون انقطاع الی یوم القیامـة، وهـذا ما لا ینسـجم بحال من الأحوال مع تأریخ خلفاء الدولة الاسـلامیة الذین حکموها فعلاً. لذلک فإنّ جمیع الذین غفلوا عن هذه الدلالات فی الحدیثین المتقدمین وسـعوا للعثور علی مصادیق الائمة الإثنی عشر فی الـذین وصـلوا للحکم بعد رسول الله (صـلی الله علیه وآله) بأی طریقة کانت، تاهوا فی متاهات غریبة ولم یسـتطیعوا تقدیم مصداق معقول ینسـجم مع دلالات هذه الأحادیث الشریفة ولا مع الواقع التأریخی. فتعددت آراؤهم وعمدوا الی تأویلات باردة لما صرحت به الأحادیث الشـریفة الأمر الذی [صـفحه ۱۰۳] یتعـارض بالکامـل مع هـدف الرسول الأکرم (صـلی الله علیه وآله) من إخبار المسـلمین بهؤلاء القـائمین بـأمر الله وهو الهدایـة إلیهم وإرجـاعهم ودعوتهم للتمسک بهم. فأی انسـجام فی الخط والمنهـج وتمثیل الـدین الحق والصـدق فی التعبیر عن خلافـة رسول الله (صـلی الله علیه وآله) بین الإمـام علی (علیه السـلام) ومعاویـة، أو بین الإمـام الحسـین (علیه السـلام) ویزیـد بن معاویـة لکی یعتبروهم جمیعاً من هؤلاء من الخلفاء الإثنی عشـر الـذین یقوم بهم الـدین؟! وکیف یمکن القول بأن أمثال یزیـد بن معاویـة أو الولیـد بن عبـدالملک یمکن أن یصـدق علیهم الوصف النبوی للأمة الظاهرة والائمة الاثنی عشـر بأنهم علی الحق وقائمین بأمر الله وخلفاء رسوله وکیف ذاک وسـیرتهم شاهـدة بأنهم أبعـد الناس عن العلم بالدین وممثلی نهج رسول الله (صـلی الله علیه وآله). هـذا بعض مـا یُقـال بشأن المصادیق التی عرضـها للائمـة الإثنی عشـر العلماء الـذین راعوا دلالـة الأحادیث علی اتصال سلسـلة هؤلاء الائمة وأغفلوا عدم انطباق الصـفات الأخری علیهم کما لاحظنا. یُضاف الی ذلک إغفالهم لتصـریح الأحـادیث باسـتمرار وجود هؤلاـء الائمـة الی یوم القیامـة؛ إذ إنّ المصـادیق الـتی عرضوهـا تنتهی بإنتهـاء العصـر الأـموی [۱۳۴] ! أمـا الـذین سـعوا لمراعاة الصـفات الأخری فیمن حکموا المسـلمین فقد أغفلوا دلالة الحدیث علی اسـتمرار وجودهم دون انقطاع إذْ ترکوا الخلفاء الذین أعقبوا معاویة الی عمر بن عبدالعزیز لیجعلوه خامس أو سادس الإثنی عشر وترکوا ما بعده الی هذا أو ذاک من الخلفاء العباسیین ممن رأوهم أقرب [صـفحه ۱۰۴] الی الصـفات التی یـذکرها الحـدیث ورغم ذلک لم یکتمل العدد حتی قال السـیوطی بأن المتبقی اثنان منتظران أحدهما المهدی الموعود والثانی لم یعرفه هو ولا غیره [۱۳۵] !! وما کانوا بحاجة الی کل هذه التأویلات الباردة والمتاهات المحیرة لو تدبروا بموضوعیة فی تلک الأحادیث الشـریفة واسـتندوا الی مدلولاتها الواضـحة التی تنطبق بالکامل علی الائمة الإثنی عشـر من عترة رسول الله(صـلی الله علیه وآله) وعلی القول بعـدم انقطـاع سلسـلتهم الی یوم القیامـة فی ظـل القول بوجود الإمام الثانی عشـر المهـدی الموعود(علیه السـلام) وغیبته وقیامه حتی فی ظل غیبته عن الأبصار بمهام حفظ الـدین ولو بأسالیب خفیـة لکنها کاملـة فی إتمام حجة الله علی خلقه کما دلت علی ذلک الأحادیث المتقدمة وتدل علیه أیضاً الأحادیث اللاحقة.

احادیث عدم خلو الزمان من الإمام القرشی المنقذ من المیتة الجاهلیة

اشاره

وهی أیضاً من الأحادیث الشریفة المرویة من طریق الفریقین، نختار منها المروی فی الکتب المعتبرة عند أهل السنة، فقد روی البخاری

ومسلم فی صحیحیهما وأحمد بن حنبل فی مسنده وغیرهم بأسانیدهم عن رسول الله (صلی الله علیه وآله) أنّه قال: «لا یزال هذا الأمر فی قریش ما بقی من الناس اثنان» [۱۳۶] . وروی البخاری فی تأریخه وأحمد فی مسنده وابن حبان فی صحیحه [صفحه ۱۰۵] وابن أبی شیبة فی مسنده والطیالسی فی مسنده وأبو یعلی والطبرانی والبزار والهیثمی وغیرهم بألفاظ متقاربة وأسانید عدیدة عن رسول الله (صلی الله علیه وآله) أنّه قال واللفظ للطیالسی: «مَن مات بغیر إمام مات میتةً جاهلیة، ومَن نزع یداً من طاعة جاء یوم القیامة لا حجة له» [۱۳۷] . وعلق ابن حبان علی الحدیث موضحاً معناه بقوله: قال أبو حاتم: قوله (صلی الله علیه وآله): «مات میتة الجاهلیة» معناه: مَن مات ولم یعتقد أن له إماماً یدعو الناس الی طاعة الله حتی یکون قوام الإسلام به عند الحوادث والنوازل، مقتنعاً فی الإنقیاد علی مَن لیس نعته ما وصفنا مات میتةً جاهلیة [۱۳۸] .

معنی الأمر فی الکتاب والسنة

إنّ الحدیث الأول قد صرّح ببقاء «الأمر» فی قریش ما بقی البشر علی الأرض فلا تخلو الأرض من قرشی یکون له «الأمر»، فما هو المقصود من «الأمر» هنا؟! وهل یمکن تفسیره بالاستلام الفعلی للحکم الظاهری للمسلمین؟! الجواب: أنّ الواقع التأریخی ینفی هذا التفسیر، وعلی الأقل منذ سقوط الخلافة العباسیة الی الیوم لم یکن حکم المسلمین لقرشی کما هو معلوم، لذا لا یمکن تفسیر «الأمر» بغیر القول بمعنی الخلافة العامة لرسول الله (صلی الله علیه وآله) فی الوصایة علی الدین وحفظه والدفاع عنه وهدایة الخلق إلیه، الأمر الذی یؤهل صاحبه لقیادة المسلمین والحکم الظاهری، فالأمر هنا هو من نوع «الأمر» [صفحه ۱۰۶] الوارد فی سورة النساء فی آیة الطاعة، وهی قوله تعالی: (یا أیها الذین آمنوا أطیعوا الله وأطیعوا الرسول واوُلی الأمر منکم) [۱۳۹] ، وهی الآیة الدالة علی عصمة اُولی الأمر لاشتراکهم فی الأمر بالطاعة مع الرسول (صلی الله علیه وآله) ولأن: «الله تعالی أمر بطاعة اُولی الأمر علی سبیل الجزم والقطع فی هذه الآیة، ومَن أمر بطاعته علی سبیل الجزم والقطع لابد وأن یکون معصوماً عن الخطأ... کما قال الفخر الرازی فی تفسیره [۱۴۰] . فلابد أن یکون فی زماننا الحاضر أیضاً قرشی یکون له «الأمر» هذا ویقوم به الدین ویتحلی بالعصمة ویخلف رسول الله (صلی الله علیه وآله) فی مهمة حفظ الدین والهدایة إلیه إذ لا یخلو زمان من مصداق لذلک کما ینص الحدیث الشریف المتقدم، وحیث إنه لا یوجد إمام ظاهر یدعی ذلک فلابد من القول بوجوده واستتاره وغیبته وقیامه بمهمة حفظ الدین تصدیقاً للحدیث الشریف وهذه هی عقیدة أهل البیت (علیهم السلام) فی المهدی وغیبته. یُضاف الی ذلک أن أحادیث الخلفاء الإثنی عشر قد حصرت عدد خلفاء الرسول بهذا المعنی الی یوم القیامة باثنی عشر، وقد اتضحت دلالتها علی وجود الإمام المهدی وغیبته، لذلک یکون حدیث عدم خلو الزمان من الإمام القرشی مؤکداً لهذه الدلالة. والدلالة نفسها یمکن التوصل إلیها من أحادیث وجوب معرفة إمام الزمان وإتباعه والتی تقدم نموذج لها، حیث تنص علی أن لا حجة یوم القیامة لمن عمی عن معرفته وخرج عن طاعته کما رأینا، لذا فلا مناص من [صفحه ۱۰۷] القول بحتمیة وجوده وإمکانیة التعرف علیه والتمسک بعری طاعته وإلا لما کان للاحتجاج الإلهی علی الغافلین عن معرفته وطاعته معنی، إذْ کیف یکون الاحتجاج بمن لا وجود له. وحیث إن أمر الطاعة له مطلق فهو دال علی عصمته ویؤکده صدر الحدیث علی أن عدم معرفته والتمسک به یقود الی میتة الجاهلیة، وأن طاعته واجبة لأنه یدعو الی طاعة الله وبه یکون قوام الإسلام کما صرح بذلک ابن حبان فیما نقله عن أبی حاتم من دلالة الحدیث الواضحة، ولذلک صرح أبو حاتم بأن طاعة غیره ممن لم یتصف بهذه الصفات تؤدی الی میتة الجاهلیة. وهذا هو المستفاد من الحدیث الأول فالدلالة مشترکة وتکون المحصلة: حتمیة وجود إمام معصوم قرشی یکون الإسلام به قائماً یدعو الی طاعة الله ویکون له الأمر ویتحمل مسؤولیة حفظ الدین الحق، وحیث إنّ مثل هذا الإمام غیر ظاهر فلابد من القول بغیبته وقیامه بهذه المهام من خلف أستار الغیبة الی حین زوال الأسباب التی أدت الی غیبته فیظهر حینئذ لیقیم الدولة العادلة علی أساس قیم الدین الذی حفظه. ولا یمکن القول بتعدد الغائبین لأن أحادیث الائمة الإثنی عشر حصرت عدد خلفاء الرسول (صلی الله علیه وآله) بهذا العدد وثبت أن المصداق الوحید الذی تنطبق علیه الشروط المستفادة من دلالات هذه الأحادیث هم

أئمة أهل البیت النبوی، وقد ثبتت وفاة الائمة الأحد عشر ولم یبق إلا خاتمهم المهدی الموعود [۱۴۱] فلابد من القول باستمرار وجوده الی یوم القیامة استناداً الی [صفحه ۱۰۸] الأحادیث المتقدمة، ولأن الصحیح من الأقوال هو أن الأرض لا تخلو من حجة کما یقول ابن حجر العسقلانی فی شرحه لصحیح البخاری: وفی صلاة عیسی(علیه السلام) خلف رجل من هذه الأمة مع کونه فی آخر الزمان وقرب قیام الساعة دلالة للصحیح من الأقوال: «ان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة.»، والله أعلم [۱۴۲] . ولابدّ من الإشارة هنا الی أن الدلالات المستفادة من هذه الأحادیث الشریفة علی وجود المهدی الإمامی وغیبته هی دلالات واضحة إلا أن مما أثار بعض الغموض علیها وأوجد الحاجة الی الاستدلال علیها والتحلیل المفصل لها هو السکوت عنها والتعتیم علیها أو محاولات تأویلها وصرفها عن المصداق الحقیقی بسبب طغیان الخلافات السیاسیة التی شهدها العالم الإسلامی وانعکاساتها علی الأمور العقائدیة وهو السبب نفسه الذی أدی الی إحجام بعض المحدثین عن نقل وتدوین طائفة أخری من الأحادیث التی صحت عن رسول الله(صلی الله علیه وآله) والتی صرحت بما أشارت إلیه هذه الأحادیث وشخصت مصادیقها، لأن المصالح السیاسیة للحکام الأمویین والعباسیین منعت من اشتهار مثل هذه الأحادیث ومنعت من انتشار الکتب التی تنقلها. کما هو واضح لمن راجع التأریخ الإسلامی. [صفحه ۱۱۱]

نشأة الإمام محمد بن الحسن المهدی

تاریخ الولادة

ولد ـ سلام الله علیه ـ فی دار أبیه الحسن العسکری (علیه السلام) فی مدینة سامراء أواخر لیلة الجمعة الخامس عشر من شعبان وهی من اللیالی المبارکة التی یُستحب إحیاؤها بالعبادة وصوم نهارها طبقاً لروایات شریفة مرویة فی الصحاح مثل سنن ابن ماجة وسنن الترمذی وغیرهما من کتب أهل السنة [۱۴۳] إضافة الی ما روی عن ائمة أهل البیت (علیهم السلام) [۱۴۴] . وکانت سنة ولادته (۲۵۵ هـ) علی أشهر الروایات، وثمة روایات أُخری تذکر أن سنة الولادة هی (۲۵۶ هـ) أو (۲۵۴ هـ) مع الاتفاق علی یومها وروی غیر ذلک، إلا أن الأرجح هو التأریخ الأول لعدة شواهد، منها وروده فی أقدم المصادر التی سجلت خبر الولادة وهو کتاب الغیبة للشیخ الثقة الفضل بن شاذان الذی عاصر ولادة المهدی (علیه السلام) وتوفی قبل وفاة أبیه الحسن [صفحه ۱۱۲] العسکری(علیهما السلام) بفترة وجیزة [۱۴۵] ، ومنها أن معظم الروایات الأخری تذکر أن یوم الولادة کان یوم جمعة منتصف شهر شعبان وإن اختلفت فی تحدید سنة الولادة، ومن خلال مراجعتنا للتقویم التطبیقی [۱۴۶] وجدنا أن النصف من شعبان صادف یوم جمعة فی سنة (۲۵۵ هـ) وحدها دون السنین الأُخری المذکورة فی تلک الروایات. ومثل هذا الاختلاف أمر طبیعی جار مع تواریخ ولادات ووفیات آبائه وحتی مع جده الرسول الأعظم (صلی الله علیه وآله)، دون أن یؤثر ذلک علی ثبوت ولادتهم (علیهم السلام)، کما أنه طبیعی للغایة بملاحظة سرّیّة الولادة عند وقوعها حفظاً للولید المبارک کما سنلاحظ ذلک لاحقاً.

تواتر خبر ولادته

روی قصة الولادة أو خبرها الکثیر من العلماء بأسانید صحیحة أمثال أبی جعفر الطبری والفضل بن شاذان والحسین بن حمدان وعلی بن الحسین المسعودی والشیخ الصدوق والشیخ الطوسی والشیخ المفید وغیرهم، ونقلها بصورة کاملة أو مختصرة أو نقل خبرها عدد من علماء أهل السنة من مختلف المذاهب الإسلامیة أمثال نورالدین عبدالرحمن الجامی الحنفی فی شواهد النبوة والعلّامة محمد مبین المولوی الهندی فی وسیلة النجاة والعلامة محمد [صفحه ۱۱۳] خواجه بارسا البخاری فی فصل الخطاب والحافظ سلیمان القندوزی الحنفی فی ینابیع المودة، کما نقل خبر الولادة ما یناهز المائة وثلاثین من علماء مختلف الفرق الإسلامیة بینهم عشرات المؤرخین ستة منهم عاصروا فترة الغیبة الصغری أو ولادة الإمام المهدی (علیه السلام)، والبقیة من مختلف القرون الی یومنا هذا فی سلسلة متصلة

وهـذا الاحصـاء يشـمل جانباً من المصادر الإسـلامية وليس كلها. وبين هؤلاء عـدد كبير من العلماء والمؤرخين المشـهورين أمثال ابن خلكـان وابن الأـثير وأبى الفـداء والـذهبى وابن طولـون الدمشـقى وسـبط ابن الجوزى ومحى الـدين بن عربى والخوارزمى والـبيهقى والصـفدى واليـافعى والقرمـانى وابن حجر الهيثمى وغيرهم كثير. ومثـل هـذا الإثبـات ممـا لم يتوفر لولاـدات الكثير من أعلاـم التأريخ الإسلامى [۱۴۷] .

كيفية ظروف الولادة

يُسـتفاد من الروايات الواردة بشأن كيفية ولادته (عليه السلام)، أن والده الإمام الحسن العسكرى ـ سلام الله عليه ـ أحاط الولادة بالكثير من السرية والخفاء، فهى تـذكر أن الإمام الحسن العسـكرى قد طلب من عمته السـيدة حكيمة بنت الإمام الجواد أن تبقى فى داره ليلة الخـامس عشـر من شـهر شـعبان واخبرهـا بـأنه سيُولد فيها إبنه وحجـة الله فى أرضه، فسألته عن أمه فأخبرها أنها نرجس فـذهبت إليها وفحصـتها فلم تجد فيها أثراً للحمل، فعادت للإمام واخبرته بذلك، فابتسم (عليه السلام) وبيّن لها أن مثلها مثل أم موسى (عليه السلام) التى لم يظهر حملها ولم يعلم به أحـد الى وقت ولادتها لأن فرعون كان يتعقب أولاد بنى إسـرائيل خشـية من ظهور موسـى المبشـر به فيذبح ابناءهم ويسـتحى نساءهم، وهذا [صـفحه ۱۱۴] الأمر جرى مع الإمام المهدى(عليه السـلام) أيضاً لأن السـلطات العباسـية كانت ترصد ولادته إذ قد تنبأت بذلك طائفة من الأحاديث الشـريفة كما سنشير لاحقاً. ويُسـتفاد من نصوص الروايات أن وقت الولادة كان قبيـل الفجر وواضـح أنّ لهـذا التوقيت أهميـة خاصـة فى إخفـاء الولاـدة؛ لأـن عيون السـلطة عـادةً تغط فى نوم عميق. كما يُسـتفاد من الروايات أنه لم يحضـر الولادة سوى حكيمة التى لم تكن تعرف بتوقيتها بشكل دقيق أيضاً [۱۴۸] . وتوجد رواية واحدة يرويها الشيخ الطوسـى فى كتاب الغيبـة تصـرح باسـتقدام عجوز قابلـة من جيران الإمام لمساعدة حكيمة فى التوليد مع تشديد الوصـية عليها بكتمان الأمر وتحذيرها من إفشائه [۱۴۹] .

الاخبار المسبق عن خفاء الولادة

أخبرت الكثير من الأحاديث الشـريفة بأن ولادة المهدى من الحسن العسكرى ستُحاط بالخفاء والسرية، ونسبت الإخفاء الى الله تبارك وتعـالى وشـبهت بعضـها إخفاء ولادته باخفاء ولادة موسـى وبعضـها بولادة ابراهيم (عليهما السـلام)، وبيّنت علّـة ذلك الإخفاء بحفظه (عليه السـلام) حتى يؤدى رسالته، نسـتعرض هنا نماذج قليلة منها. فمثلاً روى الشيخ الصدوق فى إكمال الدين والخزاز فى كفاية الأثر مسـنداً عن الإمام الحسن بن على (عليهما السـلام) ضـمن حـديث قال فيه: «أما علمتم أنه ما منّا إلا وتقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلا القائم الذى يصلّى عيسى بن مريم خلفه؟! وإن الله عز وجل يُخفى ولادته ويغيّب شخصه لئلّا يكون لأحد فى [صفحه ۱۱۵] عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولـد أخى الحسـين ابن سـيدة النساء يطيل الله عمره فى غيبته ثم يظهره بقدرته...» [۱۵۰] . وفى حديث رواه الصدوق بطريقين عن الإمام على (عليه السلام) قال: «... إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد فى عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه» [۱۵۱] . وروى عن الإمـام السـجاد (عليه السـلام) أنه قـال: «فى القـائم منـا سـنن من الأنبيـاء... وأمـا من ابراهيم فخفـاء الولادة واعتزال الناس....» [۱۵۲] . وروى عن الإمام الحسـين (عليه السـلام) أنه قال: «فى التاسع من ولدى سـنّة من يوسف وسنّة من موسى بن عمران وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله أمره فى ليلة واحدة» [۱۵۳] . وروى الكلينى فى الكافى بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال ـ فى حـديث ـ: «انظروا من خفى [عمى] على الناس ولادته فذاك صاحبكم، إنه ليس منا أحد يُشار إليه بالأصابع ويمضغ بالألسـن إلا مات غيضاً أو رغم أنفه» [۱۵۴] . والأحاديث بهذا المعنى كثيرة والكثير منها مروى بأسانيد صحيحة تخبر صراحة ـ وقبل وقوع ولادة الإمـام المهـدى (عليه السـلام) ـ بخفائها، وفى ذلك دلالـة وجدانيـة صـريحة على صـحتها حتى لو كان فى أسانيـد بعضـها ضـعف أو مجهوليـة لأنها أخبرت عن شـىء قبل وقوعه ثم جاء الواقع مصدقاً لما أخبرت عنه، وهذا ما لا يمكن صدوره إلا من جهة علام الغيوب

تبارك وتعالى الأمر الذى يثبت صدورها عن ينابيع الوحى وبإخبار من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله). [صفحه ۱۱۶]

خفاء الولادة علامة المهدى الموعود

ويُلاحظ أن هذه الأحاديث الشريفة تصرح بأنّ خفاء الولادة من العلائم البارزة المشخصة لهوية المهدى الموعود والقائم من ولد فاطمة الذى بشرت به الأحاديث النبوية، وهذا أحد الأهداف المهمة للتصريح بذلك وهو تعريف المسلمين بإحدى العلائم التى يكشفون بها زيف مزاعم مدّعى المهدوية كما شهد التأريخ الإسلامى الكثير منهم ولم تنطبق على أى منهم هذه العلامة، فلم تُحَطْ ولادة أى منهم بالخفاء كما هو ثابت تأريخياً [۱۵۵] . وتشير الأحاديث الشريفة المتقدمة الى علة إخفاء ولادته (عليه السلام) وهى العلة نفسها التى أوجبت إخفاء ولادة نبى الله موسى (عليه السلام)، أى حفظ الوليد من سطوة الجبارين ومساعيهم لقتله إتماماً لحجة الله تبارك وتعالى على عبادة ورعاية له لكى يقوم بدوره الإلهى المرتقب فى إنقاذ بنى اسرائيل والصدع بالديانة التوحيدية ومواجهة الجبروت الفرعونى بالنسبة لموسى الكليم ـ سلام الله عليه ـ وهكذا إنقاذ البشرية جمعاء وإنهاء الظلم والجور وإقامة القسط والعدل وإظهار الإسلام على الدين كله بيد المهدى المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ وهذا ما كان يعرفه ائمة الجور من خلال النصوص الواردة بهذا الشأن، ففرعون مصر كان على علم بالبشارات الواردة بظهور منقذ بنى اسرائيل، وهو موسى (عليه السلام) من أنفسهم ولذلك سعى فى تقتيل أبنائهم بهدف منع ظهوره، وكذلك حال بنى العباس إذ كانوا على علم بأن المهدى الموعود هو من ولد فاطمة ـ سلام الله عليها ـ وأنه الإمام الثانى عشر من ائمة أهل البيت(عليهم السلام) وقد [صفحه ۱۱۷] انتشرت الأحاديث النبوية المصرحة بذلك بين المسلمين ودوّنها علماء الحديث قبل ولادة المهدى بعقود عديدة، كما كانوا يعلمون بأن الإمام الحسن العسكرى هو الإمام الحادى عشر من ائمة العترة النبوية (عليهم السلام)، لذا فمن الطبيعى أن يسعوا لقطع هواجس ظهور المهدى الموعود بالإجتهاد من أجل قطع نسل والده العسكرى (عليهما السلام). ومن الواضح أنّ مجرد احتمال صحة هذه الأحاديث كان كافياً لدفعهم نحو إبادته، فكيف الحال وهم على علم راجح بذلك خاصةً وأن ليس بين المسلمين سلسلة تنطبق عليهم مواصفات تلك الأحاديث الشريفة مثلما تنطبق على هؤلاء الائمة الإثنى عشر (عليهم السلام) كما لاحظنا مفصلًا فى البحوث السابقة؟! وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن نفهم سر ظاهرة قصر الأعمار التى ميزت تأريخ الائمة الثلاثة الذين سبقوا الإمام المهدى (عليهم السلام) من آبائه، فقد اُستشهد ابوه العسكرى وهو ابن ثمان وعشرين [۱۵۶] واستشهد جده الإمام الهادى وهو ابن أربعين سنة [۱۵۷] واستشهد الإمام الجواد وهو ابن خمس وعشرين سنة [۱۵۸] ، وهذه ظاهرة جديرة بالدراسة، وتكفى وحدها للكشف عن المساعى العباسية الحثيثة لإبادة هذا النسل للحيلولة دون ظهور المهدى الموعود [۱۵۹] حتى لو لم يسجل التأريخ محاولات العباسيين لاغتيال وقتل هؤلاء [صفحه ۱۱۸] الائمة، فكيف الحال وقد سجل عدداً من هذه المحاولات تجاههم (عليهم السلام)، حتى ذكر المؤرخون مثلًا أنهم قد سجنوا الإمام العسكرى وسعوا لاغتياله عدة مرات، كما فعلوا مع آبائه (عليهم السلام) [۱۶۰] ؟! يقول الإمام الحسن العسكرى معللاً هذه الحرب المحمومة ضدهم(عليهم السلام) فيما رواه عنه معاصره الشيخ الثقة الفضل بن شاذان: قال: حدثنا عبدالله بن الحسين بن سعد الكاتب قال: قال ابو محمّد [الإمام العسكرى (عليه السلام)]: «قد وضع بنو اُمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلتين: احداهما انهم كانوا يعلمون انه ليس لهم فى الخلافة حق فيخافون من ادعائنا إيّاها وتستقر فى مركزها، وثانيتهما انهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على ان زوال ملك الجبابرة والظلمة على يد القائم منا، وكانوا لا يشكون انهم من الجبابرة والظلمة، فسعوا فى قتل أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) وإبادة نسله طمعاً منهم فى الوصول الى منع تولد القائم (عليه السلام) أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم (إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون)» [۱۶۱] . [صفحه ۱۱۹]

مراحل حياة الإمام المهدى

تنقسم حياة كل إمام معصوم بشكل عام الى قسمين رئيسين: القسم الأوّل: حياته قبل تسلّمه مهام الإمامة والزعامة. القسم الثانی: حياته بعد تسلّمه لمهام الإمامة والزعامة. وبالإمكان تقسيم كل منهما الى مراحل. وبناءً على هذا تنقسم حياة الإمام المهدی (عليه السلام) الى أربع مراحل متمايزة، وهی: المرحلة الأولی: حياته فی ظل أبيه أی من الولادة سنة (۲۵۵ هـ) حتی يوم استشهاد أبيه الإمام الحسن العسكری (عليه السلام) سنة (۲۶۰ هـ). وهی خمس سنوات تقريباً. المرحلة الثانية: حياته منذ وفاة ابيه (عليه السلام) (سنة ۲۶۰ هـ) حتی انتهاء الغيبة الصغری سنة (۳۲۹ هـ). وهی تناهز السبعين عاماً. المرحلة الثالثة: حياته فی الغيبة الكبری والتی بدأت بعد وفاة سفيره الرابع عام (۳۲۹ هـ) وهی مستمرة حتی يوم ظهوره علی مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية من جديد. [صفحه ۱۲۰] المرحلة الرابعة: حياته فی مرحلة الظهور التی تبدأ بعد انتهاء الغيبة الكبری، وهو عهد الدولة المهدوية العالمية المرتقبة والتی أخبرت عنها نصوص الكتاب والسنة. وتتميز كلّ مرحلة من هذه المراحل بمجموعة من الخصائص نشير اليها تباعاً فی كلّ باب إن شاء الله تعالی. [صفحه ۱۲۱]

الامام المهدی فی ظل أبيه

دور الإمام العسكری فی إعلان الولادة

فی ظل تلك الأوضاع الإرهابية الصعبة كانت تواجه الإمام العسكری ـ سلام الله عليه ـ مهمة علی درجة كبيرة من الخطورة والحساسية، فكان عليه أن يخفی أمر الولادة عن اعين السلطات العباسية بالكامل والحيلولة دون اهتدائهم الی وجوده وولادته ومكانه حتی لو عرفوا إجمالاً بوقوعها، وذلك حفظاً للوليد من مساعی الإبادة العباسية المتربصة به ولذلك لاحظنا فی خبر الولادة حرص الإمام علی خفائها، كما نلاحظ أوامره المشددة لكل مَن أطلعه علی خبر الولادة من أرحامه وخواص شيعته بكتمان الخبر بالكامل فهو يقول مثلاً لأحمد بن إسحاق: «ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً ومن جميع الناس مكتوماً» [۱۶۲] . ومن جهة ثانية كان عليه الی جانب ذلك وفی ظل تلك الأوضاع الارهابية وحملات التفتيش العباسية المتواصلة، أن يثبت خبر ولادته (عليه السلام) بما لا يقبل الشك إثباتاً لوجوده ثم إمامته، فكان لابد من شهود علی ذلك يطلعهم علی الأمر لكی ينقلوا شهاداتهم فيما بعد ويسجلها التأريخ للأجيال [صفحه ۱۲۲] اللاحقة، ولذلك قام(عليه السلام) باخبار عدد من خواص شيعته بالأمر [۱۶۳] وعرض الوليد عليهم، بعد مضی ثلاثة أيام من ولادته [۱۶۴] ، كما عرضه علی أربعين من وجوه وخلّص أصحابه بعد مضی بضع سنين والإمام يومئذ غلام صغير وأخبرهم بأنه الإمام من بعده [۱۶۵] ، كما كان يعرضه علی بعض أصحابه فرادی بين الحين والآخر ويظهر لهم منه من الكرامات بحيث يجعلهم علی يقين من وجوده الشريف [۱۶۶] ، وقام (عليه السلام) باجراءات اُخری للهدف نفسه مع الالتزام بحفظ حياة الوليد من الإبادة العباسية بما أثبت تأريخياً ولادة خليفته الإمام المهدی(عليه السلام) بأقوی ما تثبت به ولادة انسان كما يصرح بذلك الشيخ المفيد [۱۶۷] . ومن جهة ثالثة كانت تواجه الإمام العسكری ـ سلام الله عليه ـ مهمّة التمهيد لغيبة ولده المهدی وتعويد المؤمنين علی التعامل غير المباشر مع الإمام الغائب، وقد قام(عليه السلام) بهذه المهمة عبر سلسلة من الاجراءات كإخبارهم بغيبته وأمرهم بالرجوع الی سفيره العام عثمان بن سعيد، فهو يقول لطائفة من أصحابه بعد أن عرض عليهم الإمام المهدی(عليه السلام) وهو غلام: «هذا إمامكم من بعدی وخليفتی عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدی فتهلكوا فی أديانكم، ألا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتی يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا الی أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه» [۱۶۸] . [صفحه ۱۲۳] ومن إجراءاته (عليه السلام) فی هذا المجال ـ تأكيده علی استخدام اسلوب الاحتجاب والتعامل مع المؤمنين بصورة غير مباشرة تعويداً لهم علی مرحلة الغيبة فكان: يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر إلا ـ فی الأوقات التی يركب فيها الی دار السلطان وانما كان منه ومن أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة وتجری العادة بالاحتجاب والإستتار [۱۶۹] ، ومن هذه الاجراءات تثبيت نظام الوكلاء عن

الإمام، وتأیید الکتب الحدیثیة التی جمع فیها أصحاب الائمة مرویاتهم عنهم وعن رسول الله (صلی الله علیه وآله) [۱۷۰]، لیرجع إلیها المؤمنون فی عصر الغیبة [۱۷۱].

حضوره وفاة أبیه

طبق ما یرویه الشیخ الصدوق فی إکمال الدین والشیخ الطوسی فی الغیبة فإن الإمام المهدی ـ عجل الله فرجه ـ قد حضر وفاة أبیه العسکری(علیهما السلام)، إلا أن روایة الشیخ الطوسی أکثر تفصیلًا من روایة الصدوق التی کَنَّتْ عن حضوره ولم تصرح به، فقد نقل الشیخ الصدوق عن محمد بن الحسین بن عباد أنه قال: مات أبو محمّدالحسن بن علی (علیهما السلام) یوم جمعة مع صلاة الغداة، وکان فی تلک اللیلة قد کتب بیده کتباً کثیرة الی المدینة وذلک فی شهر ربیع الأول لثمان خلون منه سنة ستین ومائتین من الهجرة ولم یحضره فی ذلک الوقت إلا صقیل الجاریة، وعقید الخادم ومَن علم الله عزوجل غیرهما... [۱۷۲]. [صفحه ۱۲۴] ونقل الطوسی الروایة بتفصیل أکثر حیث قال: «قال اسماعیل بن علی: دخلت علی أبی محمد الحسن بن علی(علیهما السلام) فی المرضة التی مات فیها، وانا عنده إذ قال لخادمه عقید ـ وکان الخادم اسود نوبیاً ـ قد خدم من قبله علی بن محمد وهو ربیُّ الحسن (علیه السلام): یا عقید اغل لی ماء بمصطکی. فاغلی له ثم جاءت به صقیل الجاریة ام الخلف فلما صار القدح فی یدیه هم بشربه فجعلت یده ترتعد حتی ضرب القدح ثنایا الحسن فترکه من یده وقال لعقید: «ادخل البیت فإنک تری صبیاً ساجداً فأتنی به»، قال ابو سهل: قال عقید: فدخلت أتحری فاذا انا بصبی ساجد رافع سبابته نحو السماء فسلمت علیه فأوجز فی صلاته فقلت: إن سیدی یأمرک بالخروج إلیه، إذ جاءت اُمّه صقیل فأخذت بیده وأخرجته الی أبیه الحسن(علیه السلام). قال ابو سهل: فلما مثل الصبیّ بین یدیه سلم وإذا هو دریُّ اللون وفی شعر رأسه قطط، مفلج الأسنان، فلما رآه الحسن (علیه السلام) بکی وقال: «یا سید أهل بیته اسقنی الماء فإنی ذاهب الی ربی» وأخذ الصبی القدح المغلی بالمصطکی بیده ثم حرک شفتیه ثم سقاه فلما شربه قال: «هیئونی للصلاة»، فطرح فی حجره مندیل فوضأه الصبی واحدة واحدة ومسح علی رأسه وقدمیه فقال له ابو محمد(علیه السلام): ابشر یا بنی فأنت صاحب الزمان وانت المهدی وانت حجة الله علی ارضه وانت ولدی ووصیی وأنا ولدتک وانت محمد بن الحسن بن علی بن محمد بن علی بن موسی بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب ولدک رسول الله وأنت خاتم الائمة الطاهرین وبشّر بک رسول الله (صلی الله علیه وآله) وسمّاک وکنّاک بذلک عهد إلیَّ أبی عن آبائک الطاهرین صلّی الله علی أهل البیت ربّنا انه حمید مجید، ومات الحسن بن علی من وقته صلوات الله علیهم اجمعین [۱۷۳]. [صفحه ۱۲۷]

الغیبة الصغری للإمام المهدی

تسلمه مهام الإمامة صغیراً

تسلّم المهدی(علیه السلام) مهام الإمامة وهو ابن خمس أو ست سنین فهو أصغر الائمة سناً عند تولیه مهام الإمامة. وقد أخبرت عن ذلک الأحادیث الشریفة سابقاً [۱۷۴]. ولیس فی ذلک غرابة فی تأریخ الأنبیاء والرسل وائمة أهل البیت(علیهم السلام) فقد سبقه لذلک بعض انبیاء الله تعالی حسب نصّ القرآن الکریم کعیسی ویحیی کما سبقه الإمامان علی الهادی(علیه السلام) الذی تسلم الإمامة وهو ابن ثمان سنین والإمام محمد الجواد(علیه السلام) الذی تسلم الإمامة وهو ابن سبع أو تسع سنین. وقد خاض الإمام الجواد (علیه السلام) امتحانین عامین، الأول منهما کان بحضور مشائخ مذهب أهل البیت(علیهم السلام) وکبار علمائهم من أصحاب أبیه، وبعد تسلمه لمهام الإمامة مباشرة، وکان الثانی منهما فی مجلس المأمون وبحضور کبار علماء المسلمین یومذاک وکبار زعماء العباسیین الذین کانوا یسعون [صفحه ۱۲۸] بکل وسیلة للحط من مکانة ائمة أهل البیت (علیهم السلام). وخرج من کلا الامتحانین بنجاح باهر

أذعن بسببه مشائخ أصحاب أبیه وکبار علماء المسلمین لإمامته العلمیة وإحاطته بعلوم شریعة جده سید الرسل محمد (صلی الله علیه وآله) [۱۷۵] . وکانت أهم ثمار هذه التجربة تتجلی فی إثبات إمامة الائمة الاثنی عشر کموقع إلهی یؤتیه الله تبارک وتعالی لمن یشاء فلا یؤثر صغر السن فی قابلیة الإفاضة الإلهیة علی الشخص، ولذلک نلاحظ أنّ الذین ترجموا للإمام المهدی(علیه السلام) من علماء المذاهب الإسلامیة قد اعتبروا تسلمه للإمامة، وهو ابن خمس سنین أمراً طبیعیاً فی سیرة ائمة هذا البیت(علیهم السلام)، حتی إنّ عالماً کبیراً مثل ابن حجر الهیثمی المکّی الشافعی یقول فی ذیل ترجمته للإمام الحسن العسکری(علیه السلام): ولم یخلف [الإمام العسکری] غیر ولده أبی القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبیه خمس سنین لکن آتاه الله فیها الحکمة... [۱۷۶] ، ویقول صاحب کتاب مرآة الأسرار الشیخ عبدالرحمن الجامی الحنفی فی ترجمته: «کان عمره عند وفاة ابیه خمس سنین وجلس علی مسند الإمامة ومثله مثل یحیی بن زکریا حیث أعطاه الله فی الطفولیة الحکمة والکرامة ومثل عیسی بن مریم حیث أعطاه النبوة فی صغر سنّه کذلک المهدی جعله الله إماماً فی صغر سنه، وما ظهر له من خوارق العادات کثیر لا یسعه هذا المختصر» [۱۷۷] . ونلاحظ هنا استناد الشیخ الجامی الحنفی الی تجارب الأنبیاء السابقین(علیهم السلام) التی تنفی استبعاد الإمامة عن الصغیر مادام الإمام مسدداً من [صفحه ۱۲۹] قبل الله تبارک وتعالی فی صغره أو کبره. وقد ثبت أن المهدی (علیه السلام) قد حظی بهذا التسدید الإلهی من خلال حوادث عدیدة نقلتها کتب الحدیث والتاریخ وذکرت صدور کرامات عنه (علیه السلام) لا یمکن صدورها عن غیر الإمام، وقد کان بعضها فی حیاة أبیه وبعضها الآخر فی عهد إمامته [۱۷۸] .

صلاته علی أبیه و إعلان وجوده

کان من أُولی المهمات التی قام بها الإمام المهدی (علیه السلام) بُعَیْد تسلمه مهام الإمامة هی الصلاة علی أبیه الحسن العسکری (علیهما السلام) فی داره وقبل إخراج جسده الطاهر الی الصلاة «الرسمیة» التی خططتها السلطات العباسیة [۱۷۹] وکان قیامه بهذه الصلاة یعتبر أمراً مهماً فی إثبات إمامته رغم المخاطر التی کانت تتوقع بعد نقل خبر هذه الصلاة. روی الشیخ الطوسی بسنده عن أحمد بن عبدالله الهاشمی ـ وهو من ولد العباس ـ قال: «حضرتُ دار أبی محمد الحسن بن علی (علیهما السلام) بسر مَن رأی یوم توفی وأُخرجت جنازته ووضعت، ونحن تسعة وثلاثون رجلاً قعود ننتظر، حتی خرج علینا غلام عشاری حاف، علیه رداء قد تقنع به فلما أن خرج قمنا هیبة له من غیر أن نعرفه، فتقدم وقام الناس فاصطفوا خلفه، فصلی علیه ومشی، فدخل بیتاً غیر الذی خرج منه» [۱۸۰] . وروی الشیخ الصدوق الحادثة نفسها بتفصیلات أدق عن أبی الأدیان [صفحه ۱۳۰] البصری أحد ثقاة الإمام العسکری (علیه السلام)، حیث قال: «کنت اخدم الحسن بن علی بن محمد بن علی بن موسی بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب (علیهم السلام) واحمل کتبه الی الأمصار فدخلت علیه فی علّته التی توفّی فیها صلوات الله علیه فکتب معی کتباً وقال: «امض بها الی المدائن فإنک ستغیب اربعة عشر یوماً وتدخل الی (سر من رأی) یوم الخامس عشر وتسمع الواعیة فی داری وتجدنی علی المغتسل». قال أبو الأدیان: فقلت: یا سیدی فاذا کان ذلک فمن؟ قال: «من طالبک بجوابات کتبی فهو القائم من بعدی»، فقلت: زدنی فقال: «من اخبر بما فی الهمیان فهو القائم بعدی» ثم منعتنی هیبته ان اسأله عما فی الهمیان وخرجت بالکتب الی المداین واخذت جواباتها ودخلت (سر من رأی) یوم الخامس عشر کما قال لی (علیه السلام) واذا أنا بالواعیة فی داره واذا به علی المغتسل واذا انا بجعفر الکذاب ابن علی اخیه بباب الدار والشیعة من حوله یعزونه ویهنؤونه فقلت فی نفسی ان یکن هذا الإمام بطلت الإمامة لأنی کنت اعرفه یشرب النبیذ ویقامر فی الجوسق ویلعب بالطنبور فتقدمت فعزیت وهنئت فلم یسألنی عن شیء ثم خرج عقید فقال: یا سیدی قد کفن اخوک فقم فصلِّ علیه. فدخل جعفر بن علی والشیعة من حوله یقدمهم السمان والحسن بن علی قبیل المعتصم المعروف بسلمة فلما صرنا فی الدار اذا نحن بالحسن بن علی صلوات الله علیه علی نعشه مکفناً، فتقدم جعفر بن علی لیصلّی علی اخیه فلما هم بالتکبیر خرج صبی بوجهه سمرة بشعره قطط باسنانه تفلیج، فجذب برداء جعفر بن علی وقال:«تأخر یا عم فأنا احق بالصلاة

على أبى» فتأخر جعفر وقد اربدّ وجهه واصفرّ وتقدم الصبى فصلى عليه ودفن الى جانب قبر ابيه(عليهما السلام) ثم قال: «يا بصرى هات جوابات الكتب التى معك» فدفعتها إليه فقلت [صفحه ۱۳۱] فى نفسى: هذه بيّنتان بقى الهميان ثم خرجت الى جعفر بن على وهو يزفر فقال له حاجز الوشا: يا سيدى من الصبى لنقيم الحجة عليه؟ فقال: والله ما رأيته ولا اعرفه فنحن جلوس اذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن على (عليه السلام) فتعرفوا موته فقالوا: فمن نعزى؟ فاشاروا الى جعفر ابن على فسلموا عليه وعزوه وهنؤوه وقالوا: معنا كتب ومال فتقول ممن الكتب وكم المال؟ فقام ينفض اثوابه ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب؟! قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه الف دينار وعشرة دنانير منها مطلية فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا: الذى وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام. فدخل جعفر بن على على المعتمد وكشف ذلك فوجّه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها بالصبى فأنكرته، وادعت أن بها حبلاً ـ لتغطى على حال الصبى، فسلّمت الى ابن أبى الشوارب القاضى، وبغتهم موت عبيدالله بن خاقان فجأة وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم والحمد لله رب العالمين...» [۱۸۱] .

اهدافه من الصلاة على أبيه

حقق قيام الإمام بالصلاة على أبيه ـ سلام الله عليهما ـ أمرين مهمين، كان من الضرورى إنجازهما بعد وفاة الإمام الحادى عشر حيث تتطلّع أنظار الناس لمعرفة هوية الإمام الثانى عشر، بعد أن عرفنا أنّ ولادة الإمام المهدى ـ سلام الله عليه ـ كانت قد اُحيطت بالكتمان الشديد بسبب الترصد العباسى للقضاء على الوليد المصلح المرتقب، لذلك فإن هذا [صفحه ۱۳۲] الظرف الخاص هو الظرف الذى كانت تتطلع فيه الأعين لترى من الذى يصلى على الإمام المتوفى لتتخذ ذلك قرينة كاشفة عن خليفة الإمام السابق. وهكذا كان الظرف يمثل فرصة مناسبة للغاية لتعريف الحاضرين فى الدار ـ وكثير منهم من عيون أصحاب الإمام العسكرى(عليه السلام) ووكلائه ـ بوجود الإمام المهدى وأنه هو الوصى الحقيقى لأبيه، وأن الرعاية الإلهية قد حفظته من مساعى الإبادة العباسية خاصة وأن الخليفة العباسى المعتمد قد بعث جلاوزته فور وصول خبر وفاة الإمام العسكرى لتفتيش داره (عليه السلام) بجميع حجرها بحثاً عن ولده واصطحبوا معهم نساءاً يعرفن الحبل لفحص جواريه (عليه السلام) وكل ذلك كان قبل تهيئة الجسد الطاهر وتكفينه [۱۸۲] ، لذلك كانت صلاته على أبيه (عليه السلام) بمثابة إعلان لأولئك الحاضرين ـ وعددهم كان يناهز الأربعين كما فى رواية الهاشمى المتقدمة ـ بسلامة الإمام المهدى من الهجوم العباسى السريع الذى باغت أهل دار العسكرى المنشغلين بمصيبة فقده (عليه السلام)، الأمر الذى قد يجعل البعض يتصور بأنهم لم يكونوا يتحسبون لهذا الهجوم المباغت. ولتأكيد هذا الأمر نلاحظ أن ظهور الإمام المهدى (عليه السلام) للصلاة على أبيه اقترن بالإعلان عن هويته وأنه ابن الحسن العسكرى وأنه أحق بالصلاة عليه كما تصرح بذلك رواية أبى الأديان حيث خاطب الإمام عمه جعفر بالقول: «يا عم، أنا أحق بالصلاة على أبى». أما الإنجاز الثانى، فهو منع عمه جعفر ـ الذى لُقب بالكذاب ـ من استغلال هذا الموقف المهم للحصول على ورقة مؤثرة فى أذهان الناس تؤيد دعاويه التضليلية بأنه هو الإمام بعد أخيه العسكرى (عليه السلام)، وتتضح أهمية هذا [صفحه ۱۳۳] الإنجاز وضرورته من ملاحظة الجهود المستميتة التى بذلها جعفر بتشجيع من السلطة العباسية لإقناع الناس بأنه خليفة أخيه العسكرى (عليه السلام) والقائم مقامه فى الإمامة [۱۸۳] ، وقد بلغت استماتته فى ذلك حد الوشاية بابن أخيه المهدى (عليه السلام) ومسارعته لإخبار المعتمد العباسى بحضوره للصلاة بهدف القبض عليه كما رأينا فى الرواية المتقدمة، واستنجاده بالبلاط العباسى لمناصرته فى جهوده هذه. وواضح أنّ لمثل هذا النشاط المحموم تأثيراً سلبياً كبيراً فى إضلال الناس وإبعادهم عن الإمام الحق خاصة مع الخفاء الذى كان قد أحاط بولادة المهدى (عليه السلام) وكتمان أمره إلا عن خواص أصحابه، فكان لابد للإمام (عليه السلام) من مواجهته وعدم السماح له باستغلال ذلك الموقف الحساس لجهوده التضليلية تلك، وإعلان وجوده (عليه السلام) إكمالاً للحجة على الرغم من المخاطر التى حفت بالقيام بهذه المهمة.

غيبتا الإمام المهدى

كـان للإمـام المهـدى ـ عجل الله فرجه ـ غيبتان: صـغرى وكبرى، أخبرت عنهما معاً الكثير من الأحاديث الشـريفة المرويـة عن الرسول الأـكرم (صـلى الله عليه وآله) وعن الائمـة المعصومين من أهـل بيته (عليهم السـلام) كما نشـير لـذلك لاحقاً، بل وأشارت إليها بعض نصوص الكتب السـماوية السابقة كما لاحظنا سابقاً. تبدأ الغيبة الصـغرى من حين وفاة أ بيه الحسن العسـكرى (عليه السلام) سنة (۲۶۰ هـ) وتولّى المهـدى مهام الإمامـة الى حين وفاة آخر السـفراء الأربعة [صـفحه ۱۳۴] الخاصـين بالإمام المهـدى ـ عجل الله فرجه ـ وهو الشـيخ على بن محمد السمرى فى النصف من شعبان سنة (۳۲۹ هـ) تزامناً مع ذكرى ولادة الإمام المهدى (عليه السـلام)؛ فتكون مدتها قرابة السـبعين عاماً، وقد تميزت هذه الفترة بعدم الاستتار الكلى للإمام حيث كان يتصل بعدد من المؤمنين، كما تميزت بكثرة الرسائل الصادرة عنه (عليه السـلام) فى موضوعات عديدة، وكذلك بوجود السـفراء الخاصين والوكلاء الذين كان يعينهم مباشرة. وهذه الفترة مثلت مرحلة انتقالية بين الظهور المباشـر الذى كان مألوفاً فى حياة آبائه وبين الاسـتتار الكامل فى عهد الغيبة الكبرى. أما الغيبة الكبرى فقد بدأت إثر وفاة الشـيخ السمرى إذ أمره الإمام بعدم تعيين خليفة له، بعد أن استنفذت الغيبة الصغرى الأهداف المطلوبة منها. والغيبة الكبرى مسـتمرة الى يومنا هذا وستستمر حتى يأذن الله تبارك وتعالى للإمام بالظهور والقيام بمهمته الإصلاحية الكبرى. وتميزت الغيبة الكبرى بانتهـاء نظـام السـفارة الخاصـة عن الإمـام، وبقلّـة الرسائـل الصـادرة عنه (عليه السـلام)، وبالاسـتتار الكلى إلا فى حالات معينة سنتحدث عنها وعن تفصيلات ما أجملناه آنفاً ضمن البحوث التالية. [صفحه ۱۳۵]

اسباب الغيبة الصغرى و التمهيد لها

اسباب الغيبة الصغرى

جاءت غيبـة الإمام المهـدى ـ عجل الله فرجه ـ كإجراء تمهيـدى لظهوره اقتضـته الحكمـة الإلهيـة فى تـدبير شؤون العباد بهـدف تأهيل المجتمع البشـرى للمهمـة الإصـلاحية الكبرى التى يحققها الله تبارك وتعالى على يـديه (عليه السـلام) والتى تتمثل فى إظهار الإسـلام على الدين كله وإقامة الدولة الإسلامية العادلة فى كل الأرض وتأسيس المجتمع التوحيدى الخالص الذى يعبد الله وحده لا شريك له دونما خوف من كيد منافق أو مشرك كما نصت على ذلك النصوص الشرعية التى سنتناولها فى الفصل الخاص بسيرته (عليه السلام) بعد ظهوره. إن الانحراف الذى ساد الكيان الإسـلامى قد أبعده عن الدور الريادى المطلوب الذى أراده الله سبحانه، له أى لكى يكون كيان خير اُمـة أخرجت للناس، وترسّـخ الانحراف الاجتماعى والأخلاقى والاقتصادى حتى أفقـده أهليّة القيام بهداية المجتمع البشـرى نحو العدالة الإسـلامية التى فقدها المسـلمون أنفسـهم وفقدوا معها الكثير من القيم الإلهية الأصـيلة حتى اختفت مظاهرها من حياتهم. [صفحه ۱۳۶] والانحراف السياسـى ـ الذى سـبب انحرافات اُخرى ـ كان قد طغى على كيان المسلمين واستشرى الفساد فى حكوماتهم التى لم يكن لها هدف سوى التمادى فى الملذات المحرمة والتناحر الداخلى بدوافع سـلطوية ومطامع استعلائية فى الأرض حتى غابت صورة الخليفـة الخادم للرعيـة المدافع عن كرامتهم الإنسانية ومصالحهم الدنيوية والاُخروية وحلت محلها صورة الحاكم المسـتبد الذى لاـ همّ له سوى الفساد والإفساد والاسـتعلاء فى الأرض والاحتفاظ بالعرش بما أمكنه ولو كان على حساب سـحق أبسط القيم التى جاء بها مَن يرفعون شـعار خلافته أى النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ولذلك اجتهدوا فى محاربة ائمة الهدى من عترته كما لاحظنا فى تعليـل الإمـام العسـكرى (عليه السـلام) للمطـاردة الأمويـة والعباسـية لهم وخاصـة للمهـدى الموعود. إذن فالكيان الإسـلامى ـ وبالتالى المجتمع البشـرى ـ لم يكن مؤهلاًـ بالفعـل لتلـك المهمـة الإصـلاحية الكبرى التى تحمّلها المهـدىّ الموعود، ولعل من أوضـح مظاهر ذلك موقفه من الثورات العلويـة الكثيرة التى كانت تتفجر فى أرجاء مختلفة من العالم الإسـلامى، لكنها كانت تواجه بقمع وحشـى أو خذلان سـريع أو انحراف سـريع عن أهدافها المعلنة وتحويلها الى حكومة سـلطوية كسائر الحكومات الفاسدة المعاصـرة لها بعيدة عن

الأهداف الإصلاحية الإسلامية الكبرى [۱۸۴] . فى ظل هذه الأوضاع وفى ظل الجهود المستميتة التى كانت تبذلها السلطات العباسية للقضاء على المهدى كما تقدم، كان لابد من إحاطة الإمام (عليه السلام) بستار يمكنه من المساهمة ـ كحجة لله على عباده ـ فى إعداد [صفحه ۱۳۷] المقدمات اللازمة لظهوره دون أن يعرّضه لخطر الإبادة وفقدان البشر لحجة الله الموكّل بحفظ الشريعة المحمدية، وهذا الستار هو الذى سمى بـ «الغيبة». والى هذا السبب أشارت مجموعة من الأحاديث الشريفة عن أنّ أحد أسرار الغيبة هو الخشية من القتل، وهذه العلة تنطبق على الغيبة الصغرى وثمة علل أخرى ترتبط بتأهيل المجتمع البشرى للظهور. سنفصل الحديث عنها فى مقدمة الفصل الخاص بالغيبة الكبرى.

تمهيد النبى و الائمة لغيبة الإمام المهدى

سجلت المصادر الإسلامية الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وائمة أهل البيت (عليهم السلام)؛ التى أخبرت عن حتمية وقوع غيبة الإمام المهدى ـ عجل الله فرجه ـ وقد نقلنا نماذج لها ضمن الحديث عن خفاء ولادته، وننقل هنا نماذج أخرى لها. فمنها ما رواه الحافظ صدر الدين ابراهيم بن محمد الحموينى الشافعى (۶۴۴ ـ ۷۲۲ هـ) فى كتابه فرائد السمطين، وغيره بأسانيدهم عن ابن عباس أن يهودياً اسمه نعثل ويكنى أبا عمارة جاء الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسأله عن أشياء ترتبط بالتوحيد والنبوة والإمامة فأجابه عليها فأسلم الرجل وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وانك رسول الله، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت هذا فى الكتب المتقدمة، وفيما عهد الينا موسى (عليه السلام): اذا كان آخر الزمان يخرج نبى يقال له «أحمد» خاتم الأنبياء لا نبى بعده، يخرج من صلبه ائمة ابرار عدد الأسباط. فقال (صلى الله عليه وآله) «يا أبا عمارة اتعرف الأسباط»؟ قال: نعم يا رسول الله انهم كانوا اثنى عشر. [صفحه ۱۳۸] قال: «فإن فيهم لاوى بن ارحيا». قال: أعرفه يا رسول الله، وهو الذى غاب عن بنى اسرائيل سنين ثم عاد فأظهر شريعته بعد دراستها وقاتل مع فريطيا الملك حتى قتله. وقال (عليه السلام): «كائن فى اُمتى ما كان من بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وان الثانى عشر من ولدى يغيب حتى لا يرى، ويأتى على اُمتى زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله له بالخروج فيظهر الإسلام ويجدد الدين». ثم قال (عليه السلام): طوبى لمن أحبهم وطوبى لمن تمسك بهم، والويل لمبغضهم» [۱۸۵] . وروى عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «مَن أنكر القائم من ولدى فى غيبته مات ميتة جاهلية» [۱۸۶] . وقال(صلى الله عليه وآله): «والذى بعثنى بالحق بشيراً ليغيبن القائم من ولدى بعهد معهود إليه منى حتى يقول الناس ما لله فى آل محمد من حاجة، ويشك آخرون فى ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكه فيزيله عن ملتى ويخرجه من دينى...» [۱۸۷] . وقال(صلى الله عليه وآله): «... وجعل من صلب الحسين أئمة ليوصون بأمرى ويحفظون وصيتى، التاسع منهم قائم أهل بيتى ومهدى اُمتى، أشبه الناس بى فى شمائله وأقواله وأفعاله، ليظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلّة، فيُعلن أمر الله ويظهر دين الحق...» [۱۸۸] . وقال(صلى الله عليه وآله): «لا بد للغلام من غيبة» فقيل له: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: [صفحه ۱۳۹] يخاف القتل» [۱۸۹] . وقال(صلى الله عليه وآله): «المهدى من ولدى تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الاُمم، يأتى بذخيرة الأنبياء (عليهم السلام) فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً» [۱۹۰] . وعن الإمام على (عليه السلام) قال ضمن حديث: «... ولكنى فكرتُ فى مولود يكون من ظهرى الحادى عشر من ولدى هو المهدى الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً تكون له غيبة وحيرة يضل فيها أقوام ويهتدى فيها آخرون...». [۱۹۱] وقال(عليه السلام) «وإن للغائب منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى فلا ـ يثبت على إمامته إلا ـ مَن قوى يقينه وصحت معرفته» [۱۹۲] . وروى فى ذلك ايضاً عن الإمام الحسن بن على (عليه السلام)، كما تقدم فى بحث ولادته (عليه السلام). وروى عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: «لصاحب هذا الأمر [يعنى المهدى] غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم: ذهب، ولا يطلع على موضعه أحد من ولى ولا غيره إلا المولى الذى يلى أمره» [۱۹۳] . وعن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: «فى القائم سنة من نوح وهو طول العمر» [۱۹۴] ، وقال(عليه السلام): «إن للقائم

منا غيبتين احداهما أطول من الأخرى» [۱۹۵] . وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الاُخرى» [۱۹۶] . [صفحه ۱۴۰] وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها» [۱۹۷] ، «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها... لأن الله عز وجل أبى إلا أن يجرى فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) وأنه لابد يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم» [۱۹۸] . وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): «أنا القائم بالحق ولكنّ القائم الذى يطهر الأرض من أعداء الله ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدى له غيبة يطول أمدها...» [۱۹۹] . وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال ضمن حديث عن القائم: «... ذاك الرابع من ولدى يغيّبه الله فى ستره ما شاء ثم يظهره فيملأ ـ [به] الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» [۲۰۰] . وعن الإمام الجواد (عليه السلام) قال ضمن حديث: «... ما منّا إلّا قائم بأمر الله وهاد الى دين الله ولكن القائم الذى يطهر الله عز وجل به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذى يخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه...» [۲۰۱] . وعن الإمام الهادى (عليه السلام) قال: «... إنكم لا ترون شخصه...» [۲۰۲] ، وقال: «إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج» [۲۰۳] . وعن الإمام العسكرى (عليه السلام) قال: «والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه...» [۲۰۴] ، وقال: «إبنى محمد هو الإمام والحجة بعدى، مَن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إنه له غيبة يُحار فيها [صفحه ۱۴۱] الجاهلون...» [۲۰۵] ، وقال: «... إبنى هذا، إنه سمى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكنيه، الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً... مثله فى هذه الاُمّة مثل الخضر ومثل ذى القرنين، والله ليغيبن غيبة...» [۲۰۶] . والأحاديث الشريفة بهذه المعانى كثيرة جداً متواترة من طرق أهل البيت(عليهم السلام) ونقلها العديد من حفاظ أهل السنة من مختلف مذاهبهم كما رأينا، والكثير منها مروى بأسانيد صحيحة، وهى من أوضح الأدلة على صحة غيبة الإمام المهدى وكونها بأمر الله عز وجل، حيث ثبت صدورها بل وتدوينها قبل وقوع الغيبة بزمن طويل، فجاءت الغيبة مصدقة لها مثبتة لصحة مضامينها وصدورها من ينابيع الوحى من علام الغيوب تبارك وتعالى حتى لو كانت مرسلة أو كان ثمة نقاش فى بعض أسانيدها. قال الشيخ الصدوق ـ رضوان الله عليه ـ: «إن الأئمة (عليهم السلام) قد أخبروا بغيبته ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نُقل عنهم واستُحفظ فى الصحف ودوّنَ فى الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتى سنة أو أقل أو أكثر، وليس أحد من أتباع الأئمة(عليهم السلام) إلا وقد ذكر ذلك فى كثير من كتبه ورواياته ودوّنه فى مصنفاته وهى الكتب التى تعرف بالأصول مدونة مستحفظة عند شيعة آل محمد من قبل الغيبة بما ذكرناه من السنين... فلا يخلو حال هؤلاء الاتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا قد علموا بما وقع الآن من الغيبة فألفوا ذلك فى كتبهم ودونوه فى مصنفاتهم من قبل كونها، وهذا محال عند أهل اللب والتحصيل، أو أن يكونوا أسسوا فى كتبهم الكذب فاتفق لهم الأمر كما ذكروا وتحقق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم [صفحه ۱۴۲] واختلاف آرائهم وتباين أقطارهم ومحالهم وهذا أيضاً محال كسبيل الوجه الأول، فلم يبق فى ذلك إلا أنهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ذكر الغيبة وصفة كونها فى مقام بعد مقام الى آخر المقامات ما دونوه فى كتبهم وألفوه فى أصولهم. وبذلك وشبهه فلج الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» [۲۰۷] . ومما يزيد هذا الدليل الوجدانى وضوحاً أن هذه الأحاديث الشريفة أخبرت عن تفصيلات دقيقة فى شكل هذه الغيبة وهوية الإمام الغائب وانه الثانى عشر من الأئمة والتاسع من ذرية الحسين (عليهم السلام) وغير ذلك من التفصيلات التى لم تنطبق تأريخيّاً إلا على غيبة الإمام المهدى (عليه السلام) وهذا من الدلائل الاعجازية الواضحة على صحة إمامته وغيبته ـ عجل الله فرجه ـ ويقول الشيخ المفيد أيضاً: «فقد كانت الأخبار عمن تقدم من أئمة آل محمد(عليهم السلام) متناصرة بأنه لابد للقائم المنتظر من غيبتين إحداهما أطول من الأخرى يعرف خبرَه الخاصُ فى القصرى ولا ـ يعرف العام له مستقراً فى الطولى إلاّ مَن تولى خدمته من ثُقاة أوليائه... والأخبار بذلك موجودة فى مصنفات الشيعة الإمامية قبل مولد أبى محمد [الإمام العسكرى] وأبيه وجده(عليهم السلام)، وظهر حقها عند مضى الوكلاء والسفراء الذين سميناهم (رحمهم الله) وبان صدق رواتها بالغيبة الطولى وكان ذلك من الآيات الباهرات فى صحة ما ذهبت إليه الإمامية ودانت به فى معناه...» [۲۰۸] . وهذا الاستدلال يصدق فى إثبات صحة كلا الغيبتين الصغرى والكبرى لأن الأحاديث الشريفة تحدثت عنهما

وعن تفصيلاتهما. [صفحه ۱۴۳]

فلسفة مرحلية الغيبة

أشرنا الى أن الغيبة ـ عموماً ـ إجراء تمهيدى كان لابدّ منه ليتمكن الإمام المهدى ـ عجل الله فرجه ـ من الظهور وإنجازه لمهمته الإصلاحية العالمية الكبرى. وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هذه الغيبة على مرحلتين. والعلة واضحة؛ إذْ إنّ وقوع الغيبة الكاملة بصورة مفاجئة سوف يفقدها مجموعة من العوامل اللازمة لتأهيل المجتمع الإسلامى والبشرى لظهوره(عليه السلام) وإقامة الدولة الإسلامية العالمية. إذ المحور العام لعملية التأهيل هذا هو التمحيص الإعدادى ـ كما تشير لذلك الأحاديث الشريفة على ما سيأتى تفصيله خلال الحديث عن الغيبة الكبرى بإذن الله ـ ومثل هذا التمحيص يحتاج الى جملة عوامل وقناعات عقائدية متينة تمثل قاعدة الاستناد للإنسان المسلم للنجاح فى عملية التمحيص وتراكم الخبرات واللياقات النفسية والمعرفية عبر أجيال المجتمع الإسلامى استعداداً للظهور. إن النبى الأكرم(صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته(عليهم السلام) قد مهّدوا لهذه الغيبة بخطوات عديدة ازدادت عمقاً وشمولية كلمّا اقترب، أوآنها كالإخبار عن حتمية وقوعها، وخفاء ولادة صاحبها، وتوسيع العمل بنظام الوكلاء، وتوفير ما تحتاجه الأمة من المعارف الإسلامية والقواعد الشرعية التى يتم على أساسها استنباط الأحكام الشرعية وغير ذلك، إلا أن التمهيد للغيبة الكاملة بقى بحاجة الى خطوات تكميلية ونماذج تطبيقية تؤكدها وتبيّنها، وهذا ما قام [صفحه ۱۴۴] به الإمام المهدى(عليه السلام) فى الغيبة الصغرى وهو الإطار العام لسيرته وتحركه فى هذه الفترة التى جاءت بمثابة مرحلة انتقال بين حالة الظهور الكامل للأئمة السابقين (عليهم السلام) وبين الغيبة الكاملة للمهدى الموعود، فهى فى الواقع خطوة تمهيدية أخيرة للغيبة الكبرى. والحقيقة المتقدمة نجدها متجلية بوضوح فى سيرته (عليه السلام) فى الغيبة الصغرى ومن خلال دراسة أهداف تحركاته فيها ومقارنة هذه الأهداف بالخصوصيات المميزة لفترة الغيبة الكبرى. لذلك ندخل الى الحديث عن سيرته(عليه السلام) من باب دراسة أهدافها بالتحديد لكى يتضح الترابط بينها وبين سيرته فى الغيبة الكبرى.

تعقيب السلطة العباسية لخبر الإمام

يظهر من روايات مرحلة الغيبة الصغرى أنّ السلطة العباسية أخذت تتعقب خبر الإمام المهدى (عليه السلام)، وكأنها كانت على اطمئنان بوجوده استناداً الى ما تواتر نقله عن النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) من أخبار الائمة الإثنى عشر من عترته، وكانت تعلم أن الحسن العسكرى (عليه السلام) هو الحادى عشر منهم فلابد من ولادة الثانى عشر أيضاً وهو خاتمهم الموعود بإنهاء الظلم والجور على يديه حسبما ورد فى البشارات النبوية المتواترة. وقد لاحظنا فى رواية الكلينى ـ ضمن حديثنا عن رعاية الإمام لوكلائه ـ أن هدف السلطة من التجسس على الوكلاء هو الوصول الى الإمام(عليه السلام)، ولذلك كانت التأكيدات المشددة من قبل الأئمة السابقين (عليهم السلام) ومن الإمام المهدى(عليه السلام) نفسه تركّز على النهى عن ذكر اسم الإمام فى الغيبة الصغرى؛ [صفحه ۱۴۵] لأنه اذا عُرف الاسم اشتد الطلب [۲۰۹] ويُستفاد من رواية نقلها الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة: أن السلطات العباسية حصلت بالفعل على معلومات عن وجود الإمام(عليه السلام) وسعت لاغتياله، فتحدّاها الإمام (عليه السلام) ليثبت أنه محفوظ بالرعاية الإلهية. تقول الرواية: «وحدّث عن رشيق صاحب المادراى قال: بعث الينا المعتضد ونحن ثلاثة نفر فأمرنا أن يركب كل واحد منّا فرساً ونجنب آخر ونخرج مخفين لا يكون معنا قليل ولا كثير إلا على السرج مصلى وقال لنا: الحقوا بسامرة، ووصف لنا محلة وداراً وقال: اذا أتيتموها تجدون على الباب خادماً اسود فاكبسوا الدار ومن رأيتم فيها فأتونى برأسه. فوافينا سامرة فوجدنا الأمر كما وصفه، وفى الدهليز خادم أسود وفى يده تكة ينسجها فسألناه عن الدار ومن فيها فقال: صاحبها، فوالله ما التفت الينا وأقل اكتراثه بنا، فكبسنا الدار كما أمرنا فوجدنا داراً سرية ومقابل الدار سترما نظرت قط الى أنبل منه كأنّ الأيدى رفعت عنه فى ذلك الوقت. ولم يكن فى الدار أحد فرفعنا الستر فاذا بيت كبير كأن

بحراً فیه مـاء وفی أقصـی البیت حصـیر قـد علمنا انه علی الماء، وفوقه رجل من أحسن الناس هیئـة قائم یصـلی. فلم یلتفت إلینا ولا الی شیء من أسـبابنا، فسبق أحمـد بن عبـدالله لیتخطی البیت فغرق فی المـاء ومازال یضـطرب حتی مـددت یـدی إلیه فخلصـته وأخرجته وغشـی علیه وبقی ساعـهٔ، وعاد صاحبی الثانی الی فعل ذلک الفعل فناله مثل ذلک، وبقیت مبهوتاً فقلت لصاحب البیت: المعـذرهٔ الی الله والیـک فوالله ما علمت کیف الخبر ولا الی من أجیء وأنا تائب الی الله، فما [صـفحه ۱۴۶] التفت الی شـیء مما قلنا وما انفتل عما کان فیه، فهالنا ذلک وانصـرفنا عنه. وقـد کان المعتضـد ینتظرنا، وقـد تقـدم الی الحجّاب اذا وافیناه أن نـدخل علیه فی أی وقت کان، فوافیناه فی بعض اللیل فأدخلنا علیه فسألنا عن الخبر فحکینا له ما رأینا، فقال: ویحکم! لقیکم أحـد قبلی؟ وجری منکم الی أحـد سـبب أو قول؟ قلنا: لا، فقال: أنا نفیّ من جـدی ـ وحلف بأشد ایمان له ـ أنه رجل إن بلغه هذا الخبر یضـربن اعناقنا. فما جسـرنا أن نحدّث به إلا بعد موته [۲۱۰] . [صفحه ۱۴۷]

انجازات الإمام المهدی فی الغیبهٔ الصغری

اثبات وجوده و إمامته

وهو الهدف الذی توخاه من حضوره للصلاهٔ علی ابیه ـ سلام الله علیهما ـ کما تحدثنا عن ذلک سابقاً، وهو من أهم خطواته وتحرکاته فی غیبته الصـغری، وتبرز أهمیهٔ هذا الهدف من کونه یوفر القاعدهٔ الأساس التی یستند الیها تحرّک المهدی فی عصر الغیبهٔ، إذ أنّ من الواضح من النصوص الشـرعیهٔ أنّ النجاهٔ من الضـلالهٔ ومیتهٔ الجاهلیهٔ تکمن فی معرفهٔ إمام العصر والتمسک بطاعته، وهذا الإمام مستور غیر ظـاهر فی عصـر الغیبـهٔ الکبری لـذا فإن الإیمان به ـ وهو مقدمـهٔ طاعته والتمسّک بولایته ـ فرع الاطمئنان والثقـهٔ بوجوده الی درجهٔ تمکّن المؤمن من مواجهـهٔ التشـکیکات الناتجـهٔ من عـدم مشاهـدته بصورهٔ حسیّهٔ ظـاهرهٔ. وهـذا الاطمئنـان هو الـذی أکملت أسـبابه تحرکـات الإمـام المهـدی ـ عجـل الله فرجه ـ فی فترهٔ الغیبـهٔ الصـغری بمـا أتم من الحجـهٔ فی التقـائه بالثقات وإظهار الکرامات التی لا یمکن تصور صـدورها عن غیر الامام وغیر ذلک مما سـجلته الروایات المتحدثـهٔ عن هذه الفترهٔ والتی دوّنها العلماء الإثبات فی کتبهم [۲۱۱] . [صفحه ۱۴۸]

اکمال ما تحتاجه الأمهٔ من معارف الاسلام

طوال ما یزیـد علی القرنین قام أئمهٔ أهل البیت النبوی ـ صـلوات الله علیهم ـ بتبلیغ معظم ما تحتاجه الأمهٔ خلال عصـر الغیبهٔ الکبری من معارف القرآن الکریم وسنّهٔ جدهم سـید المرسـلین (صلی الله علیه وآله) والتی تمثل بمجموعها الإسلام النقی والدین القیّم الذی أمر الله تبارک وتعالی باتباعه والعمل علی وفقه، والعروهٔ الوثقی المعبّرهٔ عن التمسک بالثقلین اللـذین تکون بهما النجاهٔ من الضـلالهٔ ومیتهٔ الجاهلیهٔ، وتضـمن هذا التراث تحدید وتوضـیح قواعد وأصول اسـتنباط الأحکام الشـرعیهٔ والمعارف الإسلامیهٔ من هذا التراث الروائی الثر لسـنّهٔ الرسول(صـلی الله علیه وآله) وأئمـهٔ عترته(علیهم السـلام) الذین أمروا أصـحابهم بحفظه وتدوینه لیکون مصدراً ـ الی جانب القرآن الکریم ـ لجمیع المعـارف والأحکـام الإسـلامیهٔ التی تحتاجها الأمـهٔ الإسـلامیهٔ الی ظهور الإمام المهـدی(علیه السـلام)، وکانت ثمرهٔ هـذا الأـمر تلـک الروایـات الشـریفهٔ من قبـل أصـحاب الأئمـهٔ حیث عُرفت بالأصول الأربعمائـهٔ التی تم تـدوینها فی عصـر الأئمهٔ السابقین للإمام المهدی (علیه السـلام)، وحفظت فیها جل نصوص السـنهٔ النبویهٔ الشـریفهٔ [۲۱۲] . وخلال الغیبهٔ الصـغری أکمل الإمام الثـانی عشـر المهـدی المنتظر(علیه السـلام) ما تبقّی مما تحتاجه الأمـهٔ خلال الغیبـهٔ الکبری من تلک المعارف وما یعین المؤمنین علی التحرک والاسـتقامهٔ علی الصراط المستقیم ویحفظ للاُمهٔ استمرار مسیرتها التکاملیهٔ؛ وهذا هو الهدف العام الثانی لسیرته (علیه السلام) فی فترهٔ الغیبهٔ الکبری کما یتجلی فی الکثیر من الرسائل الصادرهٔ عنه فیها. [صفحه ۱۴۹]

تثبیت نظام النیابة

قام الإمام المهدی(علیه السلام) فی هذه الفترة بتعیین عدد من الثقات المخلصین فی إیمانهم من شیعته وکلاء عنه یتحرکون بإذنه وبأمره ویشکلون جهازاً للارتباط بالمؤمنین، وقد مهد له فی ذلک جده الإمام الهادی ومن قبله الإمام الجواد (علیه السلام) ثم تابعه الإمام العسکری (علیه السلام) الذی رسّخ نظام الوکلاء تمهیداً لغیبة ولده. فکان یُعلن توثیق بعض وجوه أصحابه وأنه وکیل عنه، فمثلاً قال(علیه السلام) بشأن عثمان بن سعید العمری وکیله الذی أصبح فیما بعد وکیلاً لولده الإمام المهدی(علیه السلام)، وکان وکیلاً للإمام الهادی(علیه السلام) أیضاً: «هذا أبو عمرو الثقة الأمین ثقة الماضی وثقتی فی المحیا والممات، فما قاله لکم فعنّی یقوله، وما أدی إلیکم فعنّی یؤدیه» [۲۱۳] . وقد ذکر الشیخ الصدوق أسماء إثنی عشر شخصاً من وکلاء ونواب الإمام المهدی(علیه السلام) فی الغیبة الصغری وأضاف الیهم السید محمد الصدر أسماء ستة آخرین استناداً الی ماورد فی المصادر التأریخیة وکتب الرجال [۲۱۴] ، وکان الإمام یتولّی تنصیبهم مباشرة ویصدر بیانات «توقیعات» فی ذلک وفی نفی الوکالة عمّن یدّعیها ولم یکن منهم [۲۱۵] . وثمة تغییر مهم حدث فی نظام الوکلاء فی هذه الفترة عما کان علیه فی زمن الإمام العسکری(علیه السلام)، وهو استحداث الإمام المهدی(علیه السلام) منصب الوکیل الخاص أو السفیر العام بینه وبین المؤمنین وهو منصب لم تکن الحاجة إلیه [صفحه ۱۵۰] قائمة فی السابق حیث کان بامکان الوکلاء أو غیرهم الاتصال بالإمام بصورة أو بأخری، وکان الإمام ظاهراً فلا حاجة لوکیل أو نائب خاص ینوب عنه، أما فی عهد الغیبة الصغری فقد اقتضی عدم ظهور الإمام ایجاد هذا المنصب لیکون محوراً لرجوع المؤمنین خاصةً وأنهم کانوا قد اعتادوا فی السابق أن یکون الإمام واحداً فی کل عصر. وکان تعیین الوکیل الخاص أو السفیر من قبل الإمام المهدی(علیه السلام) مباشرة وعادة ما یکون عبر توقیع یصدره ویبلّغه مباشرة کما هو الحال فی الوکیل الأول أو عبر الوکیل السابق فیما بعد. إن الزعماء الشیعة، والأصحاب الأربعة الذین تعاقبوا علی هذا المنصب هم: عثمان بن سعید العمری الذی کان کما عرفنا وکیلاً للإمامین الهادی والعسکری(علیهما السلام)، ثم خلفه إبنه عمرو بن عثمان ثم الحسین بن روح، وخاتمهم کان علی بن محمد السمری ـ رضی الله عنهم أجمعین ـ وکان توجیه الإمام لعمل هؤلاء السفراء مباشراً ومستمراً فی کل ما کانوا ینوبون عنه من مهام الإمامة حتی فیما یرتبط بأجوبتهم علی الأسئلة العقائدیة للمؤمنین التی قد یکون من الممکن أن یجیبوا عنها بما یعرفون، إلاّ أنهم ما کانوا یفعلون شیئاً من ذلک إلاّ بتعلیم مباشر منه(علیه السلام) الأمر الذی یضفی صبغة الحجة الشرعیة علی ما صدر عنهم، وهذا ما تدل علیه عدة روایات منها مثلاً مارواه الشیخ الطوسی فی الغیبة ضمن حدیث طویل بشأن اجابة السفیر الثالث الحسین بن روح علی سؤال عقائدی لأحد المؤمنین بشأن استشهاد الإمام الحسین(علیه السلام)، إذ ینقل عن راوی الحدیث محمد بن ابراهیم الذی کان قد حضر المجلس الذی اجاب فیه الحسین بن روح علی السؤال: قال محمَّد بن ابراهیم ابن اسحاق (رضی الله عنه) فعدت إلی الشیخ أبی القاسم الحسین بن روح (قدس سره) من الغد [صفحه ۱۵۱] وأنا أقول فی نفسی أتراه ذکر لنا یوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأنی فقال: یا محمَّد بن إبراهیم لَئِن أخر من السماء فتخطفنی الطیر أو تهوی بی الریح من مکان سحیق أحب إلیّ من أن أقول فی دین الله برأیی ومن عند نفسی، بل ذلک من الأصل ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه علیه [۲۱۶] . وواضحٌ أن الأوضاع السیاسیة القائمة التی أوجبت غیبة الإمام المهدی (علیه السلام) لم تکن تسمح بأن یکون عمل الوکلاء علنیاً، لذلک کان الشرط الأول فی الوکلاء وخاصة السفراء أن یکونوا علی مرتبة عالیة من الالتزام بالکتمان وعدم الکشف عن مکان بل عن وجود الإمام ولذلک کان اختیار الحسین بن روح مثلاً للسفارة رغم وجود مَن هم أعلم منه وأکثر وجاهة بین الأصحاب [۲۱۷] . لقد قام الإمام(علیه السلام) بتثبیت نظام الوکالة والنیابة الخاصة فی الغیبة الصغری کمقدمة لإرجاع المؤمنین فی عصر الغیبة الکبری الی النائب العام الذی حددت النصوص الشرعیة الصفات العامة له وأمر الإمام بالرجوع إلیه فی عصر الغیبة الکبری ومهّد له فی الغیبة بتعیین أشخاص تتوفر فیهم هذه الصفات لتتعرف الأمة علی مصادیق من له الأهلیة للنیابة العامة عن الإمام وتستعین بها لمعرفة من تتوفر فیه نظائرها فی الغیبة الکبری، وبعبارة أخری کانت تجربة السفراء الأربعة نموذجاً معیّناً من قبل الإمام المعصوم(علیه السلام) یبین للاُمة، شرعیة الرجوع الی نائب الإمام فی غیبته من جهة ومن

جهـة ثانیـة تقدم لها نموذجاً تقوّم به من یدعی النیابة عن الإمام فی الغیبة الکبری اسـتناداً الی الصـفات التی ذکرتها النصوص الشـرعیة کشروط للنیابة عن الإمام. [صفحه ۱۵۲]

حفظ الکیان الایمانی

ولکن مهمـة إثبات وجود الامام(علیه السـلام) والتعریف بوکلائِهِ کانت تؤدی أحیاناً الی تسـرب بعض الأخبار للسـلطة فیتـدخل الإمام لحفظ نظام الوکلاء حتی ینجز دوره المطلوب فی الغیبة الصـغری. فمثلًا یروی ثقة الإسـلام الکلینی فی الکافی عن الحسـین بن الحسن العلوی قـال: «کـان رجـل من نـدماء روز حسـنی وآخر معه فقـال له: هوذا یجبی الاموال وله وکلاء وسـمّوا جمیع الوکلاء فی النواحی وأنهی ذلک إلی عبید الله بن سلیمان الوزیر، فهمَّ الوزیر بالقبض علیهم، فقال السلطان: اُطلبوا أین هذا الرجل؟ فانّ هذا أمر غلیظ، فقال عبید الله ابن سـلیمان: نقبض علی الوکلاء، فقال السـلطان: لا، ولکن دسوا لهم قوماً لا یعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شیئاً قبض علیه قال: فخرج بأن یتقـدم إلی جمیع الوکلاء أن لا یأخـذوا من أحد شـیئاً وان یمتنعوا من ذلک ویتجاهلوا الأمر، فاندس لمحمد بن أحمد رجـل لا ـ یعرفه وخلا ـ به فقـال: معی مـال اُریـد أن اُوصـله، فقال له محمـد: غلطت أنا لا أعرف من هـذا شـیئاً، فلم یزل یتلطفه ومحمد یتجاهـل علیه وبثّوا الجواسـیس وامتنع الوکلاء کلهم لما کان تقـدّم الیهم» [۲۱۸] . یُسـتفاد من الروایات الواردة بشأن سـیرة الإمام(علیه السـلام) فی غیبته الصـغری أن جهوده لـدفع أذی ارهـاب السـلطات العباسـیة لم یقتصـر علی الوکلاء کما رأینا فی الفقرة السابقـة، بل شملت أیضاً حفظ سائر المؤمنین من البطش العباسـی، وهـذه سـنّة ثابتـة فی سـیرةِ آبائِه(علیهم السـلام) جمیعاً، فقـد جـدوا فی رعایة [صفحه ۱۵۳] المؤمنین ودفع الأذی عنهم ما اسـتطاعوا الی ذلک سبیلًا. ومن نماذج رعایته للمؤمنین فی هذا الجانب مارواه الکلینی فی الکافی: عن علیّ بن محمـد قال: «خرج نهی عن زیارة مقابر قریش والحیرة، فلما کان بعـد أشـهر دعا الوزیر الباقطائی فقال له: الق بنی الفرات والبرسیین وقل لهم: لا یزوروا مقابر قریش فقد أمر الخلیفة أن یتفقد کل من زار فیقبض علیه» [۲۱۹] . کما شملت هذه الرعایة قضاء حوائـج المؤمنین الشخصـیة والاجتماعیة والإصـلاح بینهم والدعاء لهم وتزویدهم بالوصایا التربویة والإجابة علی أسـئلتهم الدینیة وتعلیمهم الأدعیة وغیر ذلک مما سجلته المصادر التأریخیة المختصة بهذه الفترة [۲۲۰] . وثمة أهداف أخری سعی الإمام لتحقیقها فی فترة الغیبـة الصـغری مثل کشف التیارات المنحرفة داخل الکیان الشـیعی منها: خط عمه جعفر ومنها تیار الوکلاء المنحرفین. وقد أثبت التأریخ نجاح الإمام (علیه السـلام) فی القضاء علیها إذ انقرض أتباعها سـریعاً قبل انقضاء فترة الغیبة الصغری. وفی الفقرة اللاحقة نلتقی بنموذجین من تحرک الإمام فی هذه الفترة لتحقیق الأهداف المذکورة وهما: إصدار التوقیعات والإلتقاء بالمؤمنین.

اصدار الرسائل التوقیعات

حفلت المصـادر المؤرخـة لسیرة الإمـام المهـدی ـ عجـل الله فرجه ـ بنصوص العدیـد من الرسائـل والبیانـات التی کان یصـدرها(علیه السـلام) فی فترة الغیبـة الصـغری والتی عُرفت بالتوقیعات. وهی تشـکل أحـد الأدلـة الوجدانیـة [صـفحه ۱۵۴] المحسوسـة الدالة علی وجوده وقیامه بمهام الإمامـة فی غیبته [۲۲۱] . وتمثـل التوقیعات إحـدی وسائل اتصال الإمام بالمؤمنین وإیصال توجیهاته إلیهم بحکم أوضاع عصـر الغیبة التی حددت الاتصالات المباشـرة، ومما ساعد علی إتباع هذه الوسـیلة وقوّة تأثیرها فی المؤمنین تمهید آبائه(علیهم السـلام) لذلک باتباع هذا الاسـلوب فی وقت مبکر خاصةً فی عصـر الإمام الکاظم(علیه السلام) الذی قضی شطراً کبیراً من مدة إمامته التی ناهزت خمسـة وثلاثین عاماً فی سـجون العباسـیین أو تحت مراقبتهم الشدیـدة وتعرضـهم للأذی الشدیـد لأصـحابه، فکان یتصـل بالمؤمنین ویجیب علی اسئلتهم الدینیـة ویتوددهم ویوصل إلیهم توجیهاته عبر الرسائل التی لم تنقطع حتی عندما کان فی السـجن عبر وسائل مبتکرة واشخاص فشلت السلطات العباسیة فی التعرف علی ولائهم للإمام الحق(علیه السلام). وقد اشتدّ العمل بهذا الاسلوب فی عهد الامامین الهادی والعسـکری(علیهما السلام)، وذلک بسبب ازدیاد المراقبة التی فرضتها السلطات العباسیة علیهما إذ جعجعت بهما

الى (سرّ من رأى) عاصمة الامبراطورية العباسية يومذاك والتى كانت أشبه ما تكون بالقلعة العسكرية، ولذلك كانت تسمى أيضاً «العسكر»، وجعلتهما أشبه ما يكونان بالسجينين فى هذه القلعة. وإضافة لذلك فإن تأكيدهما على استخدام هذا الاسلوب جاء كتمهيد مباشر لغيبة ولدهما المهدى ـ عجل الله فرجه ـ من خلال تعويد المؤمنين على هذا الاسلوب دفعاً للشبهات وإتماماً للحجة ولكى يتقبلوا العمل بما يرد فى الرسائل بتسليم إيمانى راسخ، خاصةً وأن الإمام (عليه السلام) كان يستخدم الخط نفسه [صفحه ۱۵۵] الذى كان يستخدمه أبوه فى رسائله وذلك تثبيتاً للايمان فى قلوب المؤمنين به؛ وقطعاً للطريق على المستغلين [۲۲۲] . وقد جاء قسم من هذه التوقيعات جواباً على أسئلة من المؤمنين عبر السفراء الأربعة، والقسم الآخر كان بمبادرة من الإمام نفسه فيما يرتبط ببعض القضايا المهمة كحمايته للمؤمنين والوكلاء كما رأينا، أو فيما يرتبط بالكشف عن انحراف بعض الوكلاء أو زيف ادعاء منتحلى الوكالة، أو فيما يرتبط بالنص على تعيين السفراء وغير ذلك. كما اشتملت على ما يحتاجه المؤمنون من معارف الإسلام الحق وأحكامه فى مختلف شؤونهم الحياتية عقائدية وفقهية وتربوية وأخلاقية وأدعية وغير ذلك، وما تحتاجه الأمة فى عصر الغيبة كالإرجاع الى الفقهاء العدول، والتأكيد على استمرار رعايته فى غيبته وتحديد علائم ظهوره وغير ذلك مما سنتعرف على بعض نماذجه فى فصل لاحق. كما أن فى بعضها نماذج تطبيقية لاستنباط الحكم الشرعى من الأحاديث المروية تعويداً للأمة على العمل الإجتهادى فى عصر الغيبة الكبرى [۲۲۳] ، وبعبارة جامعة يمكن القول إن هذه التوقيعات كانت من جهة وسيلة لقيادة المؤمنين وحفظ كيانهم؛ ومن جهة أخرى وسيلة لإكمال ما يحتاجونه فى عصر الغيبة الكبرى من حقائق الإسلام وأحكامه.

لقاء الإمام المهدى بأتباعه المؤمنين

روت المصادر الروائية المعتبرة الكثير من الروايات التى تتحدث عن [صفحه ۱۵۶] التقاء المؤمنين بالإمام المهدى(عليه السلام) فى غيبته الصغرى، فلايكاد يخلو كتاب من الكتب المصنفة فى تواريخ الأئمة أو الإمام المهدى ـ عجل الله فرجه ـ خاصة، من ذكر مجموعة من هذه الروايات. وقد روى الشيخ الصدوق عن محمد بن أبى عبد الله احصائية لعدد لقاءاته من مختلف أرجاء العالم الإسلامى، فذكر ثمانية وستين شخصاً [۲۲۴] وأوصل الميرزا النورى العدد الى (۳۰۴) اشخاص استناداً الى الروايات الواردة فى المصادر المعتبرة [۲۲۵] وفيها المروية بأسانيد صحيحة، ومعظمهم التقوه فى الغيبة الصغرى وبعضهم فى حياة أبيه(عليهما السلام) وهذه الروايات تخص الذين رأوه وعرفوه وليس الذين لم يعرفوه. ويُستفاد من هذه الروايات أنه(عليه السلام) كان يبادر الى الالتقاء بالمؤمنين فى الكثير من الحالات ويظهر على يديه المعجزات والدلائل بحيث يجعلهم يؤمنون بأنه هو الإمام ويثبت لهم وجوده(عليه السلام) وإمامته، وهذا ما يصرح به لعيسى الجوهرى الذى التقاه فى سنة (۲۶۸ هـ) فى صابر قرب المدينة المنورة حيث قال له فى نهاية اللقاء وبعد ما أراه من الدلائل ما جعله على يقين من هويته(عليه السلام): «يا عيسى ما كان لك أن ترانى لولا المكذِّبون القائلون بأين هو؟ ومتى كان؟ وأين ولد؟ ومن رآه؟ وما الذى خرج إليكم منه؟ وبأىِّ شىء نبّأكم؟ وأىَّ معجز أتاكم؟ أما والله لقد دفعوا أمير المؤمنين مع مارووه وقدَّموا عليه، وكادوه وقتلوه، وكذلك آبائى عليهم السَّلام ولم يصدِّقوهم ونسبوهم إلى السحر وخدمة الجنِّ إلى ما تبيّن. ياعيسى فخبّر أولياءنا ما رأيت، وإيّاك أن تخبر عدوَّنا فتسلبه. فقلت: يا مولاى ادع لى بالثبات فقال: لو لم يثبّتك الله ما رأيتنى، وامض بنجحك راشداً. فخرجت أكثر [صفحه ۱۵۷] حمداً لله وشكراً» [۲۲۶] . ويتضح من روايات التشرف بلقياه فى الغيبة الصغرى أنه كان يقوم خلالها أيضاً بقضاء حوائج المؤمنين إقتفاءً لسنّة آبائِهِ الطاهرين(عليهم السلام)، كما كان يقوم خلالها بتوضيح بعض القضايا العقائدية المرتبطة بغيبته الكبرى(عليه السلام) ويقدم لهم الإرشادات التربوية والأدعية المسنونة المرتبطة بغيبته وتوثيق الارتباط به(عليه السلام) فيها والتى تشتمل أيضاً على توضيح ما سيحققه الله على يديه عند ظهوره. كما يُستفاد منها أن الكثير من المؤمنين كان يجتهدون فى طلب لقياه ويسعون إليه خاصة فى موسم الحج لما روى أنه يحضره كل سنة [۲۲۷] وقد دلت بعض الروايات على وقوع الالتقاء به بالفعل فى الموسم. كما كان البعض يلجأون الى السفراء الأربعة للفوز بذلك، فكان يسمح للمخلصين

منهم بـذلک. فمثلًا روی الشیخ الطوسـی فی کتاب الغیبـة فقال: روی محمد بن یعقوب ـ رفعه عن الزُّهریّ ـ قال: طلبت هذا الأمر طلباً شاقاً حتی ذهب لی فیه مال صالـح فوقعت إلی العمریّ وخـدمته ولزمته وسألته بعـد ذلک عن صاحب الزمان فقال لی: لیس إلی ذلک وصول فخضـعت فقال لی: بکر بالغـداة، فوافیت واسـتقبلنی ومعه شابّ من أحسن الناس وجهاً، وأطیبهم رائحـة بهیئة التجّار، وفی کمّه شیء کهیئـة التجّ ار. فلمّ ا نظرت إلیه دنوت من العمریّ فأومـأ إلیّ فعـدلت إلیه وسـألته فأجابنی عن کل ما أردت ثم مرَّ لیـدخل الـدار وکـانت من الـدُّور التی لا ـ نکترث لهـا فقـال العمریُّ: إذ أردت أن تسأل سل فإنّک لا تراه بعـد ذا، فـذهبت لأسأل فلم [صـفحه ۱۵۸] یسمع ودخـل الـدّار، وما کلّمنی بأکثر من أن قال: ملعون ملعون من أخّر العشاء الی أن تشـتبک النجوم، ملعون ملعون من أخّر الغـداة إلی أن تنقضی النجوم ودخل الدار» [۲۲۸] .

اعلان انتهاء الغیبة الصغری

قبـل سـتة أیام من وفاة السـفیر الرابع أخرج للمؤمنین توقیعاً من الإمام المهـدی ـ عجل الله فرجه ـ یعلن فیه انتهاء الغیبـة الصـغری وعهد السـفراء المعینین من قبل الإمام مباشـرة إیذاناً ببدء الغیبة الکبری ونص التوقیع هو: «بسم الله الرحمن الرحیم، یاعلی بن محمد السمری، أعظم الله أجر إخوانـک فیک فإنک میت ما بینک وبین سـتة أیام، فأجمع أمرک ولا توص الی أحـد فیقوم مقامک بعـد وفاتک. فقد وقعت الغیبـة التامة. فلا ظهور إلّا بإذن الله تعالی ذکره وذلک بعد طول الأمد وقسوة القلب وإمتلاء الارض جوراً. وسـیأتی لشـیعتی من یدّعی المشاهدة ألا فمَن ادعی المشاهدة قبل خروج السـفیانی والصیحة فهو کذّاب مفتر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلی العظیم» [۲۲۹] . وکان هـذا آخر توقیع صـدر عن الإمام فی الغیبـة الصـغری وهو بمثابة إعلان عن تحقیق تحرکه فیها للأهداف المرجوة منها کمرحلة تمهیدیة للغیبة الکبری، فقد ظهر للناس خلالها منه (علیه السلام) مباشرة أو عبر سفرائه من البینات ما یثبت وجوده وإمامته وصحة غیبته الکبری. وقـد تم تـدوینها فی هـذه الفترة من قبل عدد من وجوه العلماء [۲۳۰] ، واتضـح للاُمة انتفاع الناس من وجوده [صـفحه ۱۵۹] خلالها ورعایته لمسیـرتهم من خلف أستارها، وأمر فیه بالرجوع الی الفقهاء فی الحوادث الواقعة وصرح بأن وجوده أمان لأهل الأرض [۲۳۱] ، کما أن الجیل الذی کان قد عاصـر زمان الأئمة کان قد انتهی وظهرت أجیال اعتادت عصر الغیبة وفکرة القیادة النائبة، لذلک فقد تأهلت الأمة للدخول فی عصر الغیبة الکبری [۲۳۲] . [صفحه ۱۶۳]

الغیبة الکبری للإمام المهدی و أسبابها

الاطار العام لتحرک الامام

إنّ الهـدف العام لتحرک الإمام المهدی(علیه السـلام) فی فترة الغیبة الکبری، هو رعایة مسیـرة الأمة الإسـلامیة وتأهیلها لظهوره والقیام بالمهمـة الکبری المتمثلة بإنهاء الظلم والجور وإقامة الدولة الإلهیة العادلة فی کل أرجاء الأرض وتأسـیس المجتمع التوحیدی الخالص کما سـنفصل الحدیث عن ذلک فی الفصل الخاص بسیرته بعد ظهوره(علیه السلام). وبعبارة أخری فإن الإطار العام لسیرته ـ عجل الله فرجه ـ فی هـذه الفترة هو التمهیـد لظهوره بمـا یشـتمل علیه ذلـک من رعایـة الوجود الإیمـانی وحفظه وتسدیـد نشاطاته وتطویره عبر الأجیـال المتعاقبـة التی یعاصـرها، وحفظ الرسالـة الخاتمـة من التحریف إضافـة الی القیام بالمیسور من مهام الإمامـة الأخری وإن کان ذلک بأسالیب أکثر خفاءً مما کان علیه الحال فی الغیبة الصـغری، وبذلک یتحقق الانتفاع من وجوده(علیه السلام) کما ینتفع بالشمس إذا غیّبها السـحاب. وهـذا الهـدف العام لسیرته فی هـذه الغیبة الکبری نلاحظه بوضوح فیما ورد بشأن تحرکه فی هذه الغیبة. [صـفحه ۱۶۴] وقبل التطرق لنماذج من هـذا التحرک، نلقی نظرة عامة علی بعض ما أشارت إلیه الأحادیث الشـریفة بشأن علة الغیبة وأسـرارها، إذ إن من الواضـح أن التمهیـد للظهور یکون بإزالـة الأسـباب التی أدت للغیبـة، لـذا فإن التعرف علی أسباب الغیبة یلقی الأضواء علی

طبیعة تحرک الإمام المهدی (علیه السلام) خلالها.

علل الغیبة فی الأحادیث الشریفة

اشاره

لقـد تناولت مجموعـة من الأحادیث الشـریفة علل وقوع الغیبـة. نذکر أولاً نماذج منها استناداً الی العلل التی تذکرها: مشیرین الی أن لکل نموذج نظائر عدیدة رواها المحدثون بأسانید متعددة: ۱ ـ روی سدیر عن أبیه عن الإمام الصادق(علیه السـلام) قال: «ان للقائم منّا غیبـة یطول أمـدها فقلت له: یـابن رسول الله ولم ذاک قال: لأن الله عز وجل أبی إلّا أن یجعل فیه سـنن الأنبیاء(علیهم السـلام) فی غیبا تهم، وانه لابدّ له یا سدیر من استیفاء مدة غیباتهم، قال الله تعالی: (لترکبنّ طبقاً عن طبق)، أی سـنن مَن کان قبلکم [۲۳۳] . وروی عبد الله بن الفضل الهاشمی قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد (علیه السلام)یقول: «إن لصاحب هذا الأمر غیبة لابدّ منها، یرتاب فیها کل مبطل، فقلت له: ولم جُعلت فداک؟ قال: لأمر لم یؤذن لنا فی کشفه لکم قلت: فما وجه الحکمة فی غیبته؟ قال: وجه الحکمة فی غیبته وجه الحکمـة فی غیبات من تقـدم من حجـج الله تعالی ذکره، إنّ وجه الحکمـة فی ذلک لا ینکشف إلّا بعد ظهوره کما لم ینکشـف وجه الحکمة فیما أتاه الخضر (علیه السلام) إلّا بعد افتراقهما، یابن الفضل ان هذا الأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله، وغیب من غیب الله، ومتی علمنـا ان الله عز وجـل حکیم صـدقنا بأن أفعاله کلها [صـفحه ۱۶۵] حکمـة، وان کـان وجهها غیر منکشف» [۲۳۴] . ۲ ـ ومنها مارواه زرارة عن الإمام الباقر(علیه السـلام) قال: «إن للقائم غیبـة قبل ظهوره، قلت: ولِمَ؟ قال: یخاف ـ وأومی بیـده الی بطنه، قال زرارة یعنی: القتل» [۲۳۵] . ومنها ماروی عن عبد الله بن عطا، عن أبی جعفر(علیه السـلام) قال: «قلت له إن شـیعتک بالعراق کثیرة والله مافی أهل بیتک مثلک؛ فکیف لا تخرج؟ قال: فقال: یا عبـد الله بن عطاء! قـد اخـذت تفرش اذنیک للنوکی، إی والله ما أنا بصاحبکم، قال: قلت له: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من عمی علی الناس ولادته؛ فـذاک صاحبکم؛ إنّه لیس منا احد یشار إلیه بالاصبع ویمضغ بالالسـن إلاّـ مـات غیظاً أو رغم أنفه» [۲۳۶] . ۳ـ ومنهـا مـا روی عـن الحسن بن محبـوب بن ابراهیم الکرخی قـال: «قلت لأـبی عبـد الله (علیه السـلام) أو قال له رجل: أصـلحک الله ألم یکن علی قویاً فی دین الله؟ قال: بلی قال: فکیف ظهر علیه القوم وکیف لم یمنعهم ومامنعه من ذلک؟ قال: آیـة فی کتاب الله عز وجل منعته، قال: قلت؟ وأیّ آیة هی؟ قال: قول الله عز وجل: (لو تزیلوا لعذبنا الذین کفروا منهم عـذاباً الیمـاً). انه کان لله عز وجل ودائع مؤمنون فی اصـلاب قوم کافرین ومنافقین، فلم یکن علیّ لیقتل الآباء حتی تخرج الودائع، فلما خرجت الودائع ظهر علی مَن ظهر فقاتله، وکـذلک قائمنا أهل البیت لن یظهر أبـداً حتی تظهر ودائع الله عز وجل فاذا ظهرت ظهر علی مَن ظهر فقاتله» [۲۳۷] . ۴ ـ ومنها ماروی عن الإمام الصادق(علیه السلام) قال: «والله لا یکون الذی تمدون [صفحه ۱۶۶] إلیه أعناقکم حتی تمیّزوا وتمحّصوا، ثم یـذهب من کل عشـرة شـیء ولا یبقی منکم إلّا الأنـدر، ثم تلا هـذه الآیة: أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا یعلم الله الذین جاهدوا منکم ویعلم الصابرین» [۲۳۸] . ۵ ـ ومنها ماروی عن الإمام الباقر(علیه السلام) أنّه قال: «دولتنا آخر الدول، ولم یبق أهـل بیت لهم دولـة إلاّـ ملکوا قبلنـا، لئلا یقولوا إذا رأوا سیرتنا، إذا ملکنا سـرنا مثل سیرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل: (والعاقبة للمتقین)» [۲۳۹] . ۶ ـ ومنها ما روی عن الإمام الرضا(علیه السـلام) أنّه قال ـ فی جواب من سأله عن علـة الغیبـة ـ: «لئلا یکون فی عنقه بیعة اذا قام بالسیف» [۲۴۰] . وهـذا المعنی مروی عن کثیر من الأئمـة بألفاظ متقاربة، منها ما روی عن المهدی(علیه السـلام) نفسه أنه قال فی توقیعه الی اسحق بن یعقوب فی جواب أسـئلته: «... وأما علـة ما وقع من الغیبـة، فإن الله عز وجل یقول: (یا أیها الـذین آمنوا لا تسألوا عن أشـیاء إن تُبـدَ لکم تسؤکم). إنه لم یکن أحـد من آبائی(علیهم السـلام) إلّا وقـد وقعت فی عنقه بیعة لطاغیـة زمانه، وإنی أخرج حین أخرج ولا بیعة لأحد من الطواغیت فی عنقی» [۲۴۱] . ۷ ـ ویقول ـ عجل الله فرجه ـ فی رسالته الأولی للشیخ المفید: «نحن، وإن کنـا ثـاوین بمکاننـا النائی عن مساکن الظالمین حسب الـذی أرانا الله تعالی لنا من الصـلاح ولشـیعتنا المؤمنین فی ذلک، مادامت

دولة الدنیا للفاسقین» [۲۴۲] . ۸ ـ ویقول(علیه السلام) فی رسالته الثانیة للشیخ المفید: «ولو أن أشیاعنا ـ وفقهم الله لطاعته ـ علی اجتماع من القلوب فی الوفاء بالحمد علیهم، لما تأخر عنهم الیمن بلقائنا، [صفحه ۱۶۷] ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا علی حق المعرفة وصدقها منهم بنا فما یحبسنا عنهم إلّا ما یتصل بنا مما نکرهه ولا نؤثره منهم...» [۲۴۳] . هذه نماذج لابرز الأحادیث الشریفة المرویة بشأن علل الغیبة، والأسباب التی تذکرها فیها بعض التداخل، نشیر إلیها ضمن النقاط الثمانیة التالیة:

استجماع تجارب الأمم السابقة

إن الحکمة الإلهیة فی تدبیر شؤون خلقه تبارک وتعالی اقتضت غیبة الإمام المهدی ـ عجل الله فرجه ـ للحکمةِ نفسها التی اقتضت غیبات الأنبیاء فی الاُمم السابقة، لأن ما جری فی هذه الاُمم مجتمعة یجری علی الاُمة الاسلامیة صاحبة الشریعة الخاتمة. فمثلما اقتضی تحقیق أهداف الرسالات السماویة غیبة بعض أنبیائها بدلیل عدم استعداد الاُمم السابقة لتحقق هذه الأهداف، کذلک الحال مع الأمة الإسلامیة فإن تحقق أهداف شریعتها الخاتمة اقتضی غیبة خاتم أوصیائها الإمام المهدی(علیه السلام) حتی تتأهل بشکل کامل لتحقق هذه الأهداف، وواضح أن هذا السبب مجمل بل إنه یشکل الإطار العام لعلل الغیبة التی تذکرها الطوائف الأخری من الأحادیث الشریفة. والملاحظ فی هذه الطائفة من الأحادیث أنّها تعتبر أمر الغیبة من الأسرار الإلهیة التی لا تتضح إلّا بعد انتهاء الغیبة وظهور الإمام والتی لم یُؤذن بکشفها قبل ذلک، الأمر الذی یشیر الی أن ما تذکره الأحادیث الشریفة لا یمثل کل العلل الموجبة للغیبة بل بعضها وثمة علل أخری لیس من الصالح کشفها قبل الظهور ـ للجمیع علی الأقل ـ ولکن الإیمان بها فرع الإیمان بحکمة الله تبارک وتعالی وأنه الحکیم الذی لا یفعل إلّا ما فیه صلاح عباده. [صفحه ۱۶۸]

العامل الأمنی

مخافة القتل کما جری مع غیبات أنبیاء الله موسی وعیسی وغیرهم(علیهم السلام)، والأمر فی غایة الوضوح مع الإمام المهدی(علیه السلام) الذی کانت السلطات العباسیة تسعی سعیاً حثیثاً لقتله کما رأینا سابقاً. وهذا السبب یصدق بشکل کامل علی أصل وقوع الغیبة وفی الغیبة الصغری علی الأقل. ومعلوم أن المقصود هو حفظ وجود الإمام لکونه حجة الله علی خلقه ولکی لا تخلو الأرض من قائم لله بحجته وهاد بأمره إلیه تبارک وتعالی. أما ما هو سبب اختصاص الغیبة بالإمام الثانی عشر لحفظ وجوده مع أن أباءه الطاهرین(علیهم السلام) کانوا أیضاً حجج الله علی خلقه وقد تعرّضوا أیضاً للمطاردة والاغتیال فلم یمت أی منهم إلاّ ـ بالسیف أو السم [۲۴۴] ؟ فالجواب واضح، فهو ـ عجل الله فرجه ـ آخر الأئمة المعصومین(علیهم السلام) وهو المکلف بإقامة الدولة الإسلامیة العالمیة وعلی یدیه یحقق الله عز وجل وعده بإظهار الإسلام علی الدین کله وتوریث الأرض للصالحین، فلابد من حفظ وجوده حتی ینجز هذه المهمة. یُضاف الی ذلک أن السلطات العباسیة کانت عازمة علی قتله وهو فی المهد لعلمها بطبیعة مهمته الإصلاحیة العامة. أما فی الغیبة الکبری فهذه العلة تبقی مؤثرة مالم تتوفر جمیع العوامل اللازمة لإنجاز مهمته مثل توفر الأنصار وغیر ذلک، لأنه سیبقی غرضاً لسهام مساعی حکام الجور لإبادته قبل أن ینجز هذه المهمة الإصلاحیة الکبری کما جری علی آبائِهِ(علیهم السلام). وهذا الأمر واضح للغایة ویفهم من توضیحات الإمام الباقر (علیه السلام) لعبد الله بن عطاء فی الحدیث الثانی من هذه الطائفة. [صفحه ۱۶۹]

السماح بوصول الحق للجمیع لخروج ودائع الله

إنّ إخراج ودائع الله، المؤمنین من أصلاب قوم کافرین یشکّل عاملاً ـ آخر، ولعل المقصود منه إعطاء الفرصة لوصول الدین الحق للجمیع کی تتضح لهم أحقیة الرسالة الإسلامیة التی یحملها الإمام المهدی ـ عجل الله فرجه ـ وبالتالی تبنی أشخاص ینتمون الی المدارس الضالة والأخلاف المنحرفین، للأهداف المهدویة والانتقال بهم الی صفوف أنصار المهدی المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ

وواضح أن هذه العلة تفسر تأخير ظهوره (عليه السلام)، بصورة واضحة، مباشرة، وبالتالى تفسّر بصورة غير مباشرة ـ غيبته الى حين توفر هـذا العامل من العوامل اللازمة لظهوره ـ عجل الله فرجه ـ باعتبار أنّ ظهوره مقترن بالبدء الفورى فى تنفيذ مهمته الإصـلاحية الكبرى، التى تتضمن نزول العذاب الأليم على المنحرفين.

التمحيص الاعدادى لجيل الظهور

إنّ التمييز والتمحيص الإعـدادى للمؤمنين به(عليه السـلام) يتحقّق من خلال الأوضاع الصـعبة الملازمة لغيبته(عليه السـلام)، ومعلوم أن الإيمان به وبغيبته هو بحـدِّ ذاته عامل مهمّ فى تمحيص الإيمان وتقويـة الثابتين عليه لأنه يمثل مرتبـة ساميـة من مراتب التحرر من أسـر التصديق بالمحسوسات المادية فقط. ولذلك كان الإيمان بالغيب أُولى صفات المتقين كما تذكره الآيات الأولى من سورة البقرة، وقد طبقت الأحاديث الشـريفة هذه الصفة على الإيمان بالإمام المهدى ـ عجل الله فرجه ـ فى غيبته باعتباره من أوضح مصاديقها لا سيما إذا [صفحه ۱۷۰] لاحظنا طول أمدها [۲۴۵] . ولذلك نلاحظ فى الأحاديث الشـريفة مدحاً بالغاً لمؤمنى عصـر الغيبة الثابتين على الالتزام بالشـريعة السـمحاء والنهج المهدوى رغم التشكيكات العقائدية الناتجة عن عدم ظهوره المشهود [۲۴۶] . واسـتناداً الى هذه العلة نفهم أن الغيبة عامل إعداد لأنصار المهدى ـ عجل الله فرجه ـ من خلال ترسيـخ هذا الإيمان بالغيب الذى يتضـمن التحرر من أسـر الماديات والذى يؤهلهم لنصرة المهدى فى إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى.

اتضاح عجز المدارس الاخرى

إنّ إثبـات عجز المـدارس الأـخرى عن تحقيق السـعادة والكمال المنشود للمجتمع البشـرى، فيه تأهيل واضـح للمجتمع البشـرى عموماً للتفاعل الإيجابى مع المهمة الإصـلاحية الكبرى للإمام المهدى ـ عجل الله فرجه ـ فهو يزيل العقبات الصادّة عن هذا التفاعل المطلوب لتحقق الأهـداف الإلهيـة خاصـة فيما يرتبط بالانخـداع بشـعارات المـدارس الأخرى المادية أو ذات الأصول السـماوية والمنحرفة عنها بمرور الزمن. [صفحه ۱۷۱]

حفظ روح الرفض للظلم

إنّ الامام المهـدى ـ عجل الله فرجه ـ هو الـذى يملأ الأرض قسـطاً وعـدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فيزيل حكام الجور وحاكمية الفساد بالسـيف بعـد إتمام الحجـة كاملـة على المنحرفين خلال الغيبـة الكبرى وما قبلها كما أشـرنا الى ذلك فى النقطة السابقة. فظهوره(عليه السـلام) مقترن بـالتحرك الجهـادى الحـاسم، فلاـ هدنـة مع المنحرفين، ومن هنا يلزم توفر هـذه الصـفة فى أتباعه أيضاً، ولعل هـذا هو المقصود من تعبير الأحاديث الشـريفة «لئلا يكون فى عنقه بيعـة لطاغيـة». وواضـح أن هـذا الـدور الحاسم يجعل تكالب الظالمين عليه أشد إذا كان وجوده ظاهراً قبل تحركه الإصلاحى الشامل وقبل توفر الظروف المناسبة لتحركه والعدد اللازم من الأنصار، فهو فى هذه الحالـة إما أن يهادن الظلمة ويجمّد أى نشاط له ولو كان غير حاسم كما كان حال آبائه(عليهم السـلام)، وفى ذلك أخطار كثيرة مثل إضـعاف روح الرفض للظلم لـدى المؤمنين وهم يرون أن إمامهم المكلف بإزالة الظلم بصورة كاملة صامت تجاهه، فضـلًا عن أن هذا الموقف السلبى لن يوقف كيـد الظـالمين ومساعيهم المسـتمرة لقتله تخلصاً من هاجس دوره المرتقب؛ وإما أن يتحرك لإنجاز مهمته قبل توفر العوامل اللازمة لنجاحها وهذا الأمر يعنى مقتله قبل أن يحقق شـيئاً من مهمته الكبرى. لذا فلابد من تجنب الظهور قبل اكتمال الأوضاع اللازمـة لتحركه الإصـلاحى الأكبر والاسـتتار فى اسلوب الغيبة بما يمكنه من الاسـتمرار فى نشاطه على صـعيد توفير العوامل اللازمة لنجاح مهمته الكبرى عند الظهور. [صفحه ۱۷۲]

صلاح أمره و أمر المؤمنین به

إن فی الغیبة صلاح أمره(علیه السلام) وأمر المؤمنین به، وهذه علة مجملة تحدد أحد أوجه الحکمة الإلهیة فی الأمر بالغیبة بأن فی ذلک صلاح أمر الإمامة؛ ولعله بمعنی أن الغیبة هی أفضل اسلوب ممکن لقیام المهدی ـ عجل الله فرجه ـ بمهام الإمامة فی ظل الأوضاع المضادة لأهداف الثورة المهدویة کما تقدم فی الفقرة السادسة، وبأن فیها صلاح شیعته والمؤمنین به؛ ولعله بمعنی فتح آفاق التکامل والتمحیص فی صفوفهم وأجیالهم المتلاحقة کما تقدم فی الفقرة الرابعة حتی یُعد الجیل القادر ـ کماً وکیفاً ـ علی الاستجابة لمقتضیات الثورة المهدویة الکبری، أو أن یکون المقصود صلاحهم فی حفظ وجودهم من الإبادة قبل تحقق المهمة الإصلاحیة المطلوبة أو عجزهم عن نصرة الإمام بالصورة المطلوبة عند قیامه ـ دونما غیبة ـ کما جری فی موقف المسلمین من ثورة الإمام الحسین (علیه السلام) وقبله من خلافة أخیه الإمام الحسن وأبیه أمیر المؤمنین ـ سلام الله علیهم ـ

عدم توفر العدد المطلوب من الأنصار

والعامل الأخیر هو عدم توفر العدد اللازم کماً والمناسب کیفاً من الأنصار له(علیه السلام) فی مهمته الإصلاحیة الکبری التی تحتاج الی عدد کاف من الأنصار وعلی مستویات عالیة من الإخلاص للشریعة المحمدیة وأهدافها والعلم بها وبمکائد أعدائها بحیث یمتلکون التجربة الجهادیة اللازمة لخوض حرکة الصراع الحاسمة مع الکفر والشرک والفسق والنفاق. وهذه العلة مکملة للعلة المذکورة فی الفقرة الرابعة. [صفحه ۱۷۳]

انجازات الإمام المهدی فی غیبته الکبری

اشاره

کما أشرنا فی مقدمة الحدیث فإن سیرة الإمام المهدی ـ عجل الله فرجه ـ وتحرکاته فی غیبته الکبری تتمحور حول هدف التمهید لظهوره والمساهمة فی ازالة العلل الموجبة لغیبته، وعلیه یمکننا القول بأنّه یعمل فی سبیل ترشید الأمة واستجماعها لخبرات أجیالها المتعاقبة؛ وفی سبیل إیصال الحق الی الجمیع ودعم وتأیید العاملین من أجل نشر الإسلام النقی وحفظه، وهو یرعی عملیة التمییز والتمحیص الإعدادی لجیل الظهور، ویکشف فشل المدارس الأخری وعجزها عن تحقیق السعادة المنشودة للبشریة، ویساهم فی حفظ روح الرفض للظلم ویحبط المساعی لقتلها. إنه (علیه السلام) یقوم بکل ذلک ولکن بأسالیب خفیة غیر ظاهرة قد یتضح الکثیر منها عند ظهوره کما یتضح دوره(علیه السلام) فی الکثیر من الحوادث الواقعة التی تصب فی صالح تحقق الأهداف المتقدمة والتی لم تُعرف أسباب وقوعها أو أنّ ما عُرض من الأسباب لم یکن کافیاً فی تفسیرها.

رعایته للکیان الإسلامی

یقول الإمام المهدی(علیه السلام) فی رسالته الاُولی للشیخ المفید: «... فإنّا نحیط [صفحه ۱۷۴] علماً بأنبائکم ولا یعزب عنّا شیء من أخبارکم، ومعرفتنا بالذل الذی أصابکم مُذ جنح کثیر منکم الی ما کان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم کأنهم لا یعلمون.إنّا غیر مهملین لمراعاتکم، ولا ناسین لذکرکم ولولا ذلک لنزل بکم اللأواء وأصطلمکم الأعداء» [۲۴۷] . إن الإمام یتابع أوضاع المؤمنین ویحیط علماً بالتطورات التی تحصل لهم ومحاولات الاستئصال والإبادة التی یتعرّضون لها ویتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشکالها، وهذه الرعایة هی أحد العوامل الأساسیة التی تفسر حفظ أتباع مذهب أهل البیت(علیهم السلام) واستمرار وجودهم وتنامیه علی مدی الأجیال علی الرغم من شدة الحملات التصفویة التی عرضوا لها والإرهاب الفکری الحاد

الذى مورس ضدهم لقرون طويلة. فهذه التصفيات الجسدية والمحاربة الفكرية الواسعة التى شهدها التأريخ الإسلامى كانت قادرة ولا شك على إنهاء وجودهم جسدياً وفكرياً لولا الرعاية المهدوية.

حفظ الاسلام الصحيح و تسديد العمل الاجتهادى

إنّ الإمام المهدى (عليه السلام) يقوم أيضاً فى غيبته الكبرى بحفظ الإسلام النقى الذى يحمله مذهب أهل البيت(عليهم السلام). وهذه المهمة من المهام الرئيسة للإمامة، ومن مظاهر قيامه(عليه السلام) بها فى غيبته تسديد العمل الاجتهادى للعلماء والفقهاء ومنع إجماعهم على باطل بطريقة أو بأُخرى: «لأن هذه الآثار والنصوص فى الأحكام موجودة مع مَن لا يستحيل منه الغلط والنسيان، [صفحه ۱۷۵] ومسموعة بنقل من يجوز عليه الترك والكتمان. وإذا جاز ذلك عليهم لم يؤمن وقوعه منهم إلاّ ـ بوجود معصوم يكون من ورائهم، شاهد لأحوالهم، عالم بأخبارهم، إن غلطوا هداهم، أو نسوا ذكّرهم أو كتموا، علم الحق من دونهم. وإمام الزمان(عليه السلام) وإن كان مستتراً عنهم بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم، يشاهد أحوالهم ويعلم أخبارهم، فلو انصرفوا عن النقل، أو ضلّوا عن الحق لما وسعته التقية ولأظهره الله سبحانه ومنع منه الى أن يبين الحق وتثبت الحجة على الخلق» [۲۴۸] . والمقصود من الظهور هنا ليس الظهور العام بل المحدود لبعض العلماء وبالمقدار اللازم لتبيان الحق، وهذه من القضايا التى بحثها العلماء فى باب الإجماع، فمثلاً ـ يقول العلاّمة السيد محمد المجاهد فى كتابه مفاتيح الأصول: «... البناء على قاعدة اللطف التى لأجلها وجب على الله نصب الإمام فإنها تقضى ردهم لو اتفقوا على الباطل فإنه من أعظم الألطاف، فإن امتنع حصوله بالطرق الظاهرة فبالأسباب]الخفية[... إن وجود الإمام(عليه السلام) فى زمن الغيبة لطف قطعاً؛ فيثبت فيه كل ما أمكن؛ لوجود المقتضى وانتفاء المانع. وإن هذا اللطف قد ثبت وجوبه قبل الغيبة فيبقى بعده بمقتضى الأصل]إضافة الى[أن النقل المتواتر قد دل على بقائه. وقد ورد ذلك عن النبى(صلى الله عليه وآله) والأئمة(عليهم السلام) بألفاظ ومعان متقاربة، فعن النبى(صلى الله عليه وآله): «إنّ لكل بدعة يُكاذب بها الإيمان ولياً من أهل بيتى موكلاً ـ يذب عنه ويعلن الحق ويرد كيد الكائدين»، وعنه(صلى الله عليه وآله) وعن أهل البيت «أن فيهم فى كل خلف عدولاً ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». [صفحه ۱۷۶] وفى المستفيض عنهم(عليهم السلام) «إن الارض لا ـ تخلو إلاّ وفيها عالم اذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم الى الحق وإن نقصوا شيئاً تمم ذلك ولولا ذلك لالتبس عليهم أمرهم ولم يفرقوا بين الحق والباطل». وعن أمير المؤمنين(عليه السلام) فى عدة طرق: «اللَّهُمَّ إنك لا تخلى الارض من قائم بحجة إما ظاهر مشهور أو خائف مغمور لئلا تبطل حججك وبيناتك..»، وفى بعضها: «لابد لأرضك من حجة لك على خلقك يهديهم الى دينك ويعلمهم علمك لئلا تبطل حجتك ولئلا يضل تُبع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إما ظاهر ليس بالمطاع أو مكتتم أو مترقب إن غاب عن الناس شخصه فى حال هدايتهم فإنّ علمه وآدابه فى قلوب المؤمنين مثبتة فيهم، بها عاملون». وفى تفسير قوله تعالى: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) [ورد] فى عدّة روايات: «أن المنذر رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وفى كل زمان إمام منا يهديهم الى ماجاء به النبى(صلى الله عليه وآله)»، وفى بعضها [عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) فى الآية]: «والله ماذهبت منا ومازالت فينا الى الساعة». وعن أبى عبد الله [الامام الصادق(عليه السلام)] قال: «ولم تخل الارض مُنذ خلقها الله تعالى من حجة له فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولن تخلو الى أن تقوم الساعة ولولا ذلك لم يعبد الله، قيل: كيف ينتفع الناس بالغائب المستور؟! قال(عليه السلام): كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب». وعن الحجة القائم(عليه السلام) قال: «وأما وجه الانتفاع بى فى غيبتى فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأنظار السحاب، وإنى لأمان أهل الارض كما أن النجوم أمان أهل السماء». والاخبار فى هذا المعنى أكثر من أن تُحصى، ومقتضاها تحقق الرد عن الباطل والهداية الى الحق؛ من الإمام فى زمن الغيبة والمراد حصولها بالاسباب [صفحه ۱۷۷] الخفية كما يشعر به حديث السحاب]الانتفاع بالإمام كالانتفاع بالشمس إذا غيبها السحاب[دون الظاهرة فانها منتفية بالضرورة، ولا ينافى ذلك تضمن بعضها الاعلان بالحق فانه من باب الاسناد الى السبب...» [۲۴۹] .

تسديد الفقهاء فى عصر الغيبة

وكما أشرنا عند الحديث عن نظام «السفارة والنيابة الخاصة» فى الغيبة الصغرى، فإن هذا النظام كان تمهيداً لإرجاع الأمة فى الغيبة الكبرى الى الفقهاء العدول كممثلين له(عليه السلام) ينوبون عنهم كقيادة ظاهرة أمر بالرجوع إليها فى توقيعه الصادر الى إسحاق بن يعقوب: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فإنهم حجتى عليكم وأنا حجة الله عليهم». وقد أشار الأئمة(عليهم السلام) من قبل الى هذا الدور المهم للعلماء فى عصر الغيبة الكبرى، فمثلاً روى عن الامام على الهادى(عليه السلام) أنه قال: «لولا مَن يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومَردته، ومِن فخاخ النواصب؛ لما بقى أحد إلّا ارتدّ عن دينه. ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله» [۲۵۰] . والمستفاد من قوله(عليه السلام) «فإنهم حجتى عليكم وأنا حجة الله عليهم» أن الفقهاء العدول يمثلون فى الواقع واسطة بين الاُمة و [صفحه ۱۷۸] الإمام ـ عجل الله فرجه ـ الأمر الذى يعنى أن يحظى بعضهم ـ وخاصةً الذين يحظون بمكانة خاصة فى توجيه الاُمة ودور خاص فكرى أو سياسى فى قيادتها ـ بتسديد من قبل الإمام ـ عجل الله فرجه ـ بصورة مباشرة أو غير مباشرة وبالخصوص فى التحركات ذات التأثير على مسيرة الأمة وحركة الإسلام، فهو يتدخل بما يجعل هذه التحركات فى صالح الأمة أو بما يدفع عنها الاخطار الشديدة الماحقة، وقد نقلت الكثير من الروايات الكاشفة عن بعض هذه التدخلات والتى لم تنقل أو لم تدون أكثر بكثير. وقسم منها يكون التدخل من قبل الإمام بصورة مباشرة وقسم آخر يكون بصورة غير مباشرة عبر أحد أوليائه [۲۵۱] .

اصحاب الإمام فى غيبته الكبرى

يُستفاد من عدد من الأحاديث الشريفة أن للامام المهدى ـ عجل الله فرجه ـ جماعة من الأولياء المخلصين يلتقون به باستمرار فى غيبته الكبرى ومن أهل كل عصر، وتصرح بعض الأحاديث الشريفة بأن عددهم ثلاثين شخصاً، فقد روى الشيخ الكلينى فى الكافى والشيخ الطوسى فى الغيبة بأسانيدهما عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة ولابد له فى غيبته من عزلة ونعم المنزل طيبة وما بثلاثين من وحشة» [۲۵۲] ، وروى الكلينى بسنده عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «للقائم غيبتان إحداهما قصيرة والاُخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه إلّا خاصة شيعته والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة مواليه» [۲۵۳] ، وتصرح بعض الأحاديث الشريفة بأن الخضر(عليه السلام) من مرافقيه فى غيبته. [۲۵۴] ولعله(عليه السلام) يستعين بهؤلاء الأولياء ـ ذوى المراتب العالية فى الاخلاص ـ فى [صفحه ۱۷۹] القيام بما تقدم من مهام حفظ المؤمنين ورعايتهم وتسديد العلماء ودفع الأخطار عن الوجود الإيمانى وتسيير حركة الأحداث ـ حتى خارج الكيان الإسلامى بما يخدم مهمة التمهيد لظهوره وإعداد العوامل اللازمة له.

الالتقاء بالمؤمنين فى غيبته الكبرى

إنّ سيرة الإمام فى غيبته الكبرى تفصح بأن لقاءاته فيها لا تنحصر فى هذا العدد المحدود من الأولياء المخلصين فى كل عصر بل تشمل غيرهم ـ ولو بصورة غير مستمرة ـ فالأخبار الخاصة الدالة على مشاهدته فى الغيبة الكبرى كثيرة وعددها يفوق حد التواتر، بحيث نعلم لدى مراجعتها واستقرائها، عدم الكذب والخطأ فيها فى الجملة [۲۵۵] ، فقد نقل الميرزا النورى مائة منها فى النجم الثاقب وفى المصادر الأخرى ما يزيد على ذلك بكثير، اضافة الى أن من المؤكد أن هناك مقابلات غير مروية ولا مسجلة فى المصادر وإن كانت متناقلة عبر الثقات وأن المهدى ـ عجل الله فرجه ـ يتصل بعدد من المؤمنين فى أنحاء العالم فى كل جيل مع حرصهم على عدم التفوه بذلك وكتمه الى الأبد، بل يمكن القول بأن المقابلات غير المروية أكثر بكثير من المقابلات المروية. وتشمل هذه المقابلات

قضاء حوائج المؤمنین ـ کما کانت سیرة آبائه الأئمـة(علیهم السـلام) بمختلف أقسامها المادیـة والمعنویة، کما تشـتمل علی توجیه، [صفحه ۱۸۰] الوصایا التربویـة وتوضـیح غوامض المعارف الإلهیة أو التنبیه الی الأحکام الشـرعیة الصـحیحة وغیر ذلک من مهام الإمام فی کل عصر.

ترسیخ الایمان بوجوده

وتحققت من هـذه اللقاءات إضافـة لـذلک ثمار مهمـة تتمحور حول ترسـیخ الإیمان بوجوده(علیه السـلام) وإزالة التشـکیکات المثارة تجـاه ذلـک فی کل عصـر بما یعزز مسـیرة المؤمنین فی التمهیـد لظهوره(علیه السـلام)، خاصـةً وأن معظم هـذه المقابلات تقترن عادة بصـدور مالاـ یمکن صـدوره عن غیر الإمام(علیه السـلام) من ایضاحات علمیـة دقیقـة أو کرامات إعجازیـة تقطع أی مجال للشک فی هویته ـ عجل الله فرجه ـ وهی فی معظم الأحوال تکون بمبادرة من الإمام نفسه وبصورة لا یتوقعها الفائز بلقیاه(علیه السـلام)، وبعد مدة ـ قد تطول أحیاناً ـ من صدق المؤمن فی طلب مقابلته والإخلاص لله فی القیام بالأعمال الصالحة بهدف الفوز بذلک، کما أنها عادة ما تکون بالمقـدار اللازم لقضاء حاجـة المؤمن الطالب لها أو تحقیق الإمام للغایة المرجوة منها وغالباً ما ینتبه المؤمن الی أنّ من التقاه هو الإمام المهدی(علیه السلام) بعد انتهاء المقابلة، وکل ذلک حفظاً لمبدأ الاستتار فی هذه الفترة.

حضور موسم الحج

وتصـرح الأحادیث الشـریفة بأن من سـیرته(علیه السـلام) فی غیبته حضور موسم الحج فی کل عام، وواضح مافی حضور هذا الموسـم السـنوی المهم من فرصـة مناسـبة للالتقـاء بـالمؤمنین من أنحـاء أقطـار العـالم وإیصـال التوجیهـات إلیهم ولو من دون التعریف بنفسـه بصـراحة والتعرف علی أحـوالهم عـن قرب دون الحاجـة الی أسـالیب إعجازیـة. [صـفحه ۱۸۱] إنّ الأحـادیث الشـریفة الـتی تـذکر حضوره(علیه السـلام) هذا الاجتماع الإسلامی السنوی العام، ذکرت أنه(علیه السلام): «یشهد الموسم فیراهم ولا یرونه» [۲۵۶] ، ویبدو أن المقصود هو الرؤیة مع تحدید هویته(علیه السلام)، بمعنی أن یعرفوه أنه هو المهدی، إذْ توجد عدة روایات اُخری تصرح برؤیته فی هذا الموسم وبعضـها یصـرح بعدم معرفة المشاهدین لهویته علی نحو التحدید واقتصار معرفتهم بأنّه من ذریة رسول الله(صـلی الله علیه وآله) [۲۵۷] . [صفحه ۱۸۳]

تکالیف عصر الغیبة الکبری

اشاره

اهتمت الأحـادیث الشـریفة بقضـیة تکالیف عصـر الغیبـة بحکم الأبعاد العملیـة التی تشـتمل علیها فیما یرتبط بتحرک الإنسان فی هـذه الفترة المتمیزة بفتن کثیرة وصعوبات فی مواجهتها ناتجة عن عدم الحضور الظاهر لإمام العصر وعدم تیسر الرجوع إلیه بسهولة. فی هذا الفصل نذکر علی نحو الإیجاز أبرز هذه التکالیف طبق ما حددته الأحادیث الشریفة مع تفصیل الحدیث عن أهمها والذی ینطوی علی تجسـید التکـالیف الأـخری ألاـ وهـو واجب انتظـار ظهـور الإمـام ـ عجـل الله فرجه ـ لأـنه عُرّض للکـثیر من أشـکال سوء الفهم. وأبرز التکـالیف الاُخری فکما یلی: ۱ ـ ترسـیخ المعرفـة بإمام العصـر ـ عجل الله فرجه ـ وغیبته وحتمیـة ظهوره وأنه حی یراقب الأمور ویطّلع علی أعمال الناس وأوضاعهم وینتظر توفر الشـروط اللازمـة لظهوره، وإقامـة هذه المعرفة علی أساس الأدلة النقلیة الصـحیحة والبراهین العقلیة السـلیمة. وأهمیة هذا الواجب واضـحة فی ظل عدم الحضور الظاهر للإمام فی عصـر الغیبة والتشکیکات الناتجة عن ذلک، کما أن لهذه المعرفة تأثیراً [صفحه ۱۸۴] مشهوداً فی دفع الإنسان المسلم نحو العمل الإصلاحی البنّاء علی الصعیدین الفردی والاجتماعی،

فهى تجعل لعمله حافزاً إضافياً يتمثل بالشعور الوجدانى بأن تحركه يحظى برعاية ومراقبة إمام زمانه الذى يسرّه ما يرى من المؤمنين من تقدم ويؤذيه أى تراجع أو تخلف عن العمل الإصلاحى البناء والتمسك بالأحكام والأخلاق والقيم الإسلامية التى ينتظر توفر شروط ظهوره لإقامة حاكميتها فى كل الأرض وإنقاذ البشرية بها. وقد التقينا فى الأحاديث الشريفة التى أخبرت عن غيبة المهدى قبل وقوعها بإشارات صريحة الى هذا الواجب وسنلتقى ضمن الحديث عن واجب الانتظار بنماذج أخرى. يُضاف الى ذلك معظم الأدعية المندوب تلاوتها فى عصر الغيبة تحفز على القيام بهذا الواجب وترسيخ المعرفة بالإمام، فمثلًا الكلينى فى «الكافى» عن زرارة أن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «إن للقائم غيبة... وهو المنتظر وهو الذى يشكّ الناس فى ولادته...]فقال زرارة[: جُعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أى شىء أعمل؟ قال: يازرارة متى أدركت ذلك الزمان فلتدع بهذا الدعاء: اللَّهُمَّ عرّفنى نفسك فإنك إن لم تعرفنى نفسك لم أعرف نبيك، اللَّهُمَّ عرّفنى رسولك فإنك إن لم تعرفنى رسولك لم أعرف حجتك، اللَّهُمَّ عرّفنى حجتك فإنك إن لم تعرّفنى حجتك ضللتُ عن دينى...» [۲۵۸] وفى الحديث إشارة الى الأسس العقائدية للإيمان بإمام العصر وثمار معرفته. ۲ ـ ومن التكاليف المهمة الأخرى التى أكدتها الأحاديث الشريفة لمؤمنى عصر الغيبة هو تمتين الارتباط الوجدانى بالمهدى المنتظر والتفاعل العملى مع أهدافه السامية والدفاع عنها والشعور الوجدانى العميق بقيادته وهذا [صفحه ۱۸۵] هو ما تؤكده أيضاً معظم التكاليف التى تذكرها الأحاديث الشريفة كواجبات للمؤمنين تجاه الإمام مثل الدعاء له بالحفظ والنصرة وتعجيل فرجه وظهوره وكبح أعدائه والتصدق عنه والمواظبة على زيارته وغير ذلك مما ذكرته الأحاديث الشريفة وقد جمعها آية الله السيد الإصفهانى فى كتابه «مكيال المكارم فى فوائد الدعاء للقائم» وكتابه «وظائف الأنام فى غيبة الإمام». ۳ ـ إحياء أمر منهج أهل البيت(عليهم السلام) [۲۵۹] الذى يمثله ـ عجل الله فرجه ـ بما يعنيه ذلك من العمل بالإسلام النقى الذى دافعوا عنه ونشر أفكارهم والتعريف بمظلوميتهم وموالاتهم والبراءة من أعدائهم والعمل بوصاياهم وتراثهم وما تقدم من تعاليمهم ونبذ الرجوع الى الطاغوت وحكوماته والرجوع الى الفقهاء العدول الذين جعلوهم حجة على الناس فى زمن الغيبة والاستعانة بالله فى كل ذلك كما ورد فى النص: «وإن أصبحتم لا ترون منهم [الأئمة(عليهم السلام)] أحداً فاستغيثوا بالله عز وجل وانظروا السنة التى كنتم عليها واتبعوها وأحبوا ما كنتم تحبون وابغضوا مَن كنتم تبغضون فما أسرع ما يأتيكم الفرج» [۲۶۰] . ۴ ـ تقوية الكيان الإيمانى والتواصى بالحق الإسلامى النقى والتواصى بالصبر، وهو من التكاليف التى تتأكد فى عصر الغيبة بحكم الصعوبات التى يشتمل عليها؛ والثبات على منهج أهل البيت(عليهم السلام): «يأتى على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فياطوبى للثابتين على أمرنا فى ذلك الزمان...» [۲۶۱] . [صفحه ۱۸۶] هذه عناوين أبرز التكاليف الخاصة بعصر الغيبة وثمة تكاليف خاصة ببعض الحوادث التى تقع فيه أو بعض علائم الظهور مثل مناصرة حركة الموطئة ـ الذين يوطّئون للمهدى سلطانه ـ أو اجتناب فتنة السفيانى أو تشديد الحذر عند ظهور بعض العلائم القريبة من أوان الظهور وغير ذلك. وبعد هذا العرض السريع ننتقل للحديث عن واجب الانتظار الذى يمثل أهم هذه التكاليف ويشتمل العمل به على معظم التكاليف السابقة، ونتناوله ضمن الفقرات التالية.

اهمية الانتظار

تؤكد الأحاديث الشريفة وباهتمام بالغ على عظمة آثار انتظار الفرج؛ بعنوانه العام الذى ينطبق على الظهور المهدوى كأحد مصاديقه البارزة؛ وكذلك على انتظار ظهور الإمام بالخصوص. فبعضها تصفه بأنه أفضل عبادة المؤمن كما هو المروى عن الإمام على(عليه السلام): «أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله» [۲۶۲] ، وعبادة المؤمن أفضل بلا شك من عبادة مطلق المسلم، فيكون الانتظار أفضل العبادات الفضلى إذا كان القيام به بنية التعبد لله وليس رغبة فى شىء من الدنيا؛ ويكون بذلك من أفضل وسائل التقرب الى الله تبارك وتعالى كما يشير الى ذلك الإمام الصادق(عليه السلام) فى خصوص انتظار الفرج المهدوى حيث يقول: «طوبى لشيعة قائمنا، المنتظرين لظهوره فى غيبته والمطيعين له فى ظهوره، أولئك أولياء الله الذين لا ـ خوف عليهم ولا ـ هم يحزنون». [۲۶۳] ولذلك فإن

انتظار الفرج هو «أعظم الفرج» [۲۶۴] كما يقول الإمام السجاد(عليه السلام)، فهو يدخل المنتظر فى زمرةِ أولياء الله. [صفحه ۱۸۷] وتعتبر الأحاديث الشريفة أنّ صدق انتظار المؤمن لظهور إمام زمانه الغائب يعزز إخلاصه ونقاء إيمانه من الشك، يقول الإمام الجواد(عليه السلام): «...له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون..» [۲۶۵] وحيث إن الانتظار يعزز الإيمان والإخلاص لله عز وجل والثقة بحكمته ورعايته لعباده، فهو علامة حسن الظن بالله، لذا فلاغرابة أن تصفه الأحاديث الشريفة بأنه: «أحب الأعمال الى الله» [۲۶۶] ، وبالتالى فهو «أفضل أعمال أمتى» [۲۶۷] كما يقول رسول الله(صلى الله عليه وآله). الانتظار يرسخ تعلق الإنسان وارتباطه بربه الكريم وإيمانه العملى بأن الله عز وجل غالب على أمره وبأنه القادر على كل شىء والمدبر لأمر خلائقه بحكمته الرحيم بهم، وهذا من الثمار المهمة التى يكمن فيها صلاح الإنسان وطيّه لمعارج الكمال، وهو الهدف من معظم أحكام الشريعة وجميع عباداتها وهو أيضاً شرط قبولها فلا قيمة لها إذا لم تستند الى هذا الايمان التوحيدى الخالص الذى يرسخه الانتظار، وهذا أثر مهم من آثاره الذى تذكره الأحاديث الشريفة نظير قول الإمام الصادق(عليه السلام): «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز وجل من العبادة عملاً إلاّ به... شهادة أن لا اله إلاّ الله وأن محمداً عبدُه ورسوله والاقرار بما أمر الله والولاية لنا والبراءة من أعدائنا ـ يعنى الأئمة خاصة ـ والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة والانتظار للقائم(عليه السلام)...» [۲۶۸] . وتصريح الأحاديث الشريفة بأن التحلى بالانتظار الحقيقى يؤهل [صفحه ۱۸۸] المنتظر ـ وبالآثار المترتبة عليه المشار اليها آنفاً ـ للفوز بمقام صحبة الإمام المهدى كما يشير الى ذلك الإمام الصادق فى تتمة الحديث المتقدم حيث يقول: «مَن سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر»، وكذلك يجعله يفوز بأجر هذه الصحبة الجهادية وهذا ما يصرح به الصادق(عليه السلام) حيث يقول: «مَن مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان فى فسطاط القائم(عليه السلام)...» [۲۶۹] ، ويفوز أيضاً بأجر الشهيد كما يقول الإمام على(عليه السلام): «الآخذ بأمرنا معنا غداً فى حظيرة القدس والمنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه فى سبيل الله» [۲۷۰] ، بل ويفوز بأعلى مراتب الشهداء المجاهدين، يقول الصادق(عليه السلام): «مَن مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن كان مع القائم فى فسطاطه؛ قال الراوى: ثم مكث هنيئة، ثم قال: لا بل كمن قارع معه بسيفه، ثم قال: لا والله إلاّ كمن استشهد مع رسول الله(صلى الله عليه وآله)» [۲۷۱] . والأحاديث المتحدثة عن آثار الانتظار كثيرة ويُفهم منها أن تباين هذه الآثار فى مراتبها يكشف عن تباين عمل المؤمنين بمقتضيات الانتظار الحقيقى، فكلما سمت مرتبة الانتظار تزايدت آثارها المباركة وبالطبع فإن الأمر يرتبط بتجسيد حقيقة ومقتضيات الانتظار، ولذلك يجب معرفة معناه الحقيقى، وهذا مانتناوله فى الفقرة اللاحقة.

حقيقة الانتظار

الانتظار عبارة عن: «كيفية نفسانية ينبعث منها التهيؤ لما تنتظره؛ وضده اليأس؛ فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ آكد؛ ألا ترى أنّه اذا كان لك مسافر تتوقع قدومه ازداد تهيؤك لقدومه كلما قرب حينه، بل ربما تبدل رقادك [صفحه ۱۸۹] بالسهاد لشدة الانتظار. وكما تتفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهة، كذلك تتفاوت مراتبه من حيث حبك لمن تنتظره، فكلما اشتد الحب ازداد التهيؤ للحبيب وأوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلق بحفظ نفسه ولا يشعر بما يصيبه من الالآم الموجعة والشدائد المفظعة. فالمؤمن المنتظر مولاه كلما اشتد انتظاره ازداد جهده فى التهيؤ لذلك بالورع والاجتهاد وتهذيب نفسه وتجنّب الأخلاق الرذيلة والتحلّى بالأخلاق الحميدة حتى يفوز بزيارة مولاه ومشاهدة جماله فى زمان غيبته كما اتفق ذلك لجمع كثير من الصالحين، ولذلك أمر الأئمة الطاهرون(عليهم السلام) فيما سمعت من الروايات وغيرها بتهذيب الصفات وملازمة الطاعات. بل رواية أبى بصير مشعرة أو دالة على توقف الفوز بذلك الأجر حيث قال]الإمام الصادق[(عليه السلام): «مَن سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل مَن أدركه... ولا ريب أنه كلما اشتد الانتظار ازداد صاحبه مقاماً وثواباً عند الله عز وجل...» [۲۷۲] . والانتظار يعنى: «ترقب ظهور وقيام الدولة القاهرة والسلطنة الظاهرة لمهدى آل

محمـد(علیهم السـلام). وإمتلائهـا قسـطاً وعـدلاً وانتصـار الـدین القویم علی جمیع الأدیـان کمـا أخبر به الله تعالی نبیه الأکرم ووعـده بـذلک، بل بشّر به جمیع الأنبیاء والأمم؛ أنه یأتی مثل هـذا الیوم الـذی لا یعبد فیه غیر الله تعالی ولا یبقی من الدین شـیء مخفی وراء ستر وحجاب مخافـة أحـد...» [۲۷۳] . اذن الانتظار یتضـمن حالـة قلبیـة توجـدها الأصول العقائدیـة الثابتـة بشأن حتمیـة ظهور المهدی الموعود وتحقق أهـداف الأنبیـاء ورسالا ـتهم وآمال [صـفحه ۱۹۰] البشـریة وطموحاتها علی یـدیه(علیه السـلام)؛ وهـذه الحالة القلبیة تؤدی الی انبعاث حرکـة عملیة تتمحور حول التهیؤ والاسـتعداد للظهور المنتظر، ولذلک أکدت الأحادیث الشـریفة علی لزوم ترسـیخ المعرفـة الصـحیحة المسـتندة للادلـة العقائدیـة بالإمـام المهـدی وغیبته وحتمیـة ظهوره کما أشـرنا فی الواجب الأول. وعلیه یتضـح أن الانتظار لا یکون صادقاً إلّا اذا توفرت فیه: «عناصـر ثلاثـة مقترنـة: عقائدیة ونفسـیة وسـلوکیة ولولاها لا یبقی للانتظار أی معنی إیمانی صحیـح سوی التعسف المبنی علی المنطق القائـل: (فاذهب أنت وربّک فقاتلا إنّا هاهنا قاعـدون...) [۲۷۴] المنتج لتمنی الخیر للبشریة من دون أی عمـل إیجـابی فی سبیل ذلک» [۲۷۵] . ولـذلک نلاحظ فی الأحادیث الشـریفة المتحدثة عن قضـیة الانتظار تأکیدها علی معرفة الإمام المهدی ودوره وترسـیخ الارتباط المسـتمر به(علیه السـلام) فی غیبته کمظهر للانتظار والالتزام العملی بموالاته والتمسک بالشـریعة الکاملـة کما اشـرنا لذلک فی التکالیف السابقة وإعداد المؤمن نفسه کنصـیر للإمام المهدی ـ عجل الله فرجه ـ یتحلی بجمیع الصـفات الجهادیـة والعقائدیـة والأخلاقیـة اللازمـة للمساهمـة فی إنجـاز مهمته الإصـلاحیة الکبری، وإلّا لن یکون انتظاراً حقیقیاً. «إن انتظـار الفرج نوعـان: انتظـار بنّاء باعث للتحرک والالتزام الرسالی، فهو عبادة وأفضل العبادات، وانتظار مخرّب یشل الإنسان عن العمل البنّـاء فهو یعتبر نمطـاً من أنمـاط «الإباحیـة»... إن نوعی الانتظـار هـذین همـا نتیجـة لنوعین من الفهم لماهیـة الظهور التـأریخی العظیم للمهدی الموعود (علیه السـلام)... والبعض [صفحه ۱۹۱] یفسّـِر القضـیة المهدویة وثورتها الموعودة بأنها ذات صبغة انفجاریة لا غیر؛ وأنهـا نتیجـة لانتشـار الظلم والتمییز والقمع وغصب الحقوق والفسـاد... فعنـدها یقع الانفجار وتظهر یـد الغیب لإنقاذ الحق... وعلیه فإن أفضل عون یمکن أن یقدمه الإنسان لتعجیل الظهور المهدوی وأفضل أشـکال الانتظار هو [السـماح بـ] ترویج الفساد... لکن المسـتفاد من الآیات أن ظهور المهدی الموعود حلقة من حلقات مجاهدة أنصار الحق لأشـیاع الباطل التی تکون عاقبتها الانتصار الکامل لأنصار الحق ومشارکـة الإنسـان فی الحصول علی هـذه السـعادة مرهون بـأن یـدخل عملیـاً فی صـفوف أنصـار الحق... ویُسـتفاد من الروایات الإسـلامیة أن ظهور المهدی (علیه السـلام) یقترن ببلوغ جبهتی السـعداء والأشقیاء ذروة عملهم کل حسب أهدافه لا أن ینعدم السعداء ویبلغ الأشـقیاء ذروة إجرامهم وظلمهم، وتتحـدث الأحـادیث الشـریفة عن صـفوة من أنصار الحق تلتحق بالإمام فور ظهوره... فحتی لو فرضـنا أنهم قلـة من الناحیـة الکمیـة إلّا أنهم من الناحیة الکیفیة خیرة أهل الإیمان وبمسـتوی انصار سـید الشـهداء(علیه السـلام)؛ کما تتحـدث عن التمهید لثورة الإمام المهدی بسلسـلة من الانتفاضات التی یقوم بها أنصار الحق... کما تتحدث بعضـها عن حکومة یقیمها أنصار الحق وتستمر حتی تفجر ثورة الإمام المهدی» [۲۷۶] . إذن یتضح مما تقدم أن للانتظار الشـرعی المطلوب جملة من الشروط لا یتحقق بـدونها العمـل به کـأهم تکالیف المؤمنین فی عصـر الغیبـة وقـد تحـدثت عنها الأحادیث الشـریفة وجمعها الإمام السـجاد(علیه السلام) حیث قال ضمن حدیث [صفحه ۱۹۲] له عن القضیة المهدویة: «إن أهل زمان غیبته القائلین بإمامته والمنتظرین لظهوره أفضل من أهـل کـل زمـان، لأن الله تبارک وتعالی أعطاهم من العقول والأفهام ما صارت به الغیبـة عنـدهم بمنزلـة العیان وجعلهم فی ذلک الزمان بمنزلة المجاهدین بین یدی رسول الله (صلی الله علیه وآله) بالسیف، أولئک المخلصون حقاً وشیعتنا صدقاً والدعاة الی دین الله عز وجل سراً وجهراً» [۲۷۷] .

شروط الانتظار

علی ضوء هـذا النص والتوضـیحات الـذی تقـدمته یمکن إجمال شـروط الانتظار فی النقاط التالیـة التی تتضـمن أیضاً توضـیح السبیل العملی الـذی ینبغی للمؤمن انتهـاجه لکی یکون منتظراً حقیقیـاً: ۱ ـ ترسـیخ معرفـة الإمـام المهـدی ـ عجل الله فرجه ـ والإیمان بإمامته

والقیام بمهامها فی غیبته ومعرفة طبیعة دوره التأریخی وأبعاده والواجبات التی یتضمنها ودور المؤمنین تجاهه، وترسیخ الارتباط به(علیه السلام) وبدوره التأریخی. وکذلک الإیمان بأن ظهوره محتمل فی أی وقت، الأمر الذی یوجب أن یکون المؤمن مستعداً له فی کل وقت. بما یؤهله للمشارکة فی ثورته. ولتحقق هذا الاستعداد اللازم لکی یکون الانتظار صادقاً یجب التحلی بالصفات الأخری التی یذکرها الإمام السجاد(علیه السلام) والتی تمثل فی واقعها الشروط الأخری لتحقق مفهوم الانتظار علی الصعید العملی، کما نلاحظ فی الفقرات اللاحقة. ۲ ـ ترسیخ الاخلاص فی القیام بمختلف مقتضیات الانتظار وتنقیته من [صفحه ۱۹۳] جمیع الشوائب والأغراض المادیة والنفسیة، وجعله خالصاً لله تبارک وتعالی وبنیّة التعبد له والسعی لرضاه، وبذلک یکون الانتظار «أفضل العبادة»، وقد صرّح آیة الله السید محمد تقی الإصفهانی بأنّ توفر هذه النیّة الخالصة شرط فی القیام بواجب الانتظار. وعلی أی حال فإنّ توفر هذا الشرط یرتبط بصورة مباشرة بالإعداد النفسی لنصرة الإمام عند ظهوره؛ لأنّ فقدانه یسلب المنتظر الأهلیة اللازمة لتحمل صعاب نصرة الإمام ـ عجل الله فرجه ـ فی مهمته الإصلاحیة الجهادیة الکبری. ۳ ـ تربیة النفس وإعدادها بصورة کاملة لنصرة الإمام من خلال صدق التمسک بالثقلین والتخلق بأخلاقهما لیکون المؤمن بذلک من أتباع الإمام المهدی(علیه السلام) حقاً: «وشیعتنا صدقاً» وتتوفر فیه شروط الشخصیة الإلهیة والجهادیة القادرة علی نصرة الإمام فی طریق تحقیق أهدافه الإلهیة، وفی ذلک تمهید لظهوره(علیه السلام) علی الصعید الشخصی. ۴ ـ التحرک للتمهید للظهور المهدوی علی الصعید الاجتماعی بدعوة الناس الی دین الله الحق وتربیة أنصار الإمام والتبشیر بثورته الکبری، ونلاحظ فی حدیث الامام السجاد(علیه السلام) وصفه للمنتظرین بأنهم «الدعاة الی دین الله عز وجل سرّاً وجهراً»، وفی ذلک إشارة بلیغة الی ضرورة استمرار تحرک المنتظرین فی التمهید للظهور ورغم کل الصعاب، فإذا کانت الأوضاع موائمة دعوا لدین الله جهراً وإلّا کان تحرکهم سریاً دون أن یسوّغوا لانفسهم التقاعس عن هذا الواجب التمهیدی تذرّعاً بصعوبة الظروف. وعلی ضوء ماتقدم یتضح أن الانتظار الحقیقی یتضمن حرکة بناء مستمرة واستعداد لظهور المنقذ المنتظر علی الصعیدین الفردی والاجتماعی مهما کانت الصعاب والتضحیات، یقول الإمام الخمینی(قدس سره) فی آخر بیان [صفحه ۱۹۴] أصدره بمناسبة النصف من شعبان قبل وفاته: «سلام علیه (المهدی الموعود) وسلام علی منتظریه الحقیقیین، سلام علی غیبته وظهوره، وسلام علی الذین یدرکون ظهوره علی نحو الحقیقة ویرتوون من کأس هدایته ومعرفته سلام علی الشعب الایرانی العظیم الذی یمهد لظهوره بالتضحیات والفداء والشهادة...» [۲۷۸] .

الانتظار و توقّع الظهور الفوری

إضافة الی تصریحهم بوجوب إنتظار الامام المهدی ـ عجل الله فرجه ـ فی غیبته استناداً الی کثرة النصوص الشرعیة الآمرة بذلک علی نحو الفرج الإلهی العام أو الفرج المهدوی علی نحو الخصوص، فقد صرحوا بوجوب توقع ظهور الإمام فی کل حین استناداً الی النصوص الشرعیة أیضاً، یقول السیدالشهید محمد الصدر(رحمه الله): «من الأخبار الدالة علی التکلیف فی عصر الغیبة مادل علی وجوب الانتظار الفوری وتوقع الظهور الفوری فی کل وقت بالمعنی الذی سبق أن حققناه» [۲۷۹] ، ویقول السید محمد تقی الإصفهانی بعد نقله لمجموعة من الأحادیث الدالة علی وجوب الانتظار الفوری: «المقصود من توقع الفرج صباحا ومساء هو الانتظار للفرج الموعود فی کل وقت یمکن وقوع هذا الأمر المسعود ولا ریب فی إمکان وقوع ذلک فی جمیع الشهور والأعوام بمقتضی أمر المدبّر العلام، فیجب الانتظار له علی الخاص والعام» [۲۸۰] . وشمولیة وجوب الانتظار لجمیع المسلمین التی یصرّح بها السید [صفحه ۱۹۵] الاصفهانی فی ذیل مانقلناه عنه آنفاً یؤکدها السید الشهید محمد الصدر(رحمه الله) استناداً الی الاتفاق بین المسلمین علی حتمیة ظهور المهدی(علیه السلام) بعد تواتر أحادیثه: «بنحو یحصل الیقین بمدلولها وینقطع العذر عن إنکاره أمام الله عز وجل؛ وبعد العلم بإناطة تنفیذ ذلک الغرض بإرادة الله تعالی وحده من دون أن یکون لغیره رأی فی ذلک، إذن فمن المحتمل فی کل یوم أن یقوم المهدی(علیه السلام) بحرکته الکبری لتطبیق ذلک الغرض لوضوح احتمال تعلق إرادة الله تعالی به فی أی وقت. ولا ینبغی أن تختلف

فی ذلک الاطروحـة الإمامیة لفهم المهدی(علیه السـلام) عن غیرها؛ إذ علی تلک الاطروحة یأذن الله تعالی بالظهور بعد الاختفاء، وأما علی الأطروحـة القائلـة بأن المهـدی(علیه السـلام) یُولـد فی مسـتقبل الـدهر ویقوم بالسـیف، فمن المحتمل أیضاً أن یکون الآن مولوداً ویوشـک أن یـأمره الله تعـالی بالظهور، وهـذا الاحتمال قائم فی کل وقت» [۲۸۱] ، ویسـتند الی الطریقـة نفسـها فی تتمة حدیثه للقول بوجـوب الانتظـار الفـوری علی کـل مَن یؤمن بالمنقـذ الموعود من أتبـاع الـدیانات الأـخری. تبقی قضـیة علاـئم الظهور الـتی ذکرت الأحادیث الشـریفة أنها تسـبق الظهور المهـدوی، وتعارضـها مع القول بوجوب الانتظار الفوری، وهو تعارض مرفوع بأن انتظار الحتمی منهـا هو انتظـار للظهور فی الواقع لأنهـا جزء کمـا أنّ زمن وقوع العلاـئم الحتمیـة للظهور قریب من موعـد الظهور وأما شـرائط الظهور وتوفیر الأوضاع اللازمـة له فإنّ من المحتمل [صـفحه ۱۹۶] اکتمالها فی کل حال. یقول السـید الشـهید محمد الصدر(رحمه الله): «إن العلامات یحتمل وقوعها فی أی وقت ویحتمل أن یتبعها ظهور المهدی(علیه السلام) بوقت قصیر، وأما شرائط الظهور فیحتمل اکتمالها وانجازها فی أی وقت أیضاً، وقلنا بأن وجود هذا الاحتمال فی نفس الفرد کاف فی إیجاد الجو النفسی للانتظار الفوری» [۲۸۲] . وهذا الجو النفسـی المطلوب فی الانتظار الفوری هو الـذی یشـکل الـدوافع المحرضة للمؤمن لکی یسارع فی توفیر الشـروط اللازمة لنصـرة إمامه المهدی ـ عجل الله فرجه ـ من خلال إعداد نفسه وغیره بالتهذیب والتربیة اللازمة للتحلی بخصال أنصار المهدی. ومن الضروری اسـتکمالاً للبحث فی موضوع وجوب الانتظار کأحد أهم واجبات المسـلمین فی عصـر الغیبة، الإشارة الی حرمة الیأس من الظهور وهو الأصل الذی یسـتند الی أدلة قرآنیة عامة تشـکل أحد أدلة وجوب الانتظار، وقد بحث آیة الله السید محمد تقی الإصفهانی(رحمه الله) هـذا الموضوع مفصّـلاً واسـتعرض النصوص الشـرعیة وبیّن دلالاتها والأحکام المسـتنبطة منها بشأن أقسام الیأس المتصورة بالنسـبة الی ظهـور المهـدی الموعـود، وخلص فی بحثه الی إثبـات حرمـة الیـأس من ظهـوره أصـلاً؛ لاتفـاق المسـلمین علی حتمیـة تحقق ذلـک، وکذلک حرمة الیأس من وقوع الظهور فی مدة معیّنة، وکذلک الیأس من قرب ظهوره [۲۸۳] . [صفحه ۱۹۹]

علائم ظهور الامام المهدی

ملاحظات بشأن علائم الظهور

عرفنا من الحـدیث عن تکالیف المؤمنین فی عصـر غیبـة الإمام ـ عجل الله فرجه ـ أن الأحادیث الشـریفة تأمر بانتظار ظهوره وتوقعه فی کـل آن، وهـذا تکلیف تربوی یهـدف الی جعلهم ساعین باتجاه تحقیق الاسـتعداد الکامل وباسـتمرار لنصـرته عنـدما یظهر. ولکن الی جانب هـذا الأمر المؤکـد تـذکر الأحادیث الشـریفة مجموعة من الحوادث والاُمور کعلائم لظهوره(علیه السـلام) یهتدی بها المؤمنون لترسیخ وتسـریع اسـتعدادهم لنصـرته والمساهمـة فی إنجـاز مهمته الإصـلاحیة الکـبری. والجمع بین هـاتین الطـائفتین من الأحـادیث الشـریفة، هو أن الأمر بتوقع الظهور فی کل حین یسـتند الی إمکان وقوع ذلک متی ما شاءت الإرادة الإلهیة، فتعجّل فی تحقیق العلائم المـذکورة فی الطائفة الثانیة أو تلغی بعضـها لحکمة ربانیة فی تدبیر شؤون العباد إذا علم منهم صدقهم فی الاسـتعداد لنصـرته مثلاً، أو أن یکون المقصود من توقع الظهور الفوری توقع تحقق العلائم المـذکورة فی الأحادیث الشـریفة والحتمیـة الوقوع؛ لأن وقوعها إعلان ظهور [صفحه ۲۰۰] الإمام(علیه السلام). [۲۸۴] وقد تقدمت اشارة أخری الی هذه القضـیة ضـمن الحدیث عن واجب الانتظار. وبهذا تتحصل للمؤمنین الثمار المرجوة من الأمر بوجوب توقع ظهوره ـ عجل الله فرجه ـ فی کل حین، وکـذلک تتحصل لهم الثمار المرجوة من تعریفهم بعلاـئم ظهوره لتسـریع اسـتعدادهم والقیـام بالتکالیف الخاصـة ببعض العلائم التی تقرن الأحادیث الشـریفة ذکرها بـذکر واجبات خاصة بها.

العلائم الحتمیة و غیر الحتمیة

وتـذکر الأحـادیث الشـریفهٔ قسـمین رئیسـین من علائم ظهور الإمام ـ عجل الله فرجه ـ القسم الأوّل ماهو حتمی الوقوع، والقسم الثانی ماهو غیر حتمی بل قد لا یقع إذا اقتضت الحکمهٔ الإلهیهٔ ذلک. کما أن بعض هذه العلائم قریبهٔ من زمن الظهور وبعضها سابق له بفترهٔ طویلهٔ.

اللغهٔ الرمزیهٔ فی أحادیث العلامات

کما تنبغی الإشارهٔ هنا الی أن الأحادیث الشریفهٔ تحدثت عن کثیر من علائم الظهور بلغـهٔ الرمز والإشارهٔ، لذا من الضـروری لمعرفتها علی نحو الدقـهٔ دراسـهٔ هـذه اللغـهٔ ومعرفتهـا، کمـا ینبغی اسـتجماع کل ماورد بشأن کل علامـهٔ من تفصـیلات فی الأحادیث الشـریفهٔ ودراسـتها بعیـداً عن التأثر بالقناعات السابقهٔ وبتأنّی وبدقهٔ للتوصل الی مصداقها الحقیقی وعدم الوقوع فی التطبیقات العجولهٔ التی تبعد عن الهـدف المراد من ذکر هـذه العلائم، خاصـهٔ وأن اللغهٔ [صـفحه ۲۰۱] الرمزیـهٔ بطبیعتهـا تجعل من الممکن تطبیق کل علامـهٔ علی أکثر من مصـداق وهـذا خلاف الهـدف المراد من ذکرهـا أیضاً. کما أنّ من الضـروری الإشارهٔ الی أن بعض الأحادیث الشـریفهٔ التی ذکرت علامات الظهور، حددت تکالیف محددهٔ للمؤمنین ـ علی نحو التصریح أو الإشارهٔ تجاهها ـ فینبغی عند دراستها السعی للتعرف علی هذه التکالیف للحصول علی الثمار المرجوهٔ من ذکرها. وحیث إنّ علائم الظهور ترتبط بقضایا غیبیهٔ، لذلک فإنّها تعرضت للکثیر من التحریف وداخَلها الوضع، لذا ینبغی التدقیق فی هذا الجانب لتمییز الصـحیح منها من الموضوع. علی أنّ ثمهٔ قضـیهٔ مهمهٔ اُخری فی هـذا المجال هی وجود مجموعـهٔ من العلامات التی ذکرتها بعض الأحادیث الشـریفهٔ المرسـلهٔ أو غیر المسـندهٔ ثم جاء الواقع التأریخی مصدّقاً لها فهذا دلیل صحتها، لأنه أثبت أنه تحدثت عن قضایا قبل وقوعها وهذا مالا یمکن صدوره إلّا من جهة ینابیع الوحی الإلهی.

ابرز علائم الظهور

والبحث فی علائم الظهور طویل لا یسعه هذا المختصـر، فنکتفی بعد هذه الملاحظات بنقل مالخّصه الشیخ المفید (رضی الله عنه) من الأحادیث الشـریفهٔ مع الإشارهٔ الی أن ثمـهٔ علامات أخری لم یذکرها. یقول(رحمه الله): ـ «قد جاءت الأخبار بذکر علامات لزمان قیام المهـدی(علیه السـلام) وحوادث تکون أمام قیامه، وآیات ودلالات: فمنها: خروجُ السـفیانی، وقتل الحسـنی، واختلاف بنی العباس فی الملـک الـدنیاوی، وکسـوف الشـمس فی النصف من شـهر رمضـان، وخسوف القمر فی آخره علی خلاف العـادات، [صـفحه ۲۰۲] وخسف بالبیداء، وخسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، ورکود الشمس من عند الزوال إلی وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب، وقتل نفس زکیهٔ بظهر الکوفهٔ فی سبعین من الصالحین، وذبح رجل هاشمی بین الرکن والمقام، وهَدمُ سور الکوفهٔ، وإقبال رایات سود من قِبَلِ خراسـان، وخروج الیمـانی، وظُهور المغربی بمصـرَ وتملُّکه للشامات، ونزول التُرک الجزیرهٔ، ونزول الروم الرملـهٔ، وطلوع نجم بالمشـرقِ یُضـیءُ کما یُضـیءُ القمر ثم یَنعطفُ حتی یکاد یلتقی طَرَفاه، وحُمرهٔ تظهر فی السماء وتنتشر فی آفاقها، ونار تظهر بالمشرق طُولاً وتبقی فی الجوّ ثلاثهٔ أیّام أو سـبعهٔ أیّام، وخلعُ العرب أعنَّتها وتملُّکها البلاد وخُروجُها عن سلطان العجم، وقتلُ أهل مصر أمیرهم، وخراب الشـام، واختلاف ثلاثـهٔ رایـات فیه، ودخول رایـات قیس والعرب إلی مصـر ورایات کنـدهٔ إلی خراسان، وورود خیل من قبل المغرب حتی تربط بفناء الحیرهٔ، وإقبالُ رایات سُود من المشـرق نحوها، وبثقٌ فی الفرات حتی یـدخُل الماءُ أزقّهٔ الکوفهٔ، وخُروجُ ستین کـذّاباً کلُّهم یـدَّعی النبوهٔ، وخُروج اثنی عشـر من آل أبی طالب کلُّهم یـدّعی الإمامـهٔ لنفسه، وإحراق رجل عظیم القدر من شـیعهٔ بنی العباس بین جلولاء وخانقین، وعقد الجسـر ممّایلی الکرخ بمدینهٔ السـلام، وارتفاع ریح سوداء بها فی أوّل النهار؛ وزلزلهٔ حتی ینخسف کـثیر منهـا، وخوف یشـمل أهـل العراق، وموت ذریع فیه، ونقص من الأنفس والأموال الثمرات، وجراد یظهر فی أوانه وفی غیر أوانه حتی یأتی علی الزرع والغلّات، وقلّهٔ ریع لما یزرعه الناس، واختلاف صـنفین من العجم، وسفک دماء کثیرهٔ فیما بینهم، وخروج العبید عن طاعـهٔ سـاداتهم وقتلهم موالیهم، ومسخٌ لقوم من أهـل البـدع حتی یصـیروا قردهٔ وخنـازیر، وغلبـهٔ العبیـد علی بلاد [صـفحه ۲۰۳]

السادات، ونـداء من السـماء حتى يسـمعه أهل الأرض كلَّ أهل لغة بلغتهم، ووجه وصدر يظهران من السـماء للناس فى عين الشـمس، وأموات ينشـرون من القبور حتى يرجعوا إلى الـدنيا فيتعـارفون فيهـا ويتزاورون. ثم يُختم ذلـك بـأربع وعشـرين مطرة تتَّصـل فتحيا بها الأرض من بعـد موتها وتعرف بركاتها، وتزول بعـد ذلك كلُّ عاهـة عن معتقدى الحقِّ من شـيعة المهدى(عليه السـلام)، فيعرفون عند ذلك ظُهوره بمكة فيتوجَّهون نحوه لُنصرته. كما جاءت بذلك الأخبار. ومن جملة هذه الأحداث محتومة ومنها مشترطة، والله أعلم بما يكون، وإنّما ذكرناها على حسب ما ثبت فى الاُصول وتضمَّنها الأثر المنقول، وبالله نستعين وإيّاه نسأل التوفيق» [۲۸۵] .

زوال علل الغيبة

اضافة الى هذه العلامات التى نصت عليها الأحاديث الشـريفة؛ فإنّ المسـتفاد من الأحاديث الشريفة أن من العلائم المهمة لظهور الإمام المهـدىـ عجـل الله فرجهـ؛ زوال العلل والعوامل التى أدت الى غيبته وتوفر الأوضاع المناسـبة لقيامه ـ سـلام الله عليهـ بمهمته الإصـلاحية الكبرى [۲۸۶] ، والتى منهـا: ١ ـ اكتمـال عمليـة التمحيص والغربلـة للمؤمنين وتوفر العـدد اللازم من الأنصار الأوفياء بمختلف مراتبهم التى أشـرنا اليها ضـمن الحديث عن علل [صفحه ۲۰۴] الغيبـة؛ اى المرتبـة العليا من الأنصار الذين يتحلون بالكفاءات القيادية اللازمة لمعاونته فى اقامة الحكومة الاسـلامية العالمية العادلة وإدارة شؤونها وقبل ذلك إدارة حركة الصـراع ضد الكفر والشـرك والعبوديات الطاغوتيـة ودحرها وإزالتها بالكامل. ولعل أفراد هـذه المرتبـة هم الذين ذكرت الأحاديث الشـريفة بأنّ عددهم (۳۱۳) كعدة أهل بدر وذكرت لهم صـفات عاليـة من الإيمـان ومعرفـة الله حق معرفته، ومن شـدة التعبـد لله والإخلاـص له فهم «رهبان الليل»، ومن الشـجاعة والكفاءة الجهاديـة العالية فهم «اُسد النهار» الذين لا يخافون فى الله لومة لائم، ومن الكفاءة العلمية العالية والإحاطة بعلوم الشـريعة فهم «الفقهاء والقضاة»، ومن الكفاءة الإداريـة الفائقـة فهم «الولاة العدول» [۲۸۷] وغير ذلك من الصـفات السامية الأخرى التى يُسـتفاد منها أنهم يمثلون جهاز الإمام القيادى والإدارى عند ظهوره قبل إقامة دولته العالمية العادلة وبعدها. ٢ ـ منها توفر القواعد الإسلامية العريضة المستعدة للتفاعل الإيجابى مع أهـداف الثورة المهدويـة الكبرى وإن تباينت درجاتها فى تقديم النصـرة العملية [۲۸۸] . والذى يوجِد هـذه الحالـة هو اتضاح حقيقة وأحقية منهج أهل البيت النبوى الذى يمثله المهدى الموعود ـ عجل الله فرجه ـ واتضاح زيف [صـفحه ۲۰۵] الشـبهات المثارة على مـدى التأريخ الإسـلامى ضد هذا المنهج، واتضاح أنه هو المنهج الذى يمثل الإسـلام المحمدى الأصـيل. وقد أشارت الأحاديث الشـريفة الى ذلك ضمن حديثها عن الحركة الموطئة للثورة المهدوية ودورها فى عرض الصورة النقية لمذهب أهـل البيت وعلومه الإسـلامية النقيـة على الصـعيد الإسـلامى والعـالمى، وبالتالى عرض الصورة الأصـيلة للإسـلام [۲۸۹] . ودور هـذه الحركـة التمهيديـة التى نصّت الأحـاديث الشـريفة على انطلاقها قبيل الظهور المهـدوى فى عرض الصورة النقيـة للإسـلام يوجِـد حالة التطلع للإسـلام كبديل حضارى لإنقاذ البشرية والإقبال عليه خارج دائرة العالم الإسلامى ـ كما هو المشهود حالياً فى بوادره على الأقل ـ الأمر الـذى يفتح أبواب التفاعل الإيجابى مع الثورة المهدوية الكبرى بين الشـعوب غير الإسـلامية أيضاً خاصةً وأنها جربت المدارس والتيارات الفكرية والسياسـية الاُخرى وعايشت عملياً فشـلها فى تحقيق السعادة المنشودة للبشرية بل وجلبها للبشريّة الكثير من الأزمات المادية والمعنوية التى تعتصـرها حالياً، الأمر الذى جعلها تتطلع الى بديل منقذ خارج المدارس والتيارات التى عرفتها، والى هذه الحالة أشارت الأحاديث الشـريفة التى تحـدثت عن أنّ الدولة المهدوية هى آخر الدول كما لاحظنا فى الأحاديث الشـريفة التى أوردناها فى الفصـل الخاص بعلل الغيبـة وأسـبابها. ٣ ـ منهـا أيضـاً تـوفر وسـائل الاتصـال المتطورة الـتى تتيـح للجميع التعرف [صـفحه ۲۰۶] على الحقائق، وبالتالى السـماح بوصول الحق الى الجميع واتضاح بطلان وزيف المـدارس الاُخرى، وأحقيـة الرسالـة الإسـلامية التى يحملها المهدى(عليه السـلام) وبالتالى تبنّى أشخاص للتيار الإسلامى وأهدافه التى يبشر بها المهدى الموعود بعد أن كانوا ينتمون تأريخياً الى المدارس الاُخرى، أى الانتقال عملياً الى صـفوف أنصاره(عليه السـلام)، كما تشـير الى ذلك الأحاديث الشـريفة المعللة للغيبة بإخراج «ودائع الله» المؤمنين من أصلاب الكافرين. [صفحه ۲۰۷]

سيرة الإمام المهدى عند الظهور

اشاره

وردت مجموعة من الأحاديث الشريفة فى ذكر عصر الظهور وما يجرى فيه، وسيرة الإمام المهدى ـ عجل الله فرجه ـ عند ظهوره وما يحققه الله تبارك وتعالى على يديه يومذاك. وهذه الأحاديث مروية فى الكتب المعتمدة عند مختلف الفرق الإسلامية، وفيها الأحاديث ذات الأسانيد الصحيحة، وحيث إن هذا الكتاب لا يتسع لإيرادها وتحليلها ودراستها وتمحيصها، لذلك نكتفى بتلخيص أبرز مدلولاتها فى عناوين موجزة دون ذكر نصوصها فى أغلب الموارد محيلين القارئ الكريم الى مراجعة مصادرها إذا أراد التفصيل، مقدمين لذلك بذكر الآيات الكريمة المتحدثة عن خصوصيات عصر الظهور وما سيحققه الله تبارك وتعالى على يدى وليه المهدى(عليه السلام) المنتظر عجّل الله فرجه. إنّ ما نستفيده من هذه النصوص التى تكلّمت عن عصر الظهور يعبّر عن خصائص الدولة المهدوية ـ كما يرسمه القرآن الكريم ـ وهى الدولة التى تمثّل المصداق الجليّ لأحد أهمّ الأهداف الإلهية من بعثة جميع الأنبياء(عليهم السلام). [صفحه ۲۰۸]

خصائص الدولة المهدوية فى القرآن الكريم

اتمام النورى الالهى و إظهار الإسلام

وهذا ما صرّح به القرآن المجيد فى ثلاث من سوره المباركة. أ ـ قال تعالى: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [۲۹۰] . ب ـ وقال تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [۲۹۱] . ج ـ وقال عز وجل: (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) [۲۹۲] . وقد صرّح المفسرون من مختلف المذاهب الإسلامية بأنّ هذا الوعد الحتمى الوقوع إنما يتحقق فى عصر المهدى الموعود حيث يظهر الإسلام على جميع الأديان فيعم المشارق والمغارب. [۲۹۳] وتُقام الدولة الإسلامية العالمية؛ لأن المقصود من الإظهار هو الغلبة والاستيلاء وليس مجرد قوّة الحجة؛ لأن غلبة الحجة أمر حاصل ابتداء ولا يبشر الله عز وجل إلّا بأمر مستقبل غير حاصل كما استدل على ذلك الفخر الرازى فى تفسيره [۲۹۴] . [صفحه ۲۰۹]

استخلاف صالحى المؤمنين

أ ـ قال تعالى: (ولقد كتبنا فى الزّبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون) [۲۹۵] . ب ـ وقال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّنّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يُشركون بى شيئاً ومَن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) [۲۹۶] . ج ـ وقال تعالى: (... الذين إن مكّنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) [۲۹۷] . تخبر الآية الكريمة الأُولى بأن من القضاء المحتوم تكريم خط الإيمان والصلاح بجزاء دنيوى ـ فضلًا عن الجزاء الأُخروى ـ يتمثل فى وراثة الأرض وحكمها حيث العاقبة للمتقين فى الدنيا والآخرة [۲۹۸] ، وتنص الآية الثانية على أن الذين يستخلفهم الله فى الأرض هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المسلمين، الذين كانوا يُستضعفون ولم يسمح لهم بعبادة الله بأمن، وعن التمكين لهؤلاء دينهم الذى ارتضاه تبارك وتعالى لهم: والآيتان تتحدثان عن عصر ظهور المهدى كما هو واضح من التدبر فيهما [۲۹۹] . [صفحه ۲۱۰]

اقامة المجتمع التوحيدى الخالص

واستناداً لما تقدم يتضح أن من خصائص عصر المهدى الموعود ـ عجل الله فرجه ـ هو أن تكون مقاليد المجتمع البشرى برمته بيد الصالحين الذين كانوا يُستضعفون فى الأرض والذين يمثلون الإسلام المحمدى الأصيل، فإذا مكنهم الله فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر أى أقاموا المجتمع التوحيدى الخالص الذى يعبد الله وحده لا شريك له بأمن دونما خوف من كيد منافق أو كافر، ووفّروا بذلك جميع الظروف اللازمة لتحقق العبادة الحقّة لله والتكامل الانسانى فى ظلها، لذا فلا حجة بالمرّة لمن يكفر بعد ذلك (فأولئك هم الفاسقون) حقاً لانهم أعرضوا عن الصراط المستقيم مع توفر جميع الأوضاع المناسبة لسلوكه وهذه خصوصية أخرى من خصوصيات عصر المهدى المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ وتفسير ماروى من شدة تعامله مع المنحرفين.

تحقق الغاية من خلق النوع الانسانى

قال عزّ وجلّ: (وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون) [۳۰۰] . تدل الآية الكريمة على حصر الغاية من خلق الإنسان بالعبادة الحقّة لله جل وعلا [۳۰۱] ، وهذا ما يتحقق فى ظل دولة المهدى الموعود على الصعيدين الفردى والاجتماعى بأكمل صوره كما أشرنا لذلك فى الفقرة السابقة. وقد عقد [صفحه ۲۱۱] السيد الشهيد محمد الصدر(رحمه الله) بحثاً عقائدياً تفسيرياً استند فيه لهذه الآية الكريمة لإثبات حتمية ظهور دولة المهدى الموعود ـ عجل الله فرجه. [۳۰۲] لأن تحقق هذه الغاية أمر حتمى إذ إنّ من المحال تخلف مخلوق عن الغاية من خلقه، والآية تتحدث عن النوع الانسانى وتحقق العبادة الحقة فيه على الصعيدين الفردى والاجتماعى العام فى المجتمع الانسانى وهذا مالم يتحقق فى تأريخ الانسان على الأرض مُنذ نزوله إليها لذا لابد من القول بحتمية تحققه فى المستقبل فى دولة إلهية تقيم المجتمع التوحيدى الصالح العابد لله وحده لا شريك له، وهذه الدولة هى الدولة المهدوية كما أشارت لذلك الآيات الكريمة المتقدمة وصرحت به الكثير من الأحاديث الشريفة المروية من طرق الفريقين.

انهاء الردة عن الدين الحق

قال عز من قائل: (يا أيها الذين آمنوا مَن يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) [۳۰۳] . لقد عقد العلامة الطباطبائى(رحمه الله) بحثاً تفسيرياً قرآنياً وروائياً للاستدلال على أن هذه الآية الكريمة تتحدث عن عصر الظهور المهدوى وأن الردة المقصودة فيها هى عن الدين الحق مع البقاء على الظاهر الإسلامى وذلك بموالاة اليهود والنصارى وإتباعهم فى طريقة الحياة فى مختلف شؤونها كما هو حاصل اليوم. وهذه الردّة هى التى تنهى عنها الآيات السابقة لهذه الآية [صفحه ۲۱۲] الكريمة التى تتحدث عن الانحراف الذى يصيب العالم الإسلامى قبل الفتح المهدوى [۳۰۴] . وبناءً على ذلك فإنّ من خصائص عصر الدولة المهدوية إنهاء الردة عن الدين الحق والتبعية لليهود والنصارى فى طريقة الحياة، ثم إعادة المسلمين الى الطريقة الإسلامية فى الحياة بمختلف شؤونها، وهذا ينسجم تماماً مع الخصوصيات الأخرى للعصر المهدوى الذى تحدثت عنه الآيات السابقة.

تاريخ ظهور الإمام المهدى

ذكرت الأحاديث الشريفة أنه(عليه السلام) يظهر فى وتر من السنين الهجرية [۳۰۵] أى من الأعوام الفردية، ويكون ظهوره فى يوم الجمعة [۳۰۶] ، فيما ذكرت أحاديث أخرى أن خروجه يكون يوم السبت العاشر من محرم الحرام [۳۰۷] ، ولعل الجمع بين التأريخيين هو أن ظهوره يكون يوم الجمعة وفيها يخطب خطبته فى المسجد الحرام فيما يكون خروجه منها باتجاه الكوفة يوم السبت.

مكان ظهوره و انطلاقة ثورته

ذكرت مجموعة من الأحاديث الشريفة أن بداية ظهوره يكون في [صفحه ۲۱۳] المدينة المنورة وإعلان حركته يكون في مكة المكرمة [۳۰۸] وفي المسجد الحرام حيث يُعلن حركته ويدعو إليها في خطبة موجزة ذات دلالات مهمة وهي مروية عن الإمام الباقر(عليه السلام) ضمن حديث طويل عن ظهور سليله المهدى، يقول(عليه السلام)في جانب من الحديث: ثم ينتهى الى المقام فيصلّى عنده ركعتين ثم ينشد الله والناس حقه. فيقول: يا أيها الناس إنّا نستنصر الله على من ظلمنا وسلب حقنا، من يحاجنا في الله فانا أولى بالله، ومن يحاجنا في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجنا في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجنا في إبراهيم فإنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجنا بمحمد فإنا أولى الناس بمحمّد (صلى الله عليه وآله)، ومن حاجنا في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، ومن حاجنا في كتاب الله فنحن أولى الناس بكتاب الله، أنا أشهد]نشهد[وكل مسلم اليوم إنّا قد ظُلمنا وطُردنا وبُغى علينا واخرجنا من ديارنا واموالنا وأهالينا وقُهرنا، الا أنا نستنصر الله اليوم كل مسلم» [۳۰۹] . وورد في رواية ينقلها نعيم بن حماد وهو من مشائخ البخارى بسنده عن الإمام الباقر(عليه السلام) أيضاً، خطبة ثانية في المكان نفسه ولكن بعد أداء فريضة العشاء، فيروى عن الإمام الباقر(عليه السلام) قوله: «... فإذا صلّى العشاء نادى بأعلى صوته يقول: أُذكركم الله أيّها الناس، ومقامكم بين يدى ربّكم، فقد اتخذ الحجة وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تُحيوا ما أحيى القرآن، وتُميتوا ما أمات، وتكونوا أعواناً على الهدى، وَوَزراً على التقوى، فإنّ الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وآذنت بالوداع، فإني أدعوكم الى الله، والى رسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء سنته...» [۳۱۰] . [صفحه ۲۱۴]

وقفة عند خطبتى إعلان الثورة

ويُلاحظ في الخطبة الأولى تأكيده(عليه السلام) على مخاطبة أتباع جميع الديانات السماوية انطلاقاً من عالمية ثورته الدينية فهو يمثل خط الانبياء(عليهم السلام) جميعاً ويدعو الى الأهداف السامية التى نادوا بها جميعاً. هذا أولاً وثانياً يؤكد(عليه السلام) على تمثيله لمدرسة الثقلين فهو ممثل أهل البيت(عليهم السلام) ثانى الثقلين الذى لا يفترق عن الأول ـ أعنى القرآن المجيد ـ لذلك فهم أولى الناس بكتاب الله جل ذكره وأعرفهم بما فيه وبسبل هداية البشرية على نور هداه السماوى. ثم يشير ثالثاً الى مظلومية أهل البيت(عليهم السلام) وتعريضهم لأشكال الظلم والبغى بما أدى الى غيبة خاتمهم ـ عجل الله فرجه ـ وسبب تعريضهم لكل ذلك هو نزعات الطواغيت وعباد السلطة للاستئثار واتخاذ مال الناس دولاً وعباد الله خولاً ومنع أهل البيت(عليهم السلام) من إقرار العدالة الإلهية وقيادة الناس على المحجة البيضاء. ثم يستنصر كل مسلم لدفع هذه المظلومية التى يكون في دفعها الخير للبشرية جمعاء لأنّ تسليم مقاليد الأمور الى ممثل نهج الأنبياء وعدل القرآن الكريم يعنى تحقيق أهداف العدالة الإلهية، ولكن ـ عجل الله فرجه ـ يستنصر الله جل قدرته أولاً وفي ذلك إشارة الى حتمية انتصار ثورته الإصلاحية فهو المضطر الذى تُستجاب دعوته وولى دم المقتول ظلماً فهو منصور إلهياً، وبهذه الإشارة يحفز(عليه السلام) الناس لنصرته ليفوزوا بسعادة الدارين ويتقوا عذاب الدنيا وخزيها على يديه وعذاب الآخرة أكبر. [صفحه ۲۱۵]

اعلان أهداف الثورة

أما في الخطبة الثانية التى يلقيها ـ عجل الله فرجه ـ بعد صلاة العشاء، فهو يحدد الأهداف العامة لثورته، وهى الأهداف التى يستنصر الناس لأجلها، والتى تمثل الوجه الآخر للثأر لمظلومية أهل البيت ومدرستهم ومنهجهم(عليهم السلام)، فهو يحدد الهدف الأول والعام المتمثل باقامة التوحيد الخالص الذى بُعث لأجله الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ واُنزلت معهم الكتب السماوية، وهو الهدف الذى

يتجسد من خلال طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله(صلى الله عليه وآله) ومن خلال إحياء ما أحيا القرآن، وإحياء سنة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وإماتة ما أماته القرآن وهو الباطل والبدع والشرك وسائر العبوديات الزائفة. فدعوته هى دعوة الى الله عز وجل وتوحيده والى رسول الله(صلى الله عليه وآله)والعمل بسنته الموصلة الى الله. وعليه يتضح أن استنصاره للثأر لمظلومية أهل بيت النبوة تعنى الدعوة الى المعونة على الهدف والمؤازرة على التقوى.

الاستجابة لاستنصاره و مبايعته

وأول مَن يبادر لبيعته(عليه السلام) فى المكان الذى يستنصر فيه المسلمين أى مابين الركن والمقام هم صفوة أنصاره: «فيُبايع ما بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف، عدّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر والأبدال من أهل الشام والأخيار من أهل العراق» [۳۱۱] . ويُستفاد من مجموعة من الأحاديث المروية فى مصادر أهل السنة أن [صفحه ۲۱۶] ظهوره ومبايعته يكون بعد اختلاف بين قبائل الحجاز وأنه يرفض فى البداية قبول البيعة ويخاطب المبايعين بالقول: «ويحكم! كم عهد قد نقضتموه؟ وكم دم قد سفكتموه؟» [۳۱۲] ، ويبدو أن هذا الرفض يمثل محاولة لإشعار المبايعين بمسؤولية وتبعات البيعة والمهمة التى هم مقبلون عليها نظير ما فعله جدّه الإمام على(عليهما السلام) عند إقبال الناس على بيعته بعد مقتل عثمان. ويُستفاد من بعض الأحاديث أن حركة الموطئة للظهور المهدوى تبعث بالبيعة للمهدى(عليه السلام). وهو فى مكة [۳۱۳] ثم تجددها بعد ذلك. وتصرح بعض الأحاديث الشريفة أن أصحابه الخاصين أى الثلاثمائة والثلاثة عشر يجمعون فى مكة وبصورة إعجازية أو سريعة بوسائل النقل المتطورة ليدركوا ظهور الإمام ويبايعوه [۳۱۴] .

خروجه الى الكوفة و تصفية الجبهة الداخلية

يخرج(عليه السلام) بجيشه متوجهاً للكوفة التى يتخذها منطلقاً لتحركه العسكرى [۳۱۵] بعد إنهاء فتنة السفيانى والخسف الذى يقع بجيشه فى البيداء. [۳۱۶] . [صفحه ۲۱۷] وينشر راية رسول الله(صلى الله عليه وآله) المذخورة عنده فى نجف الكوفة. [۳۱۷] وتنصره الملائكة التى نصرت جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) فى معركة بدر. [۳۱۸] وتذكر الأحاديث الشريفة أنه يواجه وأصحابه وجيشه صعوبات شديدة وتعباً فى بداية تحركه العسكرى [۳۱۹] وحروبه التى تستمر ثمانية أشهر لتصفية الجبهة الداخلية فيما تستمر ملاحمه عشرين عاماً [۳۲۰] . ويُلاحظ هنا أن المسير الذى يختاره(عليه السلام) هو المسير الذى اختاره جده الإمام الحسين (عليه السلام) فى نهضته الإستشهادية من مكة الى الكوفة، التى مُنع جده سيد الشهداء عن الوصول اليها فيصل سليله المهدى(عليه السلام) إليها ويحقق الأهداف الإصلاحية فى الاُمة المحمدية التى سعى لها جدّه سيد الشهداء (عليه السلام). وعندما يدخل الكوفة يجد فيها ثلاث رايات تضطرب [۳۲۱] فيوحدها وينهى اضطرابها بنشره للراية المحمدية المذخورة وينهى جيوب النفاق المتبقية فيها فى معركته مع الفرقة التى تصفها الأحاديث الشريفة بالبترية [۳۲۲] .

دخوله بيت المقدس و نزول عيسى

تنص الكثير من الروايات على دخوله(عليه السلام) بيت المقدس بجيشه ضمن إطار حادثة مهمة للغاية، هى نزول نبى الله عيسى بن مريم المسيح(عليه السلام) الذى بشرت بعودته نصوص الانجيل إضافة الى الأحاديث الشريفة المرويّة فى [صفحه ۲۱۸] الكتب الروائية الموثّقة عند أهل السنة والشيعة. [۳۲۳] وتذكر الأحاديث الشريفة قصة صلاة عيسى صلاة الفجر خلف الإمام المهدى(عليه السلام) بعد أن يرفض عرض الإمام بأن يتقدم عيسى لإمامة الصلاة معللاً الرفض بأن هذه الصلاة اُقيمت لأجل الإمام المهدى فيقدّمه ويصلّى خلفه إشارة الى خاتمية الرسالة المحمدية، وفى ذلك نصرة مهمة للثورة المهدوية حيث توجّهها للعالم الغربى الذى يدين معظمه بالمسيحية. ويظهر أن دخول المهدى ـ عجل الله فرجه ـ يكون بعد تحريرها من الإفساد اليهودى وإنهاء حاكميتهم عليها. لذا قد

يكون من الممكن القول بأن دخول الإمام بيت المقـدس يكون بعـد تصـفيته الجبهـة الداخليـة ومقدمـة لمواجهـة الأعداء خارج العالم الإسـلامى أو الروم حسب تعبير الروايـات وفتـح كـل الأـرض. من هنا نفهم سـر توقيت نزول عيسـى المسيح مع دخول المهـدى(عليه السلام) بيت المقدس.

قتل الدجال و إنهاء حاكمية الحضارات المادية

إنّ معظم الأحاديث الشـريفة التى تتحدث عن نزول عيسـى(عليه السـلام) تذكر قيامه بكسر الصليب ورجوع النصارى عن تأليهه [۳۲۴] ثم قتـل الـدجال ـ الـذى هـو رمز الحضـارات الماديـة ـ على يـديه أو على يـدى الامـام المهـدى بمعونته(عليهمـا السـلام). ومع رجوع النصارى عن تأليه عيسى(عليه السلام) ومشاهدتهم لمناصرة نبيهم لخاتم أئمة الإسلام المعصومين تتفتح أبواب دخولهم الإسلام ـ وهم النسـبة الأكبر من سكان الأرض ـ بيسر، ونتيجة لذلك تتيسر مهمة قتل الدجال [صفحه ۲۱۹] والقضاء على الحضارات الطاغوتية وفتح الأرض وإقامـة الدولـة الإسـلامية العالمية العادلة وبدء عملية البناء الإصـلاحى وتحقيق أهداف الأنبياء(عليهم السـلام). هذه ـ على نحو الإيجـاز ـ المحطـات الرئيسـة لتحرك الإمـام المهـدى ـ عجل الله فرجه ـ بعـد ظهوره، وكل منها يشـتمل على تفصـيلات كثيرة لا يسع المجال لذكرها. لذا ننتقل للحديث ـ وبالإيجاز نفسه ـ عن سيرته بعد ظهوره فى أبرز مجالاتها ثم عن خصائص عهده.

سيرته سيرة جده رسول الله

تنص الأحـاديث الشـريفة أنه(عليه السـلام) يسـير بسـيرة جـده(صـلى الله عليه وآله) الـذى قـال: «بُعثت بين جاهليتين لاُخراهما شـر من أولاهما» [۳۲۵] ، وبيّن لاُمته الكثير من مظاهر الجاهلية الثانية الأشد شـراً، فالمهدى: «يصـنع كما صـنع رسول الله(صـلى الله عليه وآله)، يهـدم ما كان قبله كما هدم رسول الله(صـلى الله عليه وآله) ما كان قبله ويسـتأنف الإسـلام جديداً» [۳۲۶] وقد تحدث النبى(صـلى الله عليه وآله) عن غربـة الإسـلام بعـده ونقل عنه المسـلمون ذلك [۳۲۷] . فالمهـدى يهـدم الجاهليـة الثانية كما هدم جده(صـلى الله عليه وآله) الجاهلية الأولى، ويسـتأنف الإسـلام الذى عاد غريباً كما بدأ غريباً. ولكن ثمة فروقاً بين السـيرتين تفرضـهما بعض الخصوصيات الزمانية لكل منها. وهذه الخصوصـيات الزمانية هى التى تفسّـِر الفروق فى سـيرتيهما(عليهما السـلام) كما سـنلاحظ بعضها فى سياساته العسكرية والقضائية والإدارية والدينية وغيرها. ولهذا فلا يضر ذلك بحقيقة أن سيرتيهما ـ صلوات الله عليهما ـ واحدة. [صفحه ۲۲۰]

احياء السنة و آثار النبى

تقوم حركـة المهدى الإصـلاحية الكبرى على أساس إحياء السـنة المحمدية وإقامتها التى يكون بها قوام كل القيم الإسـلامية فهو كما قال رسول الله (صـلى الله عليه وآله): «رجل من عترتى يُقاتل على سـنتى كما قاتلت أنا على الوحى» [۳۲۸] وهو «يقفو أثرى لا يُخطئ» [۳۲۹] وهو «رجـل منّى اسـمه كاسـمى يحفظنى الله فيه ويعمل بسـنتى» [۳۳۰] ، فهو «يـبين آثـار النبى» [۳۳۱] ، ويدعو الناس الى سـنة رسول الله(صـلى الله عليه وآله). فهو مجددها كما أنه مجدد الإسلام ويظهر ماخفى واُخفى منها. وقد سمى «المهدى» لأنه يهدى الناس الى «أمر قد دُثر وضل عنه الجمهور» [۳۳۲] .

شدته مع نفسه و رأفته باُمته

إن سـيرة الإمام المهـدى(عليه السـلام) مع نفسه واُمته تجسد صورة الحاكم الإسـلامى المثالى الذى تكون السـلطة عنده وسـيلة لخدمة الناس وهـدايتهم لا مصـدراً للدخل الوفير والظلم والاستئثار بالأموال واسـتعباد الناس، فهو يحيى صورة الحـاكم الإسـلامى التى جسدها من قبـل ـ وبأسـمى صورهـا ـ أبواه، ومن قبـل رسول الله ووصـيه الإمـام على ـ صـلوات الله عليهمـا وآلهمـا ـ فهو مع نفسه: «مالباسه إلاّ

الغليظ وما طعامه إلّا الشعير الجشب» [۳۳۳] وهو الـذى «يكون من الله على حـذر، لا يضع حجراً على حجر، ولا يقرع أحـداً فى ولايته بسوط إلّا فى [صـفحه ۲۲۱] حد» [۳۳۴] ، أمـا مع اُمته فهو «الرؤوف الرحيم» بهم وهو الموصوف بأنه «المهـدى كأنما يلعق المساكين الزُّبد» [۳۳۵] ، وهو الصـدر الرحب الـذى تجـد فيه الأمـة ملاذها المنقـذ فهى: «تأوى إليه اُمته كما تأوى النحلة الى يعسوبها» [۳۳۶] أو «كما تأوى النحل الى بيوتها» [۳۳۷] .

سيرته القضائية

والمهـدى الموعود ـ عجل الله فرجه ـ هو الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً كما تواترت بذلك الأحاديث النبوية، وإنجاز هـذه المهمـة يحتاج الى سـيرة قضائيـة صارمة، لذلك فهو يجسد سـيرة جده الإمام على(عليه السـلام) الشديدة فى تتبع حقوق الناس المغصوبـة وأخذها من الغاصب حتى لو كانت مخبأة تحت ضـرس وحتى لو تزوج بها الحرائر، و: «يبلغ من ردّ المهدى المظالم، حتى لو كـان تحت ضـرس إنسان شـىء انتزعه حتى يرده». [۳۳۸] فيبلغ من عـدله أن «تتمنى الأحيـاء الأموات» [۳۳۹] أى يتمنوا عودة الأموات لينعموا ببركات عـدله. وتـذكر مجموعـة من الأحاديث الشـريفة أنه(عليه السـلام) يحكم بحكم سـليمان وداود فى قضائه؛ أى بالعلم «اللدنى» دون الاحتجاج بالبينة [۳۴۰] ، ولعل ذلك انطلاقاً من مهمته فى اقرار العـدل الحقيقى دون الظاهرى الذى قد تقرّه البينة [صفحه ۲۲۲] الظاهرية وإن كان خلاف العدل الحقيقى وهذه حقيقة معروفة وقد شـهدها التأريخ الإسـلامى والانسانى ويشهد التأريخ المعاصـر الكثير من مصاديقهـا حيث يُؤدى الالتزام بالبينات الظاهريـة الى غياب العـدل الحقيقى وإن أقرت العـدل الظاهرى. وعلى أى حال. فهذه من خصوصيات عهده(عليه السلام) وهى تنسجم مع طبيعة الأوضاع العامة لهذا العهد.

سيرته تجاه الأديان و المذاهب

يزيل الإمام المهـدى الموعود ـ عجل الله فرجه ـ مظاهر الشـرك كافة ويروج التوحيد الخالص: «ولا يبقى فى الأرض بقعة عبد فيها غير الله إلّا عُبـد الله فيها ويكون الـدين كله لله ولو كره المشـركون» [۳۴۱] ، ويقوم(عليه السـلام) بعرض الإيمـان على الجميع وينهى الحالة المذهبيـة فيوحـد المذاهب الإسـلامية ويصـلح الله به أمر الأمة ويرفع اختلافها ويؤلّف قلوبها [۳۴۲] على أساس السـنة النبوية النقية وما اُخفى أو ضيّع من قيم الإسـلام الأصيلة. فهو كما قال جدّه (صلى الله عليه وآله): «سنته سنتى يقيم الناس على ملتى وشريعتى» [۳۴۳] . ويُستفاد من بعض الروايات أنه(عليه السـلام) يقوم بإخراج التوارة والإنجيل غير المحرّفين من غار بأنطاكية ويحاجج اليهود والنصارى بهما ويسـتخرج حُلى بيت المقدس ومائدة سليمان ويردها الى بيت المقدس [۳۴۴] ، ويدعمه فى موقفه هذا عيسى(عليه السلام) الذى «يحتج به على نصارى الروم والصـين» [۳۴۵] حيث [صفحه ۲۲۳] يرفض وفود اليهود والنصارى بعـد نزوله عنـدما يأتونه مدعين أنهم أصـحابه فيردهم ويصـرّح بـأنّ أصـحابه هم المسـلمون فينضم الى مجمع المهـدى(عليه السـلام) [۳۴۶] الأـمر الـذى يـؤدى الى رجوع النصـارى عن تـأليهه كما يقوم بأداء فريضـة الحـجّ الى البيت الحرام [۳۴۷] ويُـدفن الى جنب رسـول الله(صـلى الله عليه وآله) [۳۴۸] . وتـذكر بعض الروايات أن المهدى(عليه السـلام) يخرج التوراة الأصـلية من جبال بالشام ويحاجج اليهود بها فيسـلم منهم جماعة كثيرة [۳۴۹] ثم يسـتخرج تـابوت السـكينة من بحيرة طبريـة ويُوضع بين يـديه فى بيت المقـدس فيسـلم اليهود ولا يبقى على العناد إلّا القليل منهم [۳۵۰] .

محاربة البدع و نفى تحريف الغالين و المبطلين

وينفى الإمام المهـدى ـ عجل الله فرجه ـ عن الـدين التحريفات بصورة كاملـة ويزيل كل البدع التى ورثها المسـلمون من قرون الابتعاد عن الثقلين والسـنة النبويـة النقيـة وتعطيلها وهذا هو هدف ظهوره: «ليمحو الله به البدع كلها ويميتُ به الفتن كلها، يفتح الله به باب كلّ

حقّ، ويُغلق به كـل باب باطل» [۳۵۱] . وهذا أول مايبدأ به(عليه السـلام)، فتذكر الأحاديث الشـريفة من مصاديقه هدم المقاصـير التى ابتـدعها بنو أميـة فى المساجد لعزل الإمام عن المأمومين [۳۵۲] ، [صفحه ۲۲۴] ويعيد مقام ابراهيم(عليه السـلام) الى موضعه الأصلى [۳۵۳] ويزيل عن المساجد كل ما أُبتدع فيها ويعيدها الى السنة الإسلامية الأولى والطريقة المحمدية [۳۵۴] .

سيرته الادارية

ويختـار المهـدى الموعود ـ عجل الله فرجه ـ لحكم الأرض ولاةً هم خيرة أصـحابه الـذين يتحلّون بأعلى كفاءات الوالى الإسـلامى من العلم والفقه والشجاعة والنزاهة والإخلاص [۳۵۵] ، وهو مع ذلك متابع لأمورهم وطريقة قيامهم بمهامهم ويحاسبهم بشدة فإن: «علامة المهـدى أن يكون شديـداً على العمـال جواداً بالمـال رحيماً بالمساكين» [۳۵۶] ، وفى عهـده: «يُزاد المحسـن فى إحسـانه ويُتـاب على المسىء» [۳۵۷] . وهو(عليه السـلام) شديـد مع المتاجرين بالـدين والمقدسات الإسـلامية الساعين لإضـلال الناس، يردعهم عن ذلك، وممّا يقوم به فى بـدايات ظهوره هو قطع أيدى سدنة الكعبة بسـبب ذلك ويفضـحهم أمام الناس لكى لا ينخدعوا بهم؛ إذ هم «سـراق الله» [۳۵۸] .

سيرته الجهادية

ويقوم الإمام المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ بالسـيف، فظهوره يكون بعـد إتمام الحجـة البالغـة واتضاح الحقائق بالكامل وفتـح أبواب الحق وإغلاق الباطل [صفحه ۲۲۵] ووقوع المعجزات والكرامات المبرهنـة على تمتعه بالتأييد الإلهى ونصـرة الملائكة البدريين له وامتلاكه قميص يوسف وعصا موسـى وحجره وخاتم سـليمان ودرع رسول الله(صـلى الله عليه وآله) وسـيفه ورايته وسائر مواريث الأنبياء(عليهم السلام) وإظهاره لها [۳۵۹] وإتضاح تمثيله الصادق لمنهجهم وسـعيه لتحقيق أهدافهم الإلهية وإقرار العدالة السـماوية. ومع اتضاح كل ذلـك لا ـ يبقى على الباطل إلّا المنحرفون المفسـدون الـذين لا يُرجى منهم إلّا الفساد والأذى والظلم الـذى يجب أن تُطهر منه الـدولة المهدوية، لذلك نلاحظ فى سـيرة الإمام الجهادية الصرامة والحزم والحدية فى التعامل مع الظالمين والمنحرفين فلا يبقى على الأرض منهم ديّار ولا يسمح لهم بالنشاط الإفسادى. على أن الأحاديث الشريفة تصرّح بأنّ المهدى المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ يسير بسيرة أبويه رسول الله ووصـيه الإمـام على ـ صـلوات الله عليهمـا وآلهما ـ فى مجاهـدة المنحرفين والمبطلين فلا يبـدأ القتال إلّا بعـد عرض الإيمان والدين الحق عليهم [۳۶۰] ومحاججتهم بما ألزموا به أنفسـهم كما رأينا فى قضية إخراجه التوراة والإنجيل وهذه قضية أخرى مهمة فى سيرته الجهادية(عليه السـلام). ويُسـتفاد من الروايات الشريفة أن من سيرته الجهادية تصفية الجبهة الداخلية وهى جبهة العالم الإسلامى من التيـارات المحاربـة المنحرفـة أولاً ـ قبـل البـدء بمجاهـدة القوى الأجنبيـة، فينهى حركـة السـفيانى ونفوذ البتريـة والمتأولـة الجاهلين والنواصب المضلين المعاندين [۳۶۱] ويعقد لأجل ذلك هدنة مع الروم [صـفحه ۲۲۶] قبل ان يتوجه لمجاهـدة اليهود ثم الروم وقتل الدجال وفتح الأرض كلّها. بل ويعمد قبل البدء بتصـفية الجبهة الداخلية بتنظيم صـفوف جيشه ويعيّن القادة العسـكريين الأكفاء ويعقد لهم الألويـة ويـذهب بالعاهـات والضـعف عن أنصاره ويقوّى قلوبهم [۳۶۲] ويملأهـا إيماناً بالحق الـذى يجاهـدون من أجله ويبتليهم ويمحصهم [۳۶۳] ، لكى يتحرك لانجـاز مهمته الإصـلاحية الكبرى بجيش عقائـدى قوى ومنسـجم يتحلى بالكفـاءة القتاليـة المطلوبة والقوة المعنوية اللازمة.

سيرته المالية

يعيد المهدى الموعود ـ عجل الله فرجه ـ نظام «التسوية فى العطاء» [۳۶۴] الذى كان سائداً على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثم غيّر وبُدّل من بعـده وأُبتـدعت بـدله معايير جديـدة أحـدثت نظام التفاضل الطبقى بالتدريج بالرغم من التزام الوصـى الإمام على(عليه

السـلام) إبان خلافته بنظام التسوية فی العطاء وتابعه علی ذلک ابنه الحسن(عليه السلام) فی شهور خلافته القليلة لكنه قد غاب بالكامل بعد استشـهادهما، وبدأ بنو أمية بالاستئثار بأموال المسـلمين وتقييد العطاء من بيت المال بمصالحهم السياسـية وتحويله من عطاء شرعی الی رشاو مقيتـة يسـتجلبون بها الأنصار لهم علی الباطل أو يشترون به سـكوت البعض عن الحق. والمهدی المنتظر(عليه السـلام) يجعل بيت المال قسمة مشتركة بين المسلمين دونما تفاضل أو تمييز، فالجميع متساوون فی الانتفاع من النعم الإلهية والخدمات المستثمرة من الأموال العامـة، تطبيقاً لأحد أبعاد العدالة المحمدية المكلّف باقرارها. وتصـرح الأحاديث الشـريفة بأنه ينهی الحالة الإقطاعية [صـفحه ۲۲۷] حسب النص القائـل: «إذا قام قائمنا اضـمحلت القطائع فلا قطائع» [۳۶۵] ، والمقصود بها الأراضـی الزراعية أو غيرها من الثروات والمنافع التی يعطيها الحكام للمقرّبين منهم وقـد راجت هـذه الظاهرة بعد وفاة رسول الله(صـلی الله عليه وآله) وخاصة فی عهد الخليفة الثـالث وفی العصـر الأموی بشـكل خاص. وتتحـدث الكثير من الأحاديث عن كثرة عطائه(عليه السـلام) وتعتبرها علامـة مميزة له فهو: «يحثو المال حثواً» [۳۶۶] عندما يُعطی من سأله، وهذا وإن كان يشير الی كرمه وكثرة الخيرات والبركات فی عصره إلاّ أنها تفصح عن نقطة مهمة أخری فی سـيرته الاقتصادية(عليه السلام) وهی سيرة إغناء الناس بما يكفيهم ويغنيهم ويجعلهم فی رفاهيّة من العيش بحيث يتفرّغـوا الی الطاعـات والعبـادة والعمـل الإصـلاحی الفردی والاجتمـاعی. وعليـه يتضـح أن سـيرته فی المجـال المـالی ترتبـط بمهمته الإصـلاحية وإقامـة المجتمع التوحيـدی الخـالص فی تعبـده لله تبارک وتعالی فالمراد منها توفير متطلبات ذلک وإزالـة العقبات الصادة عنه.

الصورة العامة للدولة المهدوية فی النصوص الشرعية

ونصـل الآن الی خاتمـة هـذا الفصـل فنعرض فيهـا علی نحو الإجمـال أيضـاً الصورة الـتی ترسـمها النصوص الشـرعية لدولـة المهـدی الموعود، عجل الله فرجه. إنّ الدولة المهـدوية إنّما تأتی لتحسم عصـر المعاناة الذی عاشته البشرية طويلًا وتنهی الظلم والجور الذی ملأ الأرض نتيجة لحكم الطواغيت و حاكمية [صفحه ۲۲۸] الأهواء والشهوات والنزعات المادية وبظهور الإمام المهدی المنتظر علی مدی القرون. «يفرج الله عـن الأمـة فطـوبی لمن أدرک زمـانه» [۳۶۷] فـالله تبـارک وتعالی يحقق للأمـة المسـلمة؛ ولبنی الانسان عامـة؛ كل الطموحـات الفطريـة السـليمة، ويزيـل الشـرک ويقيم المجتمع الموحّـِد العابـد الآمر بالمعروف والناهی عن المنكر والمسارع للخيرات السائر فی منازل الكمال ومعارج النور. وتخرج الأرض بركاتها وكذلک السـماء، وما يحصل عليه الناس ليس هو الغنی المادی فحسب بل هو «الاسـتغناء» حيث «يملأ الله قلوب اُمـة محمـد(صـلی الله عليه وآله) غنیً ويسـعهم عدله» [۳۶۸] أی يحرّرهم من أسـر المتطلبات والحاجات المادية المعيشية المحدودة، فالمهدی المنتظر الذی يحرر المسلمين من ذل التبعية للضالّين والمنحرفين، كما صرّح به النص القائـل: «وبه يخرج ذل الرق من أعناقكم» [۳۶۹] ؛ يحرر البشـرية من ذل الحياة البهيمية والخضوع لأسـر الشـهوات ويفتح أمام الانسان جميع أبواب التكامـل والرقی المعنوی والتكامـل الروحی فيشـهد عصـره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً كما يشـير لـذلک الإمام الباقر(عليه السـلام) حيث يقول: «إذا قام قائمنا وضع الله يده علی رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم» [۳۷۰] ، ومما يساعد علی ذلک ـ إضافـةً الی العامل المهم والرئيسـی المتقـدم ـ عامل ثانوی هو التطور الهائل الـذی يشـهده عصـره خاصـةً فی مجال الاتصالات والذی نری بوادره اليوم طبق القوانين العلمية أيضاً كما يشـير الی ذلک الإمام الصادق(عليه السـلام) بقوله: «إن قائمنا إذا قام مدَّ الله عز وجل لشـيعتنا فی [صفحه ۲۲۹] أسـماعهم وأبصارهم حتی لا يكون بينهم وبين القائم بريـد؛ يكلّمهم فيسـمعون وينظرون إليه وهو فی مكانه» [۳۷۱] ، ولعـل ذلک يكون بوسائل غيبيـة تمكّنهم منها المراتب الروحيـة الساميـة التی يصـلون إليها وإن كان ذلک قـد أصبح ممكناً بدرجة محدودة اليوم أيضاً عبر وسائل الاتصال الحديثة المتطورة، ولكن من المؤكـد ـ استناداً للأحاديث الشريفة ـ أن الكثير من الحقائق والقضايا الغيبية تظهر فی عصر الدولة المهدوية ويحظی الكثير من المؤمنين بمراتب عالية من معرفة أسرار الغيب وعلم الكتاب وتجـاوز الأسـباب والقـوانين الطبيعيـة والكـثير من الظـواهر الـتی نعتبرهـا اليـوم من المعجزات غير المألوفـة [۳۷۲] . ومـع توفير الـدولة

المهدويـة لجميع عوامـل التكامـل المـادى والروحى يقـام المجتمع الموحّـد الـذى يعبـد الله تبـارك وتعالى بإخلاص فتسود العلاقات الإيمانيـة المحضـة وتحكمه قيم من قبيـل البراءة ممن «كـان بـالرهن أوثق منه بـأخيه المؤمن» ومثل أن «ربـح المؤمن على المؤمن ربا» [۳۷۳] فحتّى العمـل التجـارى يكون يومئـذ عبـادة خالصـة لله عز وجـل إذ يكون بهـدف خدمـة عبـاد الله فقـط. يقول الإمـام على(عليه السـلام) ضـمن حـديث فى وصف جامع لدولـة الإمام المهدى العالمية: «... يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره وينصـره بآياته ويظهره على أهل الأرض حتى يـدينوا طوعاً وكرهاً، ويملأ الأرض عدلا وقسـطاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها حتى لا يبقى كافرٌ إلاّ ـ آمن ولا ـ طالـح إلاّ صلح ويصـطلح فى ملكه السـباع وتخرج الأرض بركاتها وتنزل السـماء بركتها وتظهر له الكنوز، يملك مابين الخافقين أربعين [صـفحه ۲۳۰] عاماً، فطوبى لمن أدرك أيامه وسـمع كلامه» [۳۷۴] ، أجل فى ظل دولـة المهـدى المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ يتضـح للعالمين أن صـلاح البشـرية وخيرها وتكاملها المادّى والمعنوى إنما يتحقق فى ظل رسالـة السـماء وعلى يدى أولياء الله المعصومين ـ سـلام الله عليهم ـ وهذا ما يحققه الله تعالى على يد خاتمهم وخاتم الأئمة الاثنى عشر الأوصياء أى المهدى الذى وعد الله به الاُمم: «ولذلك يرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء» كما أخبر عن ذلك جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) [۳۷۵] . [صفحه ۲۳۱]

قبسات من تراث الإمام المهدى

من كلامه فى التوحيد و نبذ الغلو

«إن الله تعـالى هو الـذى خلق الأجسـام وقسّم الاـرزاق، لأنه ليس بجسم ولا حالّ فى جسم، ليس كمثله شـىء وهو السـميع العليم، وأما الأئمة(عليهم السلام) فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم» [۳۷۶] .

فى علة الخلق و بعث الأنبياء و تعيين الأوصياء

يا هذا يرحمُك الله، إنَّ الله تعالى لم يخلُقِ الخلقَ عبثاً، ولا أهملَهم سُدىً، بل خلقهُمْ بقُدرتِهِ وجَعَلَ لَهم أسـماعاً وأبصاراً وقُلُوباً وألباباً، ثمَّ بعثَ إليهمُ النّبيِّينَ(عليهم السـلام) مُبشّرينَ ومُنـذرينَ، يـأمُرُونُهم بطاعتِهِ وينهونَهم عن معصـيته، ويُعرِّفونَهُمْ ماجهلوهُ من أمرِ خالقهم ودينهـم، وأنزلَ عليهـم كتابـاً وبَعَثَ إليهم ملائكـةً، يـأتينَ بينهُم وبينَ مَنْ بعثُهم إليهم بالفضـلِ الّـذى جعَلَهُ لَهُم عليهم، ومـا آتـاهُم من الدَّلائلِ الظَّاهرةِ والبراهينِ الباهرةِ والآياتِ الغالبةِ، فمنهم مَنْ جعلَ النَّارَ عليهِ برداً وسلاماً، واتّخذهُ خليلاً، ومنهم مَنْ كلَّمهُ تكليماً، وجعل عصـاهُ ثُعباناً مُبيناً، ومنهُم من أحيى الموتى بإذنِ الله، وأبْرأ الأكمه والأبرص بإذن اللهِ، ومنهم مَنْ علّمهُ منطق الطَّيرِ واُوتى مِن كُلِّ شـىء ثُمّ بعثَ مُحمّداً صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ رحمةً للعالَمينَ، [صفحه ۲۳۲] وتمّمَ به نعمَتَهُ، وخَتَمَ به أنبياءَه، وأرسلَهُ إلى النَّاسِ كافَّةً، وأظهر مِن صدقِهِ ما أظهرَ، وبيَّنَ من آياته وعَلاماتِهِ مابيَّنَ، ثُمَّ قبضهُ صـلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ حميداً فقيداً سـعيداً، وجَعَلَ الأمرَ بعدهُ إلى أخيه وابن عمِّه ووصـيِّه ووارثه عليِّ بن أبى طالب(عليه السلام)، ثُمَّ إلى الأوصياء من وُلدِهِ واحداً واحداً، أحيى بهم دينه، وأتمَّ بهم نورهُ، وجعَلَ بينهم وبين إخوانهم وبنى عمِّهم والأدنَينَ فالأدنينَ من ذَوى أرحـامهم فُرقانـاً بيّنـاً يُعرفُ به الحُجَّةُ من المحجُوج، والإمـامُ من المـأمُوم، بـأنْ عصَمَهُم من الـذُّنُوبِ، وبرَّأهُمْ من العُيُوبِ، وطهَّرهُم من الدَّنسِ، ونزَّههُمْ من اللّبسِ، وجعلهُم خزَّان علمهِ، ومُسـتودَعَ حكمته، وموضـع سرَّه، وأيَّدهُم بالـدَّلائل، ولولا ذلك لكانَ النَّاسُ على سواء، ولادَّعى أمْر الله عزَّ وجلَّ كُلُّ أحد، ولما عُرفَ الحقُّ من الباطل، ولا العالمُ من الجاهلِ [۳۷۷] .

فى مقام الأئمة

«الّـذی یجبُ علیکَمْ ولکَمْ أن تقُولُـوا إنَّا قُـدوَةُ اللهِ وأئمَّةٌ، وخلَفـاءُ اللهِ فی أرضِهِ وأُمَنـاؤُهُ عَلَی خلقِه، وحُجَجُهُ فی بلادِهِ، نَعرفُ الحلالَ والحرامَ ونعرفُ تأویلَ الکتابِ وفَصلَ الخطابِ» [۳۷۸] .

فی انتظام نظام الإمامة و عدم خلو الأرض من الحجة

ومن رسالة له الی سفیریه العمری وابنه: «وَفَّقکُما الله لطاعتِهِ، وثبَّتکما علی دینهِ، وأسعدَکُما بمرضاته، انتهی إلینا ماذکرتُما أن المیثمی أخبرکُما عن الُمختارِ ومناظراته من لقی، واحتجاجه بأنَّه لا خلف غیرُ جعفر بن علیّ وتصدیقه إیّاه وفهمتُ جمیع ما کتبتما به ممّا قال أصحابُکما عنهُ، وأنا أعُوذُ بالله من العمی بعد الجلاء، ومَن الضَلالَةِ بعد الهُدی، ومن مُوبقات الأعمال، ومُردیات الفتن، فإنَّهُ عزَّ وجلَّ یقولُ: (أ لم ، أحسبَ الناسُ أن یترکُوا [صفحه ۲۳۳] أن یقُولوا آمنّا وهم لا یُفتنُونَ) [۳۷۹] کیف یتساقُطون فی الفتنة، ویتردّدُون فی الحیرة، ویأخُذُونَ یمیناً وشمالاً، فارقُوا دینهم، أم ارتابُوا، أم عاندوا الحقَّ، أم جهلُوا ما جاءت به الرّوایات الصّادقةُ والأخبارُ الصّحیحةُ، أو علمُوا ذلک فتناسوا، ما یعلمون أن الأرضَ لا تخلو من حُجّةٍ إمّا ظاهراً وإمّا مغُموراً.أولم یعلموا انتظام أئمتهم بعد نبیهم(صلی الله علیه وآله) واحداً بعد واحد إلی أنْ أفضی الأمر بأمرِ الله عزّ وجلَّ إلی الماضی یعنی الحسن بن علی(علیهما السلام)).فقام مقام آبائه(علیهم السلام) یهدی إلی الحق وإلی طریق مُستقیم، کانُوا نوراً ساطعاً، وشهاباً لامعاً، وقمراً زاهراً، ثُمَّ اختارَ اللهُ عزَّ وجلَّ له ما عندهُ فمضی علی منهاج آبائه(علیهم السلام) حَذْوَ النَّعل بالنَّعلِ علی عهد عهدهُ، ووصیّة أوصی بها إلی وصیٍّ سترهُ الله عزّ وجلّ بأمره إلی غایة، وأخفی مکانهُ بمشیئة للقضاء السّابقِ والقدرِ النّافذ، وفینا موضعُهُ، ولنا فضلُهُ، ولو قدْ أذنَ اللهُ عزَّ وجلَّ فیما قدْ منعهُ عنهُ وأزال عنهُ ما قد جری به من حُکمِهِ لأراهُم الحقَّ ظاهراً بأحسنِ حلیة، وأبین دلالة، وأوضح علامة، ولأبانَ عن نفسهِ وقامَ بحُجّتهِ، ولکنَّ أقدار الله عزَّ وجلَّ لا تُغالبُ وإرادتهُ لا تُردُّ وتوفیقهُ لا یُسبقُ، فلیدعُوا عنهمُ اتّباعَ الهوی، ولیُقیمُوا علی أصلهمُ الّذی کانُوا علیهِ، ولا یبحثُوا عما سُتر عنهُم فیأثَموا، ولا یکشفُوا سترَ الله عزَّ وجلَّ فیندموا، ولیعلموا أنَّ الحقَّ معنا وفینا، لا یقُولُ ذلکَ سوانَا إلاّ کذَّابٌ مُفتر، ولا یدَّعیه غیرُنا إلاّ ضالٌّ غویٌّ، فلیقتصرُوا منّا علی هذهِ الجُملةِ دُونَ التَّفسیرِ، ویقنعُوا من ذلکَ بالتَّعریضِ دُونَ التَّصریحِ إن شاءَ الله [۳۸۰] .

تقوی الله و النجاة من الفتن

یقول(علیه السلام) فی رسالته الثانیة للشیخ المفید وهی من الرسائل التی صدرت عنه فی غیبته الکبری: «... فلتکُنْ حرسَکَ اللهُ بعینهِ الّتی لا تنامُ أن تُقابل لذلکَ فتنةً تسبلُ نُفُوسَ قوم حرثتْ باطلاً لاسترهاب المُبطلینَ ویبتهجُ لدمارها المُؤمنُونَ، ویحزنُ [صفحه ۲۳۴] لذلکَ الُمجرمُونَ، وآیةُ حرکَتِنا من هذهِ اللَّوثَة حادِثَةٌ بالحرَمِ المُعظَّم من رَجس مُنافق مُذمّم، مُستحلٍّ للدَّمِ الُمحرَّم، یعمدُ بکیدهِ أهل الإیمان ولا یبلُغُ بذلک غرضهُ من الظُّلم لهم والعُدوانِ، لأننا مِنْ وراءِ حفظِهِمْ بالدُّعاءِ الَّذی لا یُحجبُ عن مَلِکِ الأرضِ والسَّماء، فلتطمئِنَّ بذلِکَ مِنْ أولیائنا القُلُوبُ، ولْیَثِّقُوا بالکفایَةِ منهُ، وإنْ راعتهُمْ بهمُ الخُطُوبُ، والعاقبةُ بجمیلِ صُنعِ اللهِ سُبحانَهُ تکُون حمیدةً لهُمْ ما اجتنبُوا المنْهیَّ عنهُ مِنَ الذُّنُوبِ. ونحنُ نعهدُ إلیک أیُّها الولیُّ المخلصُ المجاهدُ فینا الظَّالمین أیَّدَکَ الله بنصرهِ الّذی أیَّدَ به السَّلَفَ من أولیائِنا الصَّالحینَ، أ نَّهُ مَنِ اتَّقَی ربَّهُ من إخوانِکَ فی الدِّین وأخرجَ ممّا علَیهِ إلی مُستحقِّیهِ، کانَ آمناً مِنَ الفتنةِ المُبطلَةِ، ومِحَنِها المُظلمةِ الْمُضِلَّةِ ومَنْ بَخلَ مِنهُم بما أعارهُ اللهُ منْ نعمتهِ علَی مَنْ أمرَهُ بصلَتِهِ، فإنَّه یکُونُ خاسراً بذلِکَ لأُولاَهُ وآخرَتِهِ، ولو أنَّ أشیاعَنا وَفَّقَهُمُ الله لِطاعَتِهِ علَی اجتِماع مِنَ القُلُوبِ فِی الوَفاءِ بِالعهدِ علَیهِمْ لَمَا تأَخَّرَ عنْهُمُ الُیمْنُ بلقائنا...» [۳۸۱] .

رعایته للمسلمین

«... فإنا نحیط علماً بأنبائکم ولا یعزب عنا شیء من أخبارکم ومَعْرفَتِنا بالذُّلِّ الَّذی أصابَکُمْ مُذْ جَنَحَ کَثیرٌ منکُمْ إلی ما کانَ السَّلَفُ الصَّالحُ عنهُ شاسِعاً، ونَبذُوا العهدَ المأخُوذَ وراءَ ظُهُورِهِم کأنَّهُمْ لا یَعلمُونَ. إنَّا غیرُ مُهمِلینَ لمُراعاتکُمْ، ولا ناسینَ لِذِکرکُمْ، ولَولا ذلک

لَنَزَلَ بِكُمُ اللَّأْوَاءُ واصطَلَمَكُمُ الأعداءُ فاتَّقُوا اللهَ جَلَّ جَلالُهُ وظاهِرُونا عَلَى انتياشِكُمْ مِنْ فِتْنَةٍ قد أنافَتْ عَلَيْكُمْ يَهلِكُ فِيها مَنْ حُمَّ أَجَلُهُ ويُحْمَى عَنْها مَنْ أدرَكَ أمَلَهُ، وهِيَ أَمارَةٌ لأُزُوفِ حَرَكَتِنا ومُباثَّتِكُمْ بِأمْرِنا وَنَهْيِنا، واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ولوْ كَرِهَ المُشرِكُونَ» [۳۸۲] . [صفحه ۲۳۵]

الاستعداد الدائم للظهور

فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِىءٍ مِنكُمْ بِمَا يَقرُبُ بِهِ من مَحَبَّتِنا، ويَتَجَنَّبُ مايُدْنيهِ مِنْ كَراهَتِنا وسَخَطِنا فَإنَّ أَمْرَنا بَغتَةٌ فُجاءَةٌ حِينَ لا تنْفَعُهُ تَوْبَةٌ وَلا يُنجيهِ مِنْ عقابِنا نَدَمٌ عَلَى حَوبةٍ واللهُ يُلْهِمُكُمُ الرُّشْدَ، ويَلْطُفُ لَكُمْ فی التَّوفِيقِ بِرَحْمَتِهِ [۳۸۳] .

نماذج من أجوبته القصيرة

ومن أجوبته(عليه السلام) على أسئلة اسحاق بن يعقوب: «أما ماسألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لی من أهل بيتنا وبنی عمّنا فأعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومَن أنكرنی فليس منّی وسبيله سبيل ابن نوح، أما سبيل عمّی جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف(عليه السلام)... وأما أموالكم فما نقبلها إلّا لتطهروا، فمن شاء فليصل ومَن شاء فليقطع... وأما ظهور الفرج فإنه الی الله تعالی ذكره وكذب الوقّاتون... وأما ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلّا لما طاب وطهر... وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن فی ذلك فرجكم...». [۳۸۴] .

نماذج من أدعيته و زياراته

من دعائه للمؤمنين عامة: «إلهی بِحَقِّ مَنْ ناجاكَ، وَبِحقِّ مَنْ دَعاكَ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، تَفَضَّلْ عَلَى فُقَراءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالْغناءِ وَالثَّرْوَةِ، وَعَلَى مَرْضَی الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالشِّفاءِ وَالصِّحَّةِ، وَعَلَى أحْياءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِاللُّطْفِ وَالْكَرامَةِ، وَعَلَى أمْواتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَى [صفحه ۲۳۶] غُرَباءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالرَّدِّ إلَى أوْطانِهِمْ سالِمِينَ غانِمِينَ، بِمُحَمَّد وَآلِهِ أجْمَعِينَ» [۳۸۵] . من دعائه فی قنوته: «... وأسئلُكَ باسمك الذی خلقت به خلقَكَ ورزقتَهم كيفَ شئتَ وكيفَ شاؤوا، يامَنْ لا يُغيّرُه الأيّام والليالی أدعُوكَ بِمَا دَعاكَ به نُوحٌ حينَ ناداكَ فأنْجَيْتَهُ ومَن مَعهُ وأهلكتَ قومه، وأدعوك بِمَا دَعاكَ ابراهيمُ خَليلكَ حينَ ناداكَ فأنْجَيْتَهُ وَجعلتَ النّار عَليهِ بَرداً وَسَلاماً، وأدعوكَ بِمَا دَعاكَ به موسی كَليمُكَ حينَ ناداكَ فَفَلَقْتَ لَهُ البَحرَ فَأَنْجَيْتَهُ وَبَنِی إسْرائِيلَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَونَ وَقَوْمَهُ فِی الْيَمِّ، وَأدْعوكَ بِما دَعاكَ بِهِ عِيسَی رُوحُكَ حِينَ ناداكَ، فَنَجَّيْتَهُ مِنْ أعْدائِهِ وَإلَيْكَ رَفَعْتَهُ، وَأَدْعُوكَ بِما دَعاكَ به حَبِيبُكَ وصَفِيُّكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَاستَجَبْتَ لَهُ وَمِنَ الأحْزَابِ نَجَّيْتَهُ، وَعَلَى أعْدَائِكَ نَصَرْتَهُ، وَأسْئَلُكَ باِسْمِكَ الَّذِی إذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ، يا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالأمْرُ، يامَنْ أحاطَ بِكُلِّ شَیْء عِلْماً، يا مَنْ أحْصَى كُلَّ شَیْء عَدَداً، يا مَنْ لا تُغَيِّرُهُ الأيَّامُ وَاللَّيالِیُّ، وَلا تَتَشابَهُ عَلَيْهِ الأصْوَاتُ، وَلا تَخْفَی عَلَيْهِ اللُّغَاتُ، وَلا يُبْرِمُهُ إلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ. أَسْئَلُكَ أنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّد وَآل مُحَمَّد خَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِأفْضَلِ صَلَواتِكَ، وَصَلِّ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ بَلَّغوا عَنكَ الْهُدَى، وَعْقَدُوا لَكَ الْمَواثِيقَ بِالطَّاعَةِ، وَصَلِّ عَلَى عِبادِكَ الصَّالِحِينَ، يا مَنْ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ أَنْجِزْ لِی ما وَعَدْتَنِی، وَاجْمَعْ لِی أَصْحابِی، وَصَبِّرْهُمْ، وَانْصُرْنِی عَلَى أَعْدَائِكَ وَأعْداءِ رُسولِكَ، وَلا تُخَيِّبْ دَعْوَتِی، فَإنِّی عَبْدُكَ وَابْنُ عَبدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، أَسِيرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، سَيِّدِی أَنْتَ الَّذِی مَنَنْتَ عَلَيَّ بِهذَا الْمَقامِ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيَّ دُونَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَسْئَلُكَ أنْ تصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأنْ تُنْجِزَ لِی ما وَعَدْتَنی، إنَّكَ أنْتَ الصَّادِقُ، وَلا تُخْلِفُ الْمِيعادَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَیْء قَدِيرٌ» [۳۸۶] . [صفحه ۲۳۷] من صلواته على النبی(صلى الله عليه وآله): «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنتَجَبِ فِی الْمِيثاقِ، الْمُصطَفَی فِی الظِّلالِ، الْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِّ آفَةٍ، الْبَرِیءِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، الْمُؤَمَّلِ لِلنَّجاةِ، الْمُرْتَجى لِلشَّفاعَةِ، الْمُفَوَّضِ إلَيْهِ فِی دَينِ اللهِ...» [۳۸۷] . نماذج من زياراته: «الله أكبر الله أكبر، لا

الله إلّا الله والله أكبر، ولله الحمد، الحمدُ لله الذى هدانا لهذا، وعرّفنا أولياءَهُ وأعداءَهُ، وَوفّقَنا لزيارةِ أئمتنا ولم يجعلنا من المعاندين الناصبين ولا من الغُلاةِ المفوّضين ولا من المرتابين الْمُقصِّرينَ، السَّلامُ عَلَى وَلِيِّ اللهِ وَابْنِ أَوْلِيائِهِ، السَّلامُ عَلَى الْمُدَّخَرِ لِكَرَامَةِ[اللهِ]أَوْلِياءِ[الله وَبَوارِ أَعْدَائِهِ السَّلامُ عَلَى النُّورِ الَّذِى أَرادَ أَهْلُ الْكُفْرِ إِطْفاءَهُ، فَأَبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ بِكُرْهِهِمْ وَأَمَدَّهُ بِالْحَياةِ حَتَّى يُظْهِرَ عَلَى يَدِهِ الْحَقَّ بِرَغْمِهِمْ، أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ اصْطَفاكَ صَغيراً وَأَكْمَلَ لَكَ عُلُومَهُ كَبِيراً، وَأَنَّكَ حَيٌّ لا تَمُوتُ حَتّى تبْطِلَ الْجِبْتَ وَالطَّاغُوت. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى خُدَّامِهِ وَأَعْوَانِهِ، عَلَى غَيْبَتِهِ وَنَأْيِهِ، وَاسْتُرْهُ سِتْراً عَزِيزاً وَاجْعَلْ لَهُ مَعقِلًا حِرِيزاً وَاشْدُدِ اللَّهُمَّ وَطْأَتَكَ عَلَى مُعانِدِيهِ، وَاحْرُسْ مَوَالِيهِ وَزائِرِيهِ. اللَّهُمَّ كَما جَعَلْتَ قَلْبِى بِذِكْرِهِ مَعْمُوراً، فَاجْعَلْ سِلاحِى بنصْرَتِهِ مَشْهُوراً وَإِنْ حالَ بَيْنِى وَبَيْنَ لِقائِهِ الْمَوْتُ الَّذِى جَعَلْتَهُ عَلَى عِبادِكَ حَتْماً مَقْضِيّاً وَأَقْدَرْتَ بِهِ عَلَى خَلِيقَتِكَ رَغْماً، فَابْعَثْنِى عِنْدَ خُرُوجِهِ، ظَاهِراً مِنْ حفْرَتِى، مؤْتَزِراً كَفَنِى، حَتَّى أُجاهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فِى الصَّفِّ الَّذِى أَثْنَيْتَ عَلَى أَهلِهِ فِى كِتابِكَ، فَقُلْتَ (كَأَنَّهُمْ بنْيانٌ مَرْصُوصٌ). اللَّهُمَّ طالَ الانْتِظارُ، وَشَمُتَ بنا الْفجّارُ، وَصَعُبَ عَلَيْنا الانْتِصارُ، اللَّهُمَّ أَرِنا وَجْهَ وَلِيِّكَ الْمَيْمونَ، فِى حَياتِنا وَبَعْدَ الْمَنُونِ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَدِينُ لَكَ بالرَّجْعَةِ، بَيْنَ يَدَىْ صَاحِبِ هذِهِ الْبُقْعَةِ، أَلْغَوْثَ أَلْغَوْثَ، أَلْغَوْثَ، يَا صَاحِبَ الزَّمانِ، قَطَعْتُ فِى وُصْلَتِكَ الْخُلاَّنَ، وَهَجَرْتُ [صفحه ٢٣٨] لِزِيارَتِكَ الأَوْطانَ، وَأَخْفَيْتُ أَمْرِى عَنْ أَهْلِ الْبُلْدانِ لِتَكُونَ شَفِيعاً عِنْدَ رَبِّكَ وَرَبِّى، وَإِلَى آبائِكَ مَوَالِيَّ فِى حُسْنِ التَّوْفِيق، وَإِسْباغِ النِّعْمَةِ عَلَيَّ، وَسَوْقِ الإِحْسانِ إِلَيَّ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحمَّد، أَصْحابِ الْحَقِّ، وَقادَةِ الْخَلْقِ، وَاستَجِبْ مِنِّى ما دَعوْتُكَ، وَأَعْطِنى مالَمْ أَنْطِقْ بِهِ فِى دُعائِى، وَمِنْ صَلاحِ دِينِى وَدُنْيايَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحمَّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ. ثُمَّ ادْخُلِ الصَّفَّةَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ عَبْدُكَ الزَّائِرُ فِى فِناءِ وَلِيِّكَ الْمَزُور، الَّذِى فَرَضْتَ طاعَتَهُ عَلَى الْعَبِيدِ وَالأَحْرَارِ، وَأَنْقَذْتَ بِهِ أَوْلِياءَكَ مِنْ عَذابِ النَّارِ، اللَّهُمَّ اجْعَلها زيارَةً مَقْبُولَةً ذاتَ دُعاء مسْتَجاب مِنْ مُصَدِّق بَوَلِيِّكَ غَيْرَ مُرْتاب، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَلا بِزِيارَتِهِ، وَلا تَقْطَعْ أَثَرِى مِنْ مَشْهَدِهِ، وَزِيارَةِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، اللَّهُمَّ اخْلُفْ عَلَيَّ نَفَقَتِى، وَانْفَعْنِى بِما رَزَقْتَنى، فِى دُنْياى وَآخِرَتِى وَلإِخْوَانِىَ وَأَبَوَيَّ وَجَمِيعِ عِتْرَتِى، أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ أيُّها الإمامُ الّذى يَفوزُ بِهِ المؤمنونَ وَيَهلِكُ على يديهِ الكافِرونَ المكذِّبونَ...» [٣٨٨] .

پاورقى

[١] راجع مثلًا كتاب آية الله الشيخ محمد أمين زين الدين، مع الدكتور أحمد أمين فى حديث المهدى والمهدوية: ١٣.

[٢] ملحقات إحقاق الحق لآية الله المرعشى النجفى، ٢٩: ٦٢١ ـ ٦٢٢.

[٣] العقيدة والشريعة فى الإسلام: ٢١٨ حيث وصفها بأنها من الأساطير ذات الجذور غير الإسلامية لكنه قال أيضاً باتفاق كلمة الأديان عليها، المصدر: ١٩٢، والإنكار الحديث للفكرة مصدره المستشرقون وتابعهم بعض المتأثرين بهم من المسلمين أمثال أحمد أمين.

[٤] راجع أيضاً الإمامة وقائم القيامة للدكتور مصطفى غالب: ٢٧٠.

[٥] راجع النصوص الخاصة بالمهدى الموعود من كتاب «بشارات عهدين» للشيخ محمد الصادقى.

[٦] لمعرفة تفصيلات هذا التمهيد يُراجع كتاب تأريخ الغيبة الكبرى للسيد الشهيد محمد الصدر(رحمه الله)، فى حديثه عن التخطيط الإلهى لليوم الموعود قبل الإسلام: ٢٥١ وما بعدها.

[٧] راجع أيضاً أهل البيت فى الكتاب المقدس، احمد الواسطى: ١٢١ ـ ١٢٣.

[٨] صحيفة العهد اللبنانية العدد: ٦٨٥، مقال تحت عنوان «حركة شهود يهوه، النشأة، التنظيم، المعتقد».

[٩] بشارت عهدين: ٢٦١، نقلًا عن كتاب ميزان الحق للقس الالمانى فندر: ٢٧١.

[١٠] المهدى الموعود ودفع الشبهات عنه، للسيد عبد الرضا الشهرستانى: ۶.

[١١] المهدى الموعود ودفع الشبهات عنه، للسيد عبد الرضا الشهرستانى: ٧.

[١٢] برناردشو، للاستاذ عباس محمود العقاد: ١٢۴ ـ ١٢۵، وعلق الاستاذ العقاد على كلمة برناردشو بالقول: وأ «يلوح لنا أن سوبرمان

شو ليس بالمستحيل، وأن دعوته لاـ تخلو من حقيقـة «ثابتـة»، نقلاًـ عن كتاب المهـدى المنتظر فى الفكر الاسـلامى: ۹، وقـد نقلها عن العقاد الشيخ محمد حسن آل ياسين فى كتابه المهدى المنتظر بين التصور والتصديق: ۸۱.

[۱۳] راجع توضيح هذه النقطة فى البحث القيم الذى كتبه آية الله الامام الشهيد الصدر حول المهدى: ۴۱ ـ ۴۸، ط ۳ دار التعارف.

[۱۴] لمزيد من التوضيح راجع تأريخ الغيبة الكبرى: ۲۷۶ وما بعدها.

[۱۵] بحث حول المهدى: ۷ ـ ۸.

[۱۶] راجع مثلًا كتاب «دفاع عن الكافي» للسيد العميدى: ۱/۱۸۱، وإحقاق الحق: ۱۳/ ۳ ـ ۴.

[۱۷] البيان فى أخبار صاحب الزمان: ۱۴۹ ـ ۱۵۰.

[۱۸] نظير كتـاب بشارات عهـدين للشيخ محمـد الصادقى وترجمته العربيـة بقلم المؤلف نفسه المطبوع باسم: «البشارات والمقارنات». ومثله بالفارسيـة: بشارات صـحف آسمانى به ظهور حضرت مهدى(عليه السلام) لعلى أكبر شعفى اصفهانى، والعربية: المهدى المنتظر والعقل لمحمد جواد مغنية.

[۱۹] كشف الأستار للميرزا حسن النورى: ۸۴، وأولى منه كتاب كبير فى ست مجلدات بعنوان: أنيس الأعلام فى نصـرة الإسلام. لعالم نصـرانى أرمينى كبير اعتنق الإسـلام على مـذهب أهـل البيت(عليهم السـلام) وكتب ذلـك الكتـاب بالفارسـية اسـتجابة لاقتراح علماء الإسـلام، من أواخر القرن الثانى عشـر وأوائل الثالث عشـر، سـيأتى ذكره آنفاً باسم الشـيخ محمد صادق فخر الإسـلام، وهذا ما لقّبه به علماء اصفهان يومئذ تقديراً لجهوده فى مجلدات كتابه القيّم.

[۲۰] الثابت أن غيبة الإمام المهدى بعد وفاة أبيه ـ (عليهما السـلام) ـ استمرت ۶۹ سـنة. فلعل الساباطى ترك بياضاً ليتأكد من المدّة ثم نسى ملء الفراغ فانتشر الكتاب كذلك.

[۲۱] المصدر السابق: ۸۵، وذكر أن كتاب البراهين الساباطية قد طبع قبل اكثر من ثلاثين من تأريخ تأليف كتابه كشف الأستار.

[۲۲] بشارات عهـدين: ۲۳۲، وذكر أن العـالم المـذكور كان من متتبعى علماء النصارى ومحققيهم واعتنق الاسـلام بعـد دراسـة معمقة استغرقت أمداً وأ لّف عدة كتب منها الكتاب المذكور الذى يُوصف بأنه أفضل ما اُ لّف فى الرد على اليهود والنصارى.

[۲۳] بشارات عهدين: ۲۶۴.

[۲۴] سفر الرؤيا ۱۲: ۳.

[۲۵] سفر الرؤيا ۱۲: ۵.

[۲۶] المدة رمزية وقد وردت فى الأصل العبرى بتعبير: «وسيغيب عن التنين زماناً وزمانين ونصف زمان»، راجع بشارات العهدين: ۲۶۳.

[۲۷] سفر الرؤيا ۱۲: ۱۳.

[۲۸] المسيح الدجال، سعيد أيوب: ۳۷۹ ـ ۳۸۰ / نقلًا عن المهدى المنتظر فى الفكر الاسلامى، اصدار مركز الرسالة: ۱۳ ـ ۱۴.

[۲۹] سفر التكوين: ۱۷: ۲۰ و۲۲ ـ ۲۳.

[۳۰] أهل البيت فى الكتاب المقدس، احمد الواسطى: ۱۰۵ ـ ۱۰۷.

[۳۱] راجع الفصل الأول من كتاب منتخب الأثر فى الإمام الثانى عشـر لآيـة الله الشـيخ لطف الله الصافى، فقد نقل فيه (۲۷۱) حديثاً من المصادر الحديثية المعتبرة عند مختلف طوائف المسلمين تشتمل على إخبار النبى (صلى الله عليه وآله) باتصال الإمامة فى هؤلاء الأئمة الاثنى عشر من أهل بيته (عليهم السلام) الى يوم القيامة وفيها احاديث تنص صراحة على اسمائهم أو تحدد أن أوّلهم الإمام على (عليه السـلام) وآخرهم الإمـام المهـدى(عليه السـلام)، وللشـيخ الصـافى فى هـذا الفصل تعليقـة اسـتقرائية تأريخيـة تثبت عـدم صـدق هـذه الأحاديث على غير الائمة الاثنى عشر من عترة آل الرسول (صلى الله عليه وآله).

[۳۲] اختص هـذا اللقب بأئمـة العترة الطـاهرة، واذا اُطلق كان المراد منه الإمام الثانى عشـر المهـدى المنتظر(عليه السـلام)، راجع كتاب

النجم الثاقب لآية الله الميرزا حسين النورى ۱: ۲۱۱، من الطبعة المترجمة الى العربية، وقد ذكر الميرزا النورى أن هذا اللقب مذكور فى الزبور الثالث عشر وغيره، نقل ذلك عن كتاب ذخيرة الألباب للشيخ محمد الاسترابادى.

[۳۳] أهل البيت فى الكتاب المقدس: ۱۲۳ ـ ۱۲۷.

[۳۴] النجم الثاقب: ۲ / ۱۹۸.

[۳۵] بشارات العهدين: ۲۷۷.

[۳۶] الكتاب المقدس تحت المجهر: ۱۵۵، نقلاً عن كتاب دفاع عن الكافى للسيد ثامر العميدى: ۱، وراجع بشأن هذه البشارة، أهل البيت فى الكتاب المقدس: ۱ / ۱۸۵ ـ ۱۸۶.

[۳۷] راجع مثلاً ما نقله الشيخ الصادقى ـ فى كتابه بشارات العهدين ـ من كتب الأديان الاُخرى.

[۳۸] بل أثبتت دراسات عدد من علماء أهل السنّة تواتر هذه الأحاديث الشريفة، مثل كتاب «التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر والدجال والمسيح» للإمام الشوكانى، وكتاب «الاشاعة فى أشراط الساعة» للبرزنجى، وكتاب «التصريح» للكشميرى وغيرها.

[۳۹] هذا الحكم يصدق ايضاً على الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم وائمة العترة ـ صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ـ والتى تنبأت بولادة المهدى من الحسن العسكرى وغيبته، فثبوت صدورها وتدوينها قبل وقوع الولادة والغيبة بما يزيد على القرن وأكثر ثم تحقق ما أخبرت عنه عملياً يثبت صحتها حتى لو كان ثمة نقاش فى بعض أسانيدها؛ لأن تصديق الواقع لها دليل على صحة صدورها من ينابيع الوحى المتصلة بالله تبارك وتعالى الذى لا يعلم الغيب سواه ولا يطلع على غيبه إلا من ارتضى، وقد استدل العلماء بهذا الدليل الوجدانى على صحة الغيبة وصحة إمامة المهدى ابن العسكرى (عليهما السلام) مثل الشيخ الصدوق فى إكمال الدين: ۱ / ۱۹، والشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة: ۱۰۱ ـ ۱۰۷، والطبرسى فى اعلام الورى، وابن طاووس فى كشف المحجة وغيرهم.

[۴۰] ذكر الشيخ القندوزى الحنفى فى ينابيع المودة الكثير من علماء أهل السنّة القائلين بأن المهدى الموعود هو ابن الحسن العسكرى وأنه حى وغائب، كما ذكر الميرزا النورى فى كتاب كشف الأستار اربعين عالماً منهم ونقل تصريحاتهم فى ذلك، وكذلك فعل العلامة نجم الدين العسكرى فى كتابه المهدى الموعود المنتظر(عليه السلام) عند علماء أهل السنّة والإمامية، وجمع أقوالهم وتصريحاتهم السيد ثامر العميدى فى الجزء الأول من كتابه (دفاع عن الكافى). وكذلك السيد الأمين العاملى فى ج۵ من المجالس السنية والاستاذ الدخيّل فى: الإمام المهدى(عليه السلام).

[۴۱] بحث حول المهدى: ۱۲ ـ ۱۴.

[۴۲] مثل رسائل الشيخ المفيد فى الغيبة وهى خمس رسائل إضافة الى كتاب الفصول العشرة فى الغيبة، وكتاب المقنع فى الغيبة للسيد المرتضى، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسى، وكتاب إكمال الدين للشيخ الصدوق، وكتاب الغيبة للشيخ النعمانى، وعموم كتب الإمامة كالشافى وتلخيصه وغيرها فقد حفلت بأشكال الأدلة على هذا الموضوع وهى كثيرة للغاية.

[۴۳] الاسراء (۱۷): ۷۱ ـ ۷۲.

[۴۴] الأنبياء (۲۱): ۷۳.

[۴۵] البقرة (۲): ۱۲۴.

[۴۶] القصص (۲۸): ۵.

[۴۷] الفرقان (۲۵): ۷۴.

[۴۸] التوبة: ۹/۱۲.

[۴۹] القصص (۲۸): ۴۱. والجعل هنا بمعنى «تصييرهم سابقين فى الضلال يقتدى بهم اللاحقون» الميزان: ۱۶/۳۸، فليس هنا بمعنى النصب كما هو حال أئمة الهدى.

[۵۰] هود (۱۱): ۱۷.

[۵۱] یس (۲۶): ۱۲.

[۵۲] تفسیر المیزان: ۱۳/ ۱۶۵ ـ ۱۶۹، وما أوردناه مستفادٌ من بحثه التفسیری لهما.

[۵۳] البقرة (۲): ۱۲۴.

[۵۴] الزخرف (۴۳): ۲۸، ولاحظ قوله تعالی (ووهبنا له اسحاق ویعقوب وجعلنا فی ذرّیته النّبوة والکتاب)العنکبوت (۲۹): ۲۷.

[۵۵] راجع فی هذا الباب مثلاً کتاب منتخب الأثر فی الإمام الثانی عشر لآیة الله الشیخ لطف الله الصافی فقد جمع الکثیر من النصوص المرویة من طرق أهل السنة والشیعة، وراجع أیضاً کتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للحر العاملی، وفرائد السمطین للحموینی الشافعی، وینابیع المودة للحافظ القندوزی الحنفی وغیرها کثیر.

[۵۶] راجع هذا الاستدلال فی مقدمة کتاب کمال الدین للشیخ الصدوق: ۱۲، والفصل الخامس من الفصول العشرة فی الغیبة للشیخ المفید، وکذلک الرسالة الخامسة من رسائل الغیبة. وکتاب الغیبة للشیخ الطوسی: ۱۰۱ وما بعدها، وإعلام الوری للشیخ الطبرسی: ۲/۲۵۷ وما بعدها وکشف المحجة للسید ابن طاووس: ۱۰۴، وغیرها.

[۵۷] النساء (۴): ۴۱.

[۵۸] النحل (۱۶): ۸۴.

[۵۹] النحل (۱۶): ۸۹.

[۶۰] القصص (۲۸): ۷۵.

[۶۱] تفسیر المیزان: ۱/۳۲.

[۶۲] تفسیر الکشاف: ۳/۴۲۹.

[۶۳] تفسیر الکشاف: ۲/۶۲۶.

[۶۴] المائدة (۵): ۱۱۷.

[۶۵] تفسیر الکشاف: ۳/۴۲۹.

[۶۶] التفسیر الکبیر: ۲۵/۱۲ ـ ۱۳. راجع فی ذلک مجمع البیان: فی ذیل الآیة.

[۶۷] التفسیر الکبیر: ۲۵/۱۲ ـ ۱۳، وتفسیر الکشاف: ۲/۶۲۸.

[۶۸] راجع معجم أحادیث الإمام المهدی: ۱/۲۷۴، نقلاً عن مسند أحمد وغیره من المجامیع الروائیة لأهل السنة.

[۶۹] البقرة (۲): ۲۲۵.

[۷۰] تفسیر المیزان: ۱/۳۲۰ ـ ۳۲۱.

[۷۱] تفسیر المیزان: ۱/۳۲۱.

[۷۲] إشارة الی قوله تعالی: (الله أعلم حیث یجعل رسالته) الأنعام (۶): ۱۲۴.

[۷۳] النمل (۲۷): ۴۰.

[۷۴] قصص الأنبیاء للسید الجزائری: ۴۲۸ نقلاً عن تفسیر العیاشی.

[۷۵] الرعد (۱۳): ۴۳.

[۷۶] شواهد التنزیل: ۱/۴۰۰ وما بعدها.

[۷۷] تفسیر المیزان: ۱۱/۳۸۷ ـ ۳۸۸.

[۷۸] الرعد (۱۳): ۷.

[۷۹] الأعلى (۸۷): ۲ ـ ۳ وراجع تفسيرها فی الجزء العشرين من تفسير الميزان.

[۸۰] تفسير الميزان: ۱/۳۰۵.

[۸۱] يونس (۱۰): ۳۵.

[۸۲] المؤمن (۴۰): ۳۸.

[۸۳] القصص (۲۸): ۵۶.

[۸۴] الأنبياء (۲۱): ۷۳.

[۸۵] تفسير الميزان: ۱۰/ ۵۶ ـ ۶۱.

[۸۶] تفسير الميزان: ۱/۲۷۲.

[۸۷] الأنبياء (۲۱): ۷۳.

[۸۸] السجدة (۳۲): ۲۴.

[۸۹] راجع الحديث الذی يرويه جابر بن عبد الله الأنصاری عن رسول الله(صلی الله عليه وآله) المروی فی كمال الدين: ۱ / ۲۵۳ وكفاية الأثر: ۵۳ وغيرهما.

[۹۰] الصواعق المحرقة: ۱۵۰ من الطبعة المصرية وقد صرح ابن حجر بتواتره.

[۹۱] سنن الترمذی: ۵/ ۶۲۱ ـ ۶۲۲ ـ مناقب أهل بيت النبی باب ۳۲.

[۹۲] أهل البيت فی المكتبة العربية للسيد عبدالعزيز الطباطبائی: ۲۷۷ ـ ۲۷۹.

[۹۳] أصدرت دار التقريب الإسلامية فی مصر رسالة مفصلة ألفها أحد أعضاء الدار عن هذا الحديث استوفی فيها أسانيد الحديث فی الكتب المعتمدة عند أهل السنة.

[۹۴] الصواعق المحرقة لابن حجر: ۱۴۸، أهل البيت فی المكتبة العربية: ۲۷۹.

[۹۵] صحيح البخاری: ۱/ ۳۷، ۴/ ۳۱، ۴/ ۶۵ ـ ۶۶، ۵/ ۱۳۷، ۷/ ۹، ۸/ ۱۶۱ من طبعة دار الفكر المصورة عن طبعة استانبول وفی جميعها وردت عبارة «لن تضلوا بعدی» فی الحكاية عن مضمون الكتاب الذی أراد كتابته.

[۹۶] راجع تلخيص وتعريب السيد علی الميلانی للجزء الخاص بطرق حديث الثقلين من موسوعة عبقات الأنوار وقد طبع هذا التلخيص مرتين. الأولی فی مجلدين والثانية فی ثلاث مجلدات.

[۹۷] صحيح مسلم: ۴/ ۱۸۷۳.

[۹۸] سنن الترمذی: ۵/ ۶۶۲.

[۹۹] المستدرک علی الصحيحين: ۳/ ۱۰۹.]

[۱۰۰] الصواعق المحرقة: ۱۵۰، الفصل الأول / الآيات الواردة فيهم.

[۱۰۱] راجع رسالة الثقلين الصادرة عن دار التقريب الإسلامية فی مصر: ۱۸ وراجع مناقشة السيد محمد تقی الحكيم لإعتبار هذه الرواية ضمن حديثه عن دلالات حديث الثقلين فی فصل السنة من كتابه الأصول العامة للفقه المقارن.

[۱۰۲] الصواعق المحرقة: ۱۵۰.

[۱۰۳] راجع مثلاً كتاب «حديث الثقلين»، تواتره، فقهه» للسيد علی الميلانی.

[۱۰۴] المصباح المنير للفيومی: ۳۹۱، مادة العترة.

[۱۰۵] صحيح مسلم: ۲/ ۳۶۲.

[۱۰۶] مسند أحمد بن حنبل: ۳/ ۲۵۹.

[۱۰۷] راجع مثلًا صحيح مسلم: ۷/ ۱۳۰، وما رواه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط البخاري في: ۳/۱۴۶، والدر المنثور للسيوطي: ۵/ ۱۹۸.

[۱۰۸] راجع البحث القرآني الذي أورده العلامة الطباطبائي(رحمه الله) في تفسير الميزان، في تفسير الآية الكريمة ودلالاتها.

[۱۰۹] الصواعق المحرقة: ۱۵۱.

[۱۱۰] راجع تراجمهم ـ سلام الله عليهم ـ فيما كتبه علماء الرجال من أهل السنة، وقد ألف العديد منهم كتباً خاصة بالأئمة الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم السلام)، أمثال ابن طولون الدمشقي وغيره.

[۱۱۱] الصواعق المحرقة: ۱۵۱.

[۱۱۲] راجع كتابه: منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر.

[۱۱۳] راجع هذه النصوص والتعريف بمصادرها في كتاب منتخب الأثر ومعجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ۲ / ۲۵۵ ـ ۲۶۵، وكذلك كتاب أحاديث المهدي في مسند أحمد بن حنبل.

[۱۱۴] عن دلالات حديث الغدير وتواتره وطرقه راجع موسوعة الغدير للعلامة الأميني(رحمه الله)، والجزء الخاص به من عبقات الأنوار وغيرها.

[۱۱۵] راجع في ذلك معجم أحاديث الإمام المهدي، ۱: ۱۶ ـ ۳۸.

[۱۱۶] مسند أحمد: ۱/ ۳۹۸، المعجم الكبير للطبراني: ۱۰/ ۱۹۵، المستدرك للحاكم: ۴/ ۵۰۱.

[۱۱۷] فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ۳/۱۸۴، باب الاستخلاف.

[۱۱۸] راجع مثلاً ـ «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» للشيخ أسد حيدر، وما ورد بشأنهم في تاريخ دمشق لابن عساكر وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي والصواعق المحرقة لابن حجر وسير أعلام النبلاء للذهبي ووفيات الأعيان لابن خلكان وغيرها. وسائر من ترجم لهم (عليهم السلام) من مختلف الفرق الإسلامية.

[۱۱۹] سير أعلام النبلاء: ۱۳/ ۱۲۰ وراجع ما جمعه الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج تجد نماذج كثيرة لدفاعهم عن الإسلام بوجه الأفكار الدخلية.

[۱۲۰] جمعت هذه الأحاديث الشريفة في موسوعات ضخمة مثل بحار الأنوار للعلّامة المجلسي ووسائل الشيعة للحر العاملي.

[۱۲۱] مثل إصداره «التوقيعات» وهي الرسائل التي كان(عليه السلام) يبعثها للمؤمنين ويجيب فيها عن اسئلتهم الدينية المختلفة وقد دونت كتب الغيبة عدداً كبيراً منها، تجدها في كتاب «كلمة الإمام المهدي» والصحيفة المهدوية وغيرها.

[۱۲۲] راجع ما نقله الشيخ عبدالمحسن العباد في بحثه (عقيدة أهل السنّة والأثر في المهدي المنتظر) المطبوع في مجلة الجامعة الاسلامية العدد الثالث، السنة الاُولى، ذو القعدة ۱۳۸۸ هـ

[۱۲۳] تفسير القرآن العظيم: ۲ / ۳۴ في تفسير الآية ۱۲ من سورة المائدة.

[۱۲۴] راجع النسخة المصوّرة لفتوى رابطة العالم الاسلامي، المجمع الفقهي المنشورة في كتاب احاديث المهدي من مسند احمد بن حنبل: ۱۶۲ ـ ۱۶۶.

[۱۲۵] راجع كتاب «احاديث المهدي (عليه السلام) من مسند احمد بن حنبل»، اعداد السيد محمد جواد الجلالي: ۶۸ ـ ۷۶.

[۱۲۶] صحيح البخاري: ۴/۲۵۲.

[۱۲۷] تاريخ البخاري: ۴/۱۲ حديث ۱۷۹۷، صحيح مسلم:۳/۱۵۲۳، حديث ۱۹۲۰، وسنن أبي داود: ۴/۹۷، حديث ۴۲۰۲ و ابن ماجة: ۱/۵ باب۱ حديث ۱۰، والترمذي: ۴/۵۰۴ حديث ۲۲۲۹ و احمد بن حنبل في مسنده: ۲/۳۲۱.

[۱۲۸] صحيح البخاري: ۹/۱۶۷، وصحيح مسلم: ۳/۱۵۲۴ حديث ۱۰۳۷، ومسند أحمد: ۴/۱۰۱، وابن ماجة: ۱/۵ باب ۱ حديث ۷.

[۱۲۹] صحیح مسلم: ۱۵۲۴ حدیث ۱۹۲۲، مسند أحمد: ۵/۹۲، ۹۴، ومستدرک الحاکم: ۴/۴۴۹.

[۱۳۰] صحیح مسلم: ۳/۱۵۲۴، ۱۵۲۵ باب ۵۳، حدیث ۱۹۲۴.

[۱۳۱] مسند أحمد: ۴/۴۳۴، سنن أبی داود: ۳/۴، حدیث ۲۴۸۴، ومستدرک الحاکم: ۲/۷۱.

[۱۳۲] تاریخ البخاری: ۵/۴۵۱ حدیث ۱۴۶۸، مسند أحمد: ۴/۴۲۹.

[۱۳۳] معجم أحادیث الإمام المهدی: ۱/ ۵۱ ـ ۶۸، وقد ذکر لکل حدیث الکثیر من المصادر من المجامیع الروائیهٔ المعتبرهٔ عند أهل السنهٔ وقد اخترنا بعضها من المتن والبعض الآخر من الهوامش.

[۱۳۴] وهذا أضعف الآراء وأبعدها عن دلالات الحدیث الشریف ورغم ذلک رجحه ابن باز فی تعلیقه علی محاضرهٔ الشیخ عبدالمحسن العباد عن المهدی الموعود، راجع مجلهٔ الجامعهٔ الاسلامیهٔ العدد الثالث، السنهٔ الاُولی، ذو القعدهٔ ۱۳۸۸ هـ.

[۱۳۵] وهذا من أطرف الآراء، راجع أضواء علی السنهٔ المحمدیهٔ للشیخ محمود أبو ریّهٔ: ۲۱۲، وراجع أیضاً فی مناقشهٔ هذه الآراء ما ذکره الشیخ لطف الله الصافی فی کتابه منتخب الأثر: فی الهامش، ودلائل الصدق للشیخ محمد حسن المظفر، ۲: ۳۱۵ وما بعدها، وما أورده الحکیم صدر الدین الشیرازی فی شرح أصول الکافی: ۴۶۳ ـ ۴۷۰ من الطبعهٔ الحجریهٔ.

[۱۳۶] صحیح البخاری: ۹/ ۷۸، صحیح مسلم: ۳/ ۱۴۵۲، مسند أحمد: ۲/ ۲۹، ۲/ ۹۳ بطریق آخر.

[۱۳۷] تاریخ البخاری: ۶/ ۴۴۵، مسند احمد: ۳/ ۴۶۶، صحیح ابن حبان: ۷/ ۴۹، مسند الطیالسی: ۱۲۵۹ الحدیث رقم ۱۹۱۳ مسند ابن أبی شیبهٔ: ۱۵/ ۳۸، المعجم الکبیر للطبرانی: ۱۰/ ۳۵۰،مجمع الزوائد: ۲/ ۲۵۲، عن أبی یعلی والبزار والطبرانی.

[۱۳۸] صحیح ابن حبان: ۷/ ۴۹.

[۱۳۹] النساء (۴): ۵۹.

[۱۴۰] التفسیر الکبیر: ۱۰/ ۱۴۴، وراجع البحث المفصل الذی أورده العلّامهٔ الطباطبائی فی تفسیر هذه الآیهٔ الکریمهٔ ودلالاتها فی تفسیر المیزان: ۴/ ۳۸۷ ـ ۴۰۱.

[۱۴۱] یُلاحظ هنا أن کل المؤرخین من مختلف المذاهب الإسلامیهٔ الذین ترجموا للائمهٔ الاثنی عشر من أهل البیت(علیهم السلام) ذکروا تواریخ وفیات الائمهٔ الأحد عشر باستثناء المهدی بن الحسن العسکری فقد ذکروا تأریخ ولادته فقط. وهذا الأمر یصدق حتی علی الذین لم یقولوا بأنه هو المهدی الموعود المبشر به فی صحاح الأحادیث النبویهٔ.

[۱۴۲] فتح الباری بشرح صحیح البخاری لابن حجر العقسلانی: ۶/ ۳۸۵.

[۱۴۳] راجع مثلًا مسند أحمد بن حنبل: ۲/ ۱۷۶، سنن ابن ماجهٔ: ۱/ ۴۴۴ ـ ۴۴۵، فیض القدیر: ۴/ ۴۵۹، سنن الترمذی: ۳/ ۱۱۶، کنز العمال: ۳/ ۴۶۶ وغیرها کثیر.

[۱۴۴] ثواب الأعمال للشیخ الصدوق: ۱۰۱، مصباح المتهجد للشیخ الطوسی: ۷۶۲، إقبال الأعمال للسید ابن طاووس: ۷۱۸.

[۱۴۵] راجع هذه الروایات فی کتاب النجم الثاقب للمیرزا النوری: ۲/ ۱۴۶ ومابعدها من الترجمهٔ العربیهٔ، وراجع الکافی: ۱/ ۳۲۹، کمال الدین: ۴۳۰.

[۱۴۶] نقصد بالتقویم التطبیقی التقویم الذی یطبق بین أیام تقویم السنهٔ الشمسیهٔ مع ما یصادفها من أیام تقویم السنهٔ القمریهٔ، وقد أعدت عدهٔ تقاویم من هذا النوع علی شکل کتب أو برامج کومبیوتریهٔ حددت ما یصادف کل یوم من أیام السنهٔ الهجریهٔ القمریهٔ مع تقویم السنهٔ الهجریهٔ الشمسیهٔ والسنهٔ المیلادیهٔ الشمسیهٔ، وقد راجعنا فی البحث التقویم التطبیقی الذی أصدرته جامعهٔ طهران والذی یبدأ بالتطبیق من الیوم الأوّل من السنهٔ الاُولی لهجرهٔ النبی الأکرم(صلی الله علیه وآله) الی نهایهٔ القرن الهجری الخامس عشر.

[۱۴۷] راجع تفصیلات أقوالهم فی الاحصائیهٔ التی أوردها السید ثامر العمیدی فی کتابه دفاع عن الکافی: ۱/۵۳۵ ـ ۵۹۲.

[۱۴۸] راجع الروایات التی جمعها السید البحرانی بشأن قصهٔ الولادهٔ من المصادر المعتبرهٔ فی کتابه تبصرهٔ الولی: ۶ وما بعدها،

وكذلك التلخيص الذى أجراه الميرزا النورى فى النجم الثاقب: ۲/ ۱۵۳ وما بعدها، وراجع غيبة الشيخ الطوسى الفصل الخاص باثبات ولادة صاحب الزمان (عليه السلام): ۷۴ وما بعدها.

[۱۴۹] غيبة الشيخ الطوسى: ۱۴۴.

[۱۵۰] كمال الدين: ۳۱۵، كفاية الأثر: ۳۱۷.

[۱۵۱] كمال الدين: ۳۰۳.

[۱۵۲] كمال الدين: ۳۲۱ ـ ۳۲۲.

[۱۵۳] كمال الدين: ۳۱۶.

[۱۵۴] الكافى: ۱/ ۲۷۶.

[۱۵۵] ذكر تراجمهم الدكتور محمد مهدى خان مؤسس صحيفة الحكمة فى القاهرة فى كتابه «باب الأبواب» الذى خصص جانباً منه لدراسة حركات أدعياء المهدوية.

[۱۵۶] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى: ۲۸۸.

[۱۵۷] مروج الذهب للمسعودى: ۴/ ۱۶۹.

[۱۵۸] الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى: ۲۷۶.

[۱۵۹] لقد امتدّت هذه المحاولات الى داخل بيت الإمام(عليه السلام) فزرعت العيون من النساء لمراقبة ما يحدث داخل بيت الإمام(عليه السلام)، للقضاء على الإمام المهدى(عليه السلام) إن وَلد، بل قد امتدت هذه الجهود للحيلولة دون ولادة الإمام(عليه السلام) ومن هنا لم يتزوّج الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام) بشكل رسمى كما هو المتعارف والمتداول حينذاك.

[۱۶۰] راجع الفصل الخاص بذلك فى كتاب حياة الإمام العسكرى (عليه السلام) للشيخ الطبسى: ۴۲۱ ـ ۴۲۴.

[۱۶۱] إثبات الهداة للحر العاملى: ۳/ ۵۷۰، منتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافى: ۳۵۹ ب ۳۴ ح ۴ عن كشف الحق للخاتون آبادى وبذيله ما يدل عليه من سائر الأخبار غير القليلة.

[۱۶۲] كمال الدين: ۴۳۴.

[۱۶۳] كمال الدين: ۴۳۱، وراجع معادن الحكمة فى مكاتيب الائمة لمحمد بن الفيض الكاشانى: ۲/ ۲۷۵.

[۱۶۴] كمال الدين: ۴۳۱.

[۱۶۵] الغيبة للشيخ الطوسى: ۲۱۷، اثبات الهداة للحر العاملى: ۴۱۵، ينابيع المودّة للحافظ سليمان الحنفى: ۴۶۰.

[۱۶۶] راجع قصصهم فى كتاب تبصرة الولى للسيد البحرانى والفصول الخاصة بأحاديث «من رآه فى حياة أبيه» من كتب الغيبة.

[۱۶۷] الفصول العشرة فى الغيبة، المطبوع ضمن كتاب عدة رسائل للشيخ المفيد: ۳۵۳.

[۱۶۸] غيبة الطوسى: ۲۱۷.

[۱۶۹] إثبات الوصية للمسعودى: ۲۶۲.

[۱۷۰] راجع رجال الكشى: ۴۸۱، ۴۵۱، ورجال ابن داود: ۲۷۲ ـ ۲۷۳، ووسائل الشيعة: ۱۸/ ۷۲، فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ۱۸۳ وغيرها.

[۱۷۱] لمزيد من التفصيلات بشأن دور الإمام الحسن العسكرى(عليه السلام) فى هذا المجال راجع كتاب تأريخ الغيبة الصغرى للسيد الشهيد محمد الصدر(رحمه الله): ۲۶۹ وما بعدها، وحياة الإمام العسكرى(عليه السلام) للشيخ الطبسى: ۳۱۳ ـ ۳۲۶.

[۱۷۲] كمال الدين: ۴۷۴.

[۱۷۳] غيبة الطوسى: ۱۶۵.

[۱۷۴] راجع مثلاً حديث الإمام الباقر(عليه السلام): «صاحب هذا الأمر أصغرنا سناً وأخملناشخصاً...» غيبة النعمانى: ۱۸۴. وراجع بهذا الشأن إيضاحات الشيخ المفيد فى كتابه الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ۲۵۶، وفى كتاب بحث حول المهدى للسيد الشهيد محمد باقر الصدر(رحمه الله) حيث تحدث مفصلاً عن هذه الظاهرة فى حياة الائمة بالتفصيل.

[۱۷۵] راجع تفصيلات هذه الامتحانات فى موسوعة بحار الأنوار: ۵۰/ ۹۹ وغيرها.

[۱۷۶] الصواعق المحرقة: ۱۲۴.

[۱۷۷] مرآة الأسرار: ۳۱.

[۱۷۸] مثل تكلّمه عند ولادته وهو فى المهد، كمال الدين: ۴۳۳، ۴۴۱ وغيرها، ومثل تحدثه بجوامع العلم والحكمة وهو صغير، غيبة الشيخ الطوسى: ۱۴۸ وغيرها.

[۱۷۹] يظهر أن الصلاة الأولى كانت بحضور وجوه أصحاب الإمام وأرحامه والصلاة الرسمية كانت بحضور ممثلى السلطة العباسية ووجوه المدينة وعامة الناس، راجع تفصيلات ذلك فى كتاب بحار الأنوار: ۵۰/ ۳۲۸.

[۱۸۰] غيبة الشيخ الطوسى: ۱۵۵.

[۱۸۱] كمال الدين: ۴۷۵ ـ ۴۷۶.

[۱۸۲] راجع تفصيلات ذلك فى كمال الدين: ۴۳، ۴۷۳.

[۱۸۳] إرشاد الشيخ المفيد: ۲/۳۳۶، ۳۳۷ وعنه فى بحار الأنوار: ۵۰/ ۳۳۴، ۲۳۱، مناقب آل أبى طالب: ۴/ ۴۲۲، الاحتجاج: ۲/ ۲۷۹.

[۱۸۴] أجرى السيد الشهيد محمد الصدر(رحمه الله) دراسة تحليلية وثائقية قيمة استناداً لمصادر التأريخ الإسلامى، لخصوصيات هذه الحقبة من التأريخ الإسلامى من المفيد الاطلاع عليها فى كتابه تأريخ الغيبة الصغرى.

[۱۸۵] فرائد السمطين: ۲/ ۱۳۲.

[۱۸۶] كمال الدين: ۴۱۳، كفاية الأثر: ۶۶، والأحاديث النبوية بهذا المعنى كثيرة راجعها فى معجم أحاديث الإمام المهدى(عليه السلام) القسم الخاص بأحاديث النبى(صلى الله عليه وآله): ۱/ ۲۵۶ ـ ۲۶۷.

[۱۸۷] كمال الدين: ۵۱، إثبات الهداة: ۳/ ۴۵۹.

[۱۸۸] كفاية الأثر: ۱۰.

[۱۸۹] علل الشرائع: ۱/ ۲۴۳ وعنه فى بحار الأنوار: ۵۲/ ۹۰.

[۱۹۰] فرائد السمطين: ۲/ ۳۳۵، وينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفى: ۴۸۸.

[۱۹۱] الكافى للكلينى: ۱/ ۲۷۳.

[۱۹۲] ينابيع المودة للحافظ الحنفى: ۴۲۷.

[۱۹۳] الاشاعة فى اشراط الساعة: ۱۳.

[۱۹۴] كمال الدين: ۳۲۱.

[۱۹۵] كمال الدين: ۳۲۳.

[۱۹۶] غيبة النعمانى: ۱۷۲.

[۱۹۷] غيبة الشيخ الطوسى: ۱۰۲.

[۱۹۸] كمال الدين: ۴۸۰.

[۱۹۹] كفاية الأثر: ۲۶۵.

[۲۰۰] كمال الدين: ۳۷۶ وعنه فى إعلام الورى: ۲/۲۴۱ وكشف الغمة: ۳/ ۳۱۴.

[۲۰۱] كفاية الأثر: ۲۷۷، بحار الأنوار: ۵۲/ ۲۸۳، احتجاج الطبرسی: ۲/ ۴۴۹.

[۲۰۲] الكافی: ۱/ ۲۶۸.

[۲۰۳] كمال الدين: ۳۸۰.

[۲۰۴] كمال الدين: ۴۴۰.

[۲۰۵] كفاية الأثر: ۲۹۲ وعن كمال الدين فی اعلام الورى: ۲ /۲۵۳، وسائل الشيعة: ۱۶/۲۴۶ ب۳۳ ح۲۳.

[۲۰۶] كمال الدين: ۳۸۴، الخرائج للقطب الراوندی: ۳/ ۱۱۷۴، وعن كمال الدين فی إعلام الورى: ۲/۲۴۹.

[۲۰۷] كمال الدين: ۱۹ من مقدمة المؤلف.

[۲۰۸] عدة رسائل للشيخ المفيد: ۳۶۲، الفصل الخامس من الفصول العشرة فی الغيبة.

[۲۰۹] كمال الدين: ۴۴۱.

[۲۱۰] غيبة الطوسی: ۱۶۴.

[۲۱۱] راجع روايات الالتقاء به فی عصر الغيبة الصغرى الموجودة فی كتب الغيبة والتی جمع الكثير منها السيد البحرانی فی كتاب تبصرة الولی.

[۲۱۲] راجع فی هذا الباب كتاب «منع تدوين الحديث ـ اسباب ونتائج» للسيد علی الشهرستانی: ۳۹۷ ـ ۴۶۵ الفصل الخاص بتأريخ تدوين السنة النبوية عند مدرسة أهل البيت(عليهم السلام).

[۲۱۳] غيبة الطوسی: ۲۱۵.

[۲۱۴] تأريخ الغيبة الصغرى: ۶۰۹ ـ ۶۲۸.

[۲۱۵] غيبة الطوسی: ۱۷۲ ـ ۲۵۷.

[۲۱۶] غيبة الطوسی: ۱۹۸ ـ ۱۹۹.

[۲۱۷] غيبة الطوسی: ۲۴۰.

[۲۱۸] الكافی: ۱ / ۵۲۵.

[۲۱۹] الكافی: ۱/ ۵۲۵.

[۲۲۰] راجع تأريخ الغيبة الصغرى: ۳۶۷، و۵۹۷ وما بعدهما.

[۲۲۱] راجع نماذجها فی المجلد الثانی من كتاب معادن الحكمة. لمحمد بن الفيض الكاشانی وكتاب الصحيفة المهدية لوالده وغيرها من كتب الغيبة.

[۲۲۲] الغيبة للطوسی: ۲۲۰.

[۲۲۳] راجع مثلاً توقيعاته(عليه السلام) لمحمد بن عبدالله الحميری المروية فی كتاب الاحتجاج: ۲ / ۴۸۳ وما بعدها.

[۲۲۴] كمال الدين: ۲۴۲.

[۲۲۵] النجم الثاقب: ۲ / ۴۴ ـ ۴۸ من الترجمة العربية.

[۲۲۶] تبصرة الولی: ۱۹۷.

[۲۲۷] الكافی: ۱ / ۳۳۷ ـ ۳۳۹، الغيبة للنعمانی: ۱۷۵.

[۲۲۸] الغيبة للطوسی: ۱۶۴، الاحتجاج للطبرسی: ۲ / ۲۹۸، وسائل الشيعة: ۳/۱۴۷.

[۲۲۹] كمال الدين: ۵۱۶، غيبة الطوسی: ۲۴۲.

[۲۳۰] يُلاحظ هنا مثلاً أن كتاب الكافی للشيخ الكلينی(رحمه الله) وهو من أهم مصادر تراث أهل البيت(عليهم السلام) فی المجالات

العقائديـة والفقهيـة تم تدوينه خلال فترة الغيبة الصـغرى، فقد توفى الشـيخ الكلينى(رحمه الله) سـنة ۳۲۹ هـ وهى نفس سـنة وفاة الشيخ السمرى آخر السفراء أى فى نفس سنة انتهاء الغيبة الصغرى.

[۲۳۱] كمـا صـرح بـذلك(عليه السـلام) فى توقيعه الـذى أجـاب فيه على أسـئلة إسـحاق بن يعقوب، راجع كمـال الـدين: ۴۸۳، غيبة الطوسى: ۱۷۶.

[۲۳۲] تأريخ الغيبة الصغرى: ۶۳۰ ـ ۶۵۴ وفيه توضيحات مهمة بشأن نص التوقيع المهدوى الشريف للسمرى.

[۲۳۳] اثبات الهداة: ۳ / ۴۸۶ ـ ۴۸۷.

[۲۳۴] كمال الدين: ۴۸۱، علل الشرائع: ۱/ ۲۴۵.

[۲۳۵] علل الشرائع: ۱ / ۲۴۶، غيبة النعمانى: ۱۷۶، غيبة الطوسى: ۲۰۱.

[۲۳۶] الكافى: ۱ / ۳۴۲، غيبة النعمانى: ۱۶۷ ـ ۱۶۸.

[۲۳۷] علل الشرائع: ۱۴۷، كمال الدين: ۶۴۱.

[۲۳۸] قرب الأسناد للحميرى: ۱۶۲ وعنه فى بحار الانوار: ۵۲/ ۱۱۳.

[۲۳۹] الآية فى سورة الاعراف: ۱۲۸، والحديث فى غيبة الطوسى: ۲۸۲.

[۲۴۰] علل الشرائع: ۱/ ۲۴۵، عيون الأخبار الرضا: ۱ / ۲۷۳.

[۲۴۱] كمال الدين: ۴۸۳، غيبة الطوسى: ۱۷۶.

[۲۴۲] معادن الحكمة: ۲/ ۳۰۳، بحار الانوار: ۵۳/ ۱۷۴.

[۲۴۳] الاحتجاج: ۲/۳۲۵ وعنه فى معادن الحكمة: ۲/ ۳۰۶ وبحار الأنوار: ۳۵/ ۱۷۶.

[۲۴۴] اعتقادات الصـدوق: ۹۹ وعنه فى اعلاـم الـورى للطبرسـى: ۲/۲۹۷ ب۵ المسألـة الاُولى من المسائل السـبع فى الغيبـة، الفصول المهمة: ۲۷۲.

[۲۴۵] كفاية الأثر ۵۶، ينابيع المودة: ۴۴۲.

[۲۴۶] راجع مثل ماروى عن الكاظم(عليه السـلام) فى وصف المؤمنين الثابتين فى عصـر الغيبـة: «اُولئك منّا ونحن منهم، قـد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم ثم طوبى لهم وهم والله معنا فى درجتنا يوم القيامة». كمال الدين: ۳۶۱، كفاية الأثر: ۲۶۵.

[۲۴۷] الاحتجاج: ۱/۳۲۳ وعنه فى معادن الحكمة: ۲/ ۳۰۳.

[۲۴۸] كنز الفوائد للعلامة الكراجكى: ۲/ ۲۱۹.

[۲۴۹] مفاتيح الأصول: ۴۹۶ ـ ۴۹۷، باب الاجماع.

[۲۵۰] الاحتجاج: ۲/۲۶۰.

[۲۵۱] جمع الشـيخ كريمى الجهرمى مجموعـة من هذه الروايات فى كتاب ترجمه للعربية تحت عنوان: «رعاية الامام المهدى للمراجع والعلماء الاعلام» منشورات دار ياسين البيروتية والكتاب مطبوع بالفارسية فى قم.

[۲۵۲] الكافى: ۱/ ۳۴۰، غيبة النعمانى: ۱۸۸، تقريب المعارف للحلبى: ۱۹۰.

[۲۵۳] الكافى: ۱/ ۳۴۰، غيبة النعمانى: ۱۷۰، تقريب المعارف: ۱۹۰.

[۲۵۴] كمال الدين: ۳۹۰ وعنه فى اثبات الهداة: ۳/ ۴۸۰.

[۲۵۵] راجع تاريخ الغيبة الصغرى: ۶۴۰ وما بعدها وتاريخ الغيبة الكبرى: ۱۰۷ وقد ناقش السيد الصدر فى هذين الكتابين قضية الالتقاء بالامـام فى الغيبـة الكـبرى وعـدم تعارضـها مع امر الامـام المهـدى ـ عجـل الله فرجه ـ فى تـوقيعه للشـيخ السـمرى بتكـذيب من ادعى المشاهـدة فى الغيبـة الكبرى، كمـا ناقشـها الميرزا النورى فى الباب السابع من كتاب النجم الثاقب والعلامـة المجلسـى فى بحار الأنوار

وغيرهم كثير واثبتوا جواز الالتقاء بالامام فی الغيبة الكبری.

[۲۵۶] الكافی: ۱/ ۳۳۷، ۲۳۹، غيبة النعمانی: ۱۷۵.

[۲۵۷] راجع مثلًا الرواية التی ينقلها الشيخ الصدوق فی كمال الدين: ۴۴۴.

[۲۵۸] الكافی: ۱/ ۳۳۷، غيبة النعمانی: ۱۶۶ ـ ۱۶۷، كمال الدين: ۲/ ۳۴۲، غيبة الطوسی: ۲۰۲.

[۲۵۹] المحاسن للبرقی: ۱۷۳، الكافی: ۸/ ۸۰، كمال الدين: ۶۶۴ وفی الحديث الشريف ثناء جليل من الإمام الباقر(عليه السلام) على مَن يجند نفسه لأحياء أمر أهل البيت(عليهم السلام).

[۲۶۰] كمال الدين: ۳۲۸ وعنه فی بحار الأنوار: ۵۱/ ۱۳۶.

[۲۶۱] كمال الدين: ۳۳۰، بحار الأنوار: ۵۲/ ۱۴۵.

[۲۶۲] المحاسن للبرقی وعنه فی بحار الأنوار: ۵۲/ ۱۳۱.

[۲۶۳] كمال الدين: ۳۵۷.

[۲۶۴] كمال الدين: ۳۲۰.

[۲۶۵] كفاية الأثر: ۲۷۹، كمال الدين: ۳۷۸.

[۲۶۶] الخصال للشيخ الصدوق: ۲/ ۶۱۰، كمال الدين: ۶۴۵، تحف العقول: ۱۰۶.

[۲۶۷] كمال الدين: ۶۴۴.

[۲۶۸] غيبة النعمانی: ۲۰۰، إثبات الهداة: ۳/ ۵۳۶.

[۲۶۹] كمال الدين: ۶۴۵.

[۲۷۰] فی الخصال: ۶۲۵ وعنه فی بحار الأنوار: ۵۲/ ۱۲۳.

[۲۷۱] المحاسن للبرقی: ۱/۲۷۸، ۲۷۹ ح۱۵۳ وعنه فی بحار الأنوار: ۵۲/۱۲۶ ح ۱۸.

[۲۷۲] مكيال المكارم: ۲/ ۱۵۲ ـ ۱۵۳.

[۲۷۳] النجم الثاقب: ۲/ ۴۴۳ من الترجمة العربية.

[۲۷۴] المائدة (۵): ۲۴.

[۲۷۵] تاريخ الغيبة الكبری: ۳۴۲.

[۲۷۶] النهضة والثورة المهدوية للشهيد المطهری(رحمه الله): ۶۱ ـ ۸۱ من الطبعة الفارسية (بتلخيص).

[۲۷۷] كمال الدين: ۳۱۹.

[۲۷۸] صحيفة نور: ۲۱.

[۲۷۹] تأريخ الغيبة الكبری: ۴۲۷.

[۲۸۰] مكيال المكارم: ۲/ ۱۵۸ ـ ۱۵۹.

[۲۸۱] تأريخ الغيبة الكبری: ۳۴۱ ـ ۳۴۲.

[۲۸۲] تاريخ الغيبة الكبری: ۳۶۲ ـ ۳۶۳.

[۲۸۳] مكيال المكارم: ۲ / ۱۵۷ ـ ۱۶۲.

[۲۸۴] راجع تفصيل السيد الإصفهانی لهذه النقطة فی كتابه مكيال المكارم: ۲/ ۱۶۰ ومابعدها.

[۲۸۵] الإرشاد للشيخ المفيد: ۲/ ۳۶۸ ـ ۳۷۰.

[۲۸۶] تُراجع نصوص الأحاديث الشريفة التی أوردناها فی الحديث عن علل الغيبة الكبری.

[۲۸۷] عقد الدرر: ۱۲۳ إثبات الهداة: ۴۹۴، ۵۱۸، الملاحم والفتن لابن حماد: ۹۵، دلائل الإمامة للطبرى الإمامى: ۲۴۸ ـ ۲۴۹، حلية الأولياء: ۶ / ۱۲۳، مستدرك الحاكم: ۴/ ۵۵۴ ينابيع المودة: ۵۱۲، كمال الدين: ۶۷۳، اختصاص الشيخ المفيد: ۲۶، والأحاديث فى مدح أصحاب المهدى وأنصاره كثيرة.

[۲۸۸] راجع توضيحات السيد الشهيد محمد الصدر(رحمه الله) لهذه المراتب من القواعد المؤيدة فى تأريخ الغيبة الكبرى: ۲۴۷ ومابعدها.

[۲۸۹] بحار الأنوار: ۶۰/ ۲۱۳، عن تاريخ قم للحسن بن محمد القمى (ق ۳) ح ۲۲ و ۲۳ وعنه فى منتخب الأثر: ۲۶۳ و ۴۴۳.

[۲۹۰] التوبة (۹): ۳۲ و ۳۳.

[۲۹۱] الصف (۶۱): ۸ و ۹.

[۲۹۲] الفتح (۴۸): ۲۸.

[۲۹۳] تفسير القرطبى: ۸/ ۱۲، التفسير الكبير: ۱۶/ ۴۰، والروايات من طرق أهل البيت(عليهم السلام) كثيرة مصرّحة بأختصاص تحقق هذا الوعد بعهد المهدى الموعود.

[۲۹۴] التفسير الكبير: ۱۶/ ۴۰.

[۲۹۵] الأنبياء: ۲۱ / ۱۰۵.

[۲۹۶] النور (۲۴): ۵۵.

[۲۹۷] الحج (۲۲): ۴۱.

[۲۹۸] تفسير الميزان: ۱۴ / ۳۲۹ ـ ۳۳۱.

[۲۹۹] ناقش العلامة الطباطبائى(رحمه الله) فى تفسيره الميزان الأقوال الأخرى التى أوردها المفسرون وأثبت عدم انسجامها مع دلالات الآية التى لا يمكن تفسيرها بغير الدولة المهدوية راجع تفسير الميزان: ۱۵/ ۱۵۱ ـ ۱۵۷.

[۳۰۰] سورة الذاريات (۵۱): ۵۶.

[۳۰۱] تفسير الميزان: ۱۸ / ۳۸۶ ـ ۳۸۹.

[۳۰۲] تأريخ الغيبة الكبرى: ۲۳۳ ومابعدها.

[۳۰۳] المائدة (۵): ۵۴.

[۳۰۴] تفسير الميزان: ۵ / ۳۶۶ ـ ۴۰۰، وراجع تفسير الشيخ اسعد بيوض التميمى للآيات نفسها فى كتابه زوال اسرائيل حتمية قرآنية؛ ۱۲۰ ـ ۱۲۴.

[۳۰۵] الإرشاد للشيخ المفيد: ۲/۳۷۹ وعنه فى الفصول المهمة: ۳۰۲ إثبات الهداة: ۳ / ۵۱۴.

[۳۰۶] إثبات الهداة: ۳ / ۴۹۶.

[۳۰۷] تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى: ۴/ ۳۰۰ وكذلك ۳۳۳، اقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ۵۵۸، كمال الدين: ۶۵۳، غيبة الطوسى: ۲۷۴، عقد الدرر للمقدسى الشافعى: ۶۵، البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان للمتقى الهندى: ۱۴۵.

[۳۰۸] برهان المتقى الهندى: ۱۴۴.

[۳۰۹] تفسير العياشى: ۱ / ۶۵، اختصاص الشيخ المفيد: ۲۵۶.

[۳۱۰] الملاحم والفتن لنعيم بن حماد: ۹۵، عقد الدرر ۱۴۵، برهان المتقى الهندى: ۱۴۱، الحاوى للفتاوى الحديثية: ۲/ ۷۱، وكتاب اللوائح للسفارينى: ۲/ ۱۱.

[۳۱۱] غيبة الطوسى: ۲۸۴، وعنه فى بحار الأنوار: ۵۲ / ۳۳۴، واثبات الهداة: ۳/۵۱۷، ۵۱۸.

[۳۱۲] مستدرک الحاکم: ۴ / ۵۰۳، القول المختصر لابن حجر: ۱۸، برهان المتقی الهندی: ۱۴۳، عقد الدرر: ۱۰۹، معجم أحادیث الإمام المهدی(علیه السلام): ۱/۴۴۹.

[۳۱۳] فتن ابن حماد: ۸۳ ـ ۸۴، الحاوی للفتاوی: ۲ / ۶۷، البرهان: ۱۱۸.

[۳۱۴] غیبة النعمانی: ۳۱۵، اثبات الهداة: ۳ / ۴۵۳.

[۳۱۵] بحار الأنوار: ۵۲ / ۳۰۸، إثبات الهداة: ۳ / ۵۸۳، ۵۲۷، ۴۹۳.

[۳۱۶] تفسیر الطبری، ۲۲: ۷۲، تذکرة القرطبی: ۲ / ۶۹۳، سنن الدارمی: ۱۰۴، مسند أحمد: ۶ / ۲۹۰، صحیح مسلم: ۴ / ۲۲۰۸، سنن أبی داود: ۴ / ۱۰۸، سنن ابن ماجة: ۲/ ۱۳۵۱، سنن الترمذی: ۴/۴۰۷، تأریخ البخاری: ۵ / ۱۱۸، سنن النسائی: ۵ / ۲۰۷. وأحادیث الخسف بجیش السفیانی کثیرة مرویة فی الصحاح وغیرها ومن طرق أهل البیت(علیهم السلام) أیضاً.

[۳۱۷] تفسیر العیاشی: ۱ / ۱۰۳، غیبة النعمانی: ۳۰۸، کمال الدین: ۶۷۲.

[۳۱۸] تفسیر العیاشی: ۱ / ۱۹۷، إثبات الهداة: ۳ / ۵۴۹.

[۳۱۹] غیبة النعمانی: ۲۹۷.

[۳۲۰] إثبات الهداة: ۳ / ۴۶۹ بالنسبة للمدة الأولی، وتقول روایة لابن حماد: ۱۲۷ أن ملاحمه تستمر عشرین سنة.

[۳۲۱] الارشاد: ۳۶۲، غیبة الطوسی: ۲۸۰.

[۳۲۲] دلائل الإمامة: ۲۴۱، غیبة الطوسی: ۲۸۳.

[۳۲۳] صحیح البخاری: ۴ / ۳۰۵، مسلم: ۱ / ۱۳۶، تأریخ البخاری: ۷ / ۲۳۳، سنن ابن ماجة: ۲/ ۱۳۵۷، سنن الترمذی: ۴/ ۵۱۲، صحیح البخاری: ۳ / ۱۰۷، فتن ابن حماد: ۱۰۳ وغیرها کثیر مرویة من طرق الفریقین.

[۳۲۴] الدر المنثور للسیوطی: ۲ / ۳۵۰.

[۳۲۵] أمالی الشجری: ۲ / ۷۷.

[۳۲۶] غیبة النعمانی: ۲۳۲، عقد الدرر للمقدسی الشافعی: ۲۲۷، تهذیب الأحکام: ۶/ ۱۵۴.

[۳۲۷] مسند أحمد: ۱ / ۱۸۴، صحیح مسلم: ۱ / ۱۳۰، سنن ابن ماجة: ۲/ ۱۳۱۹، الترمذی: ۵:۱۸.

[۳۲۸] فتن ابن حماد: ۱۰۲، القول المختصر لابن حجر: ۷، برهان المتقی: ۹۵.

[۳۲۹] القول المختصر: ۱۰، الفتوحات المکیة لابن عربی: ۳/ ۳۳۲.

[۳۳۰] إثبات الهداة: ۳/ ۴۹۸.

[۳۳۱] إثبات الهداة: ۳/ ۴۵۴.

[۳۳۲] سنن الدارمی: ۱۰۱، فتن ابن حماد: ۹۸، عقد الدرر: ۴۰، اثبات الهداة: ۳/ ۵۲۷.

[۳۳۳] راجع الکافی: ۱ / ۴۱۱، إثبات الهداة: ۳ / ۵۱۵.

[۳۳۴] ملاحم ابن طاووس: ۱۳۲.

[۳۳۵] فتن ابن حماد: ۹۸، عقد الدرر: ۲۲۷.

[۳۳۶] ابن حماد: ۹۹، الحاوی للسیوطی: ۲ / ۷۷.

[۳۳۷] برهان المتقی الهندی: ۷۸.

[۳۳۸] ابن حماد: ۹۸، الحاوی: ۲ / ۸۳، القول المختصر: ۲۵، عقد الدرر: ۳۶.

[۳۳۹] ابن حماد: ۹۹، القول المختصر: ۵.

[۳۴۰] الکافی: ۱ / ۳۹۷، إثبات الهداة: ۳/ ۴۴۷.

[۳۴۱] إثبات الهداة: ۲/۴۱۰.

[۳۴۲] ابن حماد: ۱۰۲، الطبرانی الأوسط: ۱ / ۱۳۶.

[۳۴۳] کمال الدین: ۴۱۱.

[۳۴۴] ابن حماد، ۹۸، سنن الدانی: ۱۰۱، الحاوی للسیوطی: ۲/ ۷۵، لوائح السفارینی: ۲/ ۲ تاریخ بغداد: ۹/ ۴۷۱، عقد الدرر: ۱۴۱.

[۳۴۵] غیبة النعمانی: ۱۴۶.

[۳۴۶] تاریخ البخاری: ۷ / ۲۳۳، مسلم: ۴/ ۲۲۵۳، ابن ماجة: ۲/ ۱۳۵۷، الترمذی: ۴/ ۵۱۲.

[۳۴۷] مسند أحمد: ۲ / ۲۴۰، صحیح مسلم: ۲ / ۹۱۵، مستدرک الحاکم: ۲/ ۵۹۵.

[۳۴۸] تاریخ البخاری: ۱ / ۲۶۳، الترمذی: ۵/ ۵۸۸.

[۳۴۹] ابن حماد: ۹۸، ینابیع المودّة للقندوزی: ۳/۳۴۴.

[۳۵۰] ابن حماد: ۹۹ ـ ۱۰۰، عقد الدرر: ۱۴۷، القول المختصر: ۲۴.

[۳۵۱] ملاحم السید ابن طاووس: ۳۲.

[۳۵۲] اثبات الهداة: ۳ / ۵۰۶.

[۳۵۳] اثبات الهداة: ۵۲۷.

[۳۵۴] اثبات الهداة: ۵۱۶ ـ ۵۱۷.

[۳۵۵] إثبات الهداة: ۳/ ۴۹۴.

[۳۵۶] مسند ابن ابی شیبة: ۱۵ / ۱۹۹، سنن الدارمی: ۱۰۱، حاوی السیوطی: ۲/ ۷۷.

[۳۵۷] مسند ابن أبی شیبة: ۱۵/۱۹۹، سنن الدارمی: ۱۰۱، حاوی السیوطی: ۲/۷۷.

[۳۵۸] إثبات الهداة: ۳/ ۴۴۹، ۴۵۵.

[۳۵۹] إثبات الهداة: ۴۳۹ ـ ۴۴۰، ۴۹۴، ۴۷۸، ۴۸۷، وراجع عقد الدرر: ۱۳۵، الفصول المهمة: ۲۹۸، کفایة الأثر: ۱۴۷، ابن حماد: ۹۸، القول المختصر: ۳۴، برهان المتقی: ۱۵۲.

[۳۶۰] الکافی: ۸/ ۲۲۷ وعنه فی إثبات الهداة: ۳/ ۴۵۰.

[۳۶۱] الإرشاد: ۲/۳۸۴ وعنه فی بحار الأنوار: ۵۲/۳۸۶ وعنه فی اثبات الهداة: ۳/۵۴۴.

[۳۶۲] اثبات الهداة: ۷۱.

[۳۶۳] الکافی: ۸/ ۱۶۷، کمال الدین: ۶۷۲.

[۳۶۴] مسند أحمد: ۳ / ۳۷، ملاحم ابن المنادی: ۴۲، میزان الاعتدال: ۳/ ۹۷.

[۳۶۵] قرب الإسناد للحمیری: ۳۹.

[۳۶۶] مسند أحمد: ۳ / ۸۰.

[۳۶۷] اثبات الهداة: ۳ / ۵۰۴.

[۳۶۸] مسند أحمد: ۳/ ۳۷.

[۳۶۹] الغیبة للطوسی: ۱۸۵، ح ۱۴۴.

[۳۷۰] إثبات الهداة: ۳ / ۴۴۸، الکافی: ۱ / ۲۵، کمال الدین: ۶۷۵.

[۳۷۱] إثبات الهداة: ۳/ ۴۵۰ ـ ۴۵۱.

[۳۷۲] راجع مثلًا کمال الدین: ۶۵۴.

[۳۷۳] مَن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ۳ / ۳۱۳، تهذيب الأحكام: ۷/ ۱۷۸.

[۳۷۴] اثبات الهداة: ۳/ ۵۲۴.

[۳۷۵] مستدرک الحاکم: ۴ / ۴۶۵، فتن ابن حماد: ۹۹.

[۳۷۶] غيبة الطوسى: ۱۷۸، احتجاج الطبرسى: ۲ / ۴۷۱، إثبات الهداة: ۳/ ۷۵۷.

[۳۷۷] بحار الأنوار: ۵۳/۱۹۴، معجم أحاديث الإمام المهدى: ۴/۳۸۲.

[۳۷۸] تفسير العياشى: ۱ / ۱۶، معجم أحاديث الإمام المهدى: ۴/۴۶۷.

[۳۷۹] العنكبوت (۲۹): ۱ ـ ۲.

[۳۸۰] كمال الدين: ۵۱۰، بحار الأنوار: ۵۳/۱۹۰، معجم أحاديث المهدى: ۴/۲۸۷.

[۳۸۱] احتجاج الطبرسى: ۲ / ۴۹۸.

[۳۸۲] احتجاج الطبرسى: ۲ / ۴۹۵.

[۳۸۳] احتجاج الطبرسى: ۲ / ۴۹۵.

[۳۸۴] كمال الدين: ۴۸۳، غيبة الطوسى: ۱۷۶.

[۳۸۵] مهج الدعوات للسيد ابن طاووس: ۲۹۵ الصحيفة المهدية للفيض الكاشانى: ۱۱۲.

[۳۸۶] مهج الدعوات: ۶۸.

[۳۸۷] ضمن صلوات طويلة على النبى وأوصيائه(عليهم السلام)، غيبة الطوسى: ۱۶۵، الصحيفة المهدية: ۵۳

[۳۸۸] مصباح الزائر للسيد ابن طاووس: ۳۲۷، الصحيفة المهدية: ۱۷۳، معجم أحاديث المهدى: ۴/۴۹۱.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم

الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللہُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللہُ تعالی؛ و اللہُ ولیّ التوفیق.


مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹